قطر دولة تبنى من أجل كأس العالم

ص6

الرواية المغربية الأولى لم تكتب لقارئ عربي

ص12

السعودية تدعو السياح لزيارة وجهة غير مكتشفة

ص16

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/10/06

07 صفر 1441

السنة 42 العدد 11489

Sunday 06/10/2019

42nd Year, Issue 11489

استراتيجية «الشرعية» في تمكين الإخوان تمهد للصدام مع الانتقالي الجنوبي

فرض محافظ موال للإصلاح في سقطرى رسالة مستفزة للتحالف العربي

عدن – قالت مصادر مطلعة لـ"العرب" إن القرار المفاجئ بإقالة مدير شرطة محافظة أرخبيل سقطرى وتعيين آخر موال لحزب الإصلاح، يأتي في سياق السياسة الممنهجة التي تتبعها دوائر في "الشرعية" بشأن حوار جدة ودفع الأمور باتجاه الصدام ومحاولة فرض أمر واقع في محافظات جنوب اليمن التي تشهد توترا بين قوات الحزام الأمني وقوات حكومية تدين بالولاء لحزب الإصلاح، وهو ما يهدد باشتعال المواجهة مع الانتقالي الجنوبي من جديد.

وأشارت المصادر إلى أن هذا القرار المثير للجدل والذي أثار استياء أبناء سقطرى، يأتي ضمن سلسلة من القرارات المعلنة وغير المعلنة التي تهدف إلى تمكين قيادات عسكرية وأمنية ومدنية محسوبة على جماعة الإخوان في عدد من المحافظات المحررة، حيث صدرت العشرات من القرارات الشبيهة لتعيين عناصر إخوانية في مؤسسات مدنية وعسكرية وأمنية في محافظة شبوة، إضافة إلى صدور قرارات أخرى في الجيش الوطني.

ولفتت المصادر إلى أن التيار المهيمن في الحكومة الشرعية، والذي يعمل على إفشال حوار جدة، الذي تشير المعلومات إلى وصوله إلى طريق مسدود جراء رفض الرئيس هادي مسودة الاتفاقية التي اقترحتها الحكومة السعودية، يحاول إفراغ أي اتفاق من مضمونه واستباق أي ضغوط من خلال تعيين قيادات محسوبة على حزب الإصلاح، وإقالة قيادات تنتمي إلى تيارات سياسية أخرى.

واستغربت مصادر مطلعة صدور قرارات تعيين في المؤسسات الأمنية في كل من شبوة وسقطرى، في الوقت الذي يتواجد فيه وزير الداخلية في الحكومة اليمنية أحمد الميسري في العاصمة العمانية مسقط منذ قرابة أسبوعين، عوضا عن كون تعيين مدراء شرطة لا يحتاج إلى قرارات صادرة من الرئاسة، بل من وزير الداخلية فقط.

وفي مؤشر على احتمال عودة خيار المواجهة العسكرية بين المجلس الانتقالي والحكومة، مع تصاعد مؤشرات انهيار حوار جدة، أعلنت قوات العمالقة الجنوبية المتواجدة في الساحل الغربي، السبت، الدفع بتعزيزات عسكرية كبيرة إلى العاصمة عدن، وفقا لتصريحات مدير مركز إعلام ألوية العمالقة الجنوبية، أصيل السقلدي، الذي لفت إلى أنه سيتم الإعلان عن التفاصيل المتعلقة بالتعزيزات في وقت لاحق.

ولم تستبعد مصادر "العرب" أن تكون حالة التأزيم المتعمدة التي ينتهجها تيار مؤثر في "الشرعية" بزعامة قيادات سياسية ووزراء يتواجدون في مسقط، جزءا من نهج الابتزاز للتحالف العربي.

وكشفت مصادر خاصة لـ"العرب" عن زيارات قام بها محافظ سقطرى رمزي محروس للعاصمة العمانية مسقط في الآونة الأخيرة حيث تقيم أسرته، وعن لقائه بضباط قطريين وعمانيين، وهو ما يفسر سياسة التأزيم التي ينتهجها والتي تقوم على خطاب إعلامي معاد للتحالف العربي بقيادة السعودية.

وفي تصريح لـ"العرب" حول تداعيات الأوضاع في سقطرى، قال رأفت الثقلي، وهو شخصية اجتماعية وقبلية بارزة في الأرخبيل، إن التوتر بدأ في أعقاب إبلاغ المحافظ رمزي محروس مدير شرطة سقطرى العميد علي أحمد الرجدهي بقرار إقالته وطلب حضوره في يوم إجازة لتسليم مهام عمله للمدير الجديد الموالي للإصلاح.

ولفت الثقلي في اتصال مع "العرب" إلى أن الرجدهي رحب بقرار إقالته، وطلب تأجيل الإجراءات القانونية والإدارية، غير أنه فوجئ بتطويق إدارة الأمن بالتنسيق مع قوات الجيش التابع للواء مشاة بحري أول، وهو ما دفعه إلى توجيه كل مراكز ووحدات الأمن برفع الجاهزية وتأمين مداخل ومخارج المحافظة في مديرية حديبو وقلنسية مساء الجمعة الماضي. بينما حشد المحافظ قواته المستقدمة من مأرب، وهما كتيبتان قوامهما أكثر من 700 فرد وتم توزيعهما على مداخل ومخارج المحافظة.

وأشار الثقلي إلى تدخل قائد القوات السعودية العميد يوسف بن علي الفريدي المتواجدة في محافظة أرخبيل سقطرى لاحتواء الأزمة التي كادت تتحول إلى اقتتال بين أبناء سقطرى، وتوصلت الجهود التي قادها الفريدي إلى الاتفاق على سحب قوات الجيش وميليشيات الإخوان المسلمين التابعة للفريق علي محسن الأحمر إلى ثكناتها وبقاء القوات الأمنية كما هي حتى انتهاء الحوار بين العميد الرجدهي واللجنة الأمنية بالمحافظة مع قائد القوات السعودية.

وأضاف الثقلي أن حالة الاستفزاز التي قام بها محافظ سقطرى دفعت الكثير من القوات الأمنية وضباط الشرطة للانضمام إلى العميد الرجدهي ضد تصرفات المحافظ، في الوقت الذي قامت فيه قوات الحزام الأمني التابع للمجلس الانتقالي الجنوبي بسقطرى وخاصة في مديرية قلنسية برفع أعلام الحراك الجنوبي على كل مباني الأمن والإدارة المحلية ولا يزال الوضع هناك محتقنا.

واعتبر الثقلي أن هذه القرارات التي تخدم أجندة حزب الإصلاح في سقطرى والتي تسعى جاهدة لعرقلة التنمية ودور دولة الإمارات العربية المتحدة الإنساني في محافظة أرخبيل سقطرى، أثارت غضب واستياء المكونات السياسية والاجتماعية في سقطرى والتي تداعت للخروج في مظاهرات حاشدة ضد المحافظ محروس والمطالبة بإقالته نظرا للدور الذي يمارسه في جر الأرخبيل إلى صراع قد يؤدي إلى صدام مسلح في الجزيرة الآمنة والمسالمة.

وقال الثقلي "هناك أنباء عن انشقاقات في الأمن والجيش ضد سياسة التعيينات الأخيرة التي تخدم أجندة حزب الإصلاح وتخوف من سيطرة سلطنة عُمان وقطر على أرخبيل سقطرى عبر السلطة المحلية الممثلة بمحافظ محافظة أرخبيل سقطرى، وهو ما عبر السقطريون عن رفضه في أكثر من مظاهرة حاشدة".

التمكين الإخواني يخلف الخراب

سباق بين السياسيين للقفز من سفينة الحكومة العراقية

بغداد – يقترب رئيس الوزراء العراقي عادل عبدالمهدي من خسارة أطراف سياسية جديدة، يبدو أنها قررت القفز من سفينة الحكومة، التي توشك على الغرق بسبب موجة احتجاج غير مسبوقة، اجتاحت البلاد طولا وعرضا، وسقط فيها حتى الآن أكثر من 100 قتيل، ونحو أربعة آلاف جريح.

وقتل 5 متظاهرين، السبت، وسط بغداد برصاص قوات الأمن التي كانت تطلق النار بكثافة لتفريق المحتجين، وفق ما أفاد شهود عيان.

وشجع ضغط الاحتجاجات واتساع مداها أطرافا كانت تتردد في إعلان مواقف مناهضة للحكومة و"تأييد" المتظاهرين بعد الاستهجان وترك الحكومة والميليشيات تبطش بهم، على غرار التيار الصدري بزعامة رجل الدين الشيعي مقتدى الصدر، ورئيس الوزراء الأسبق حيدر العبادي الذي يقود ائتلاف النصر البرلماني، وتحالف المحور الوطني بزعامة السياسي السني خميس الخنجر.

وبدا لهذه الأطراف أن حكومة عبدالمهدي تنهار في مواجهة احتجاجات شعبية واسعة، بعيدة عن المحركات الحزبية والسياسية، في تطور فريد من نوعه، ما دفعها إلى الإعلان عاجلا عن موقف مناهض للسلطة التنفيذية، التي مارست كل أشكال القمع لإسكات المتظاهرين، من دون فائدة.

وتقول مصادر مطلعة على كواليس التطورات إن الصدر والعبادي ينسقان الآن موقفا واضحا للمطالبة بإقالة عبدالمهدي والدعوة إلى انتخابات مبكرة، وسط تسريبات عن الانفتاح على الجانب الكردي لضمان عدم ممانعته، بعدما جذب هذا الحراك إلى صفه كتلة سنية يتزعمها الخنجر، تحتكم على 20 مقعدا في البرلمان.

وبرغم أن هذا الحراك، لم يكن له أن يتطور إلى هذا الحد، لولا حركة الاحتجاج التي قمعتها الحكومة بدموية، إلا أنه يلقى بشكل واضح شيئا من الترحيب في أوساط المتظاهرين، مع علمهم بأنه ركوب لموجتهم.

ويقول مراقبون إن هذا التناغم بين أحزاب سياسية ومحتجين ناقمين على هذه الأطراف بالضرورة، يعكس رغبة صريحة لدى الطرفين بالتخلص من النفوذ الإيراني، الذي باتت حكومة عبدالمهدي تمثله بوضوح.

وفي حال خرجت أنباء التنسيق بين هذه الأطراف إلى العلن، فإن حكومة عبدالمهدي ستخسر معظم داعميها، باستثناء تحالف الفتح، الذي يجسد بأوضح صورة، النفوذ الإيراني في العراق.

ويقول متظاهرون إنه لم يعد مهما من هو الطرف البديل، بالرغم من أن الأحزاب الشيعية لا تختلف عن بعضها كثيرا، إلا أن نجاح التظاهرات في الإطاحة برئيس الحكومة سيمثل رسالة إلى مختلف الأطراف السياسية بأن الشارع قادر على صنع التغيير.

وفضلا عن عبدالمهدي، لم يبق من طرف عراقي يتحدث عن "بقاء النظام الحالي" سوى رئيس البرلمان محمد الحلبوسي، الذي ربما يشعر بالقلق من أن تطوله نقمة المحتجين، فيما يبدو رئيس الجمهورية برهم صالح، خارج دائرة الخطر المباشر في الوقت الحالي.

وكشف النائب السني في البرلمان العراقي أحمد الجبوري، محاولة رئيس البرلمان استقبال محتجين والإصغاء إلى مطالبهم وإطلاق وعود بتحقيقها، فشلت فشلا ذريعا، إذ انتهى لقاء في مجلس النواب، السبت، بمطالبة ممثلين عن المتظاهرين الحلبوسي بالتنحي فورا، برغم وقوفه بينهم.

وقال الجبوري إن ممثلي المتظاهرين اجتمعوا بالحلبوسي في مبنى البرلمان، ورفضوا طلبه علنا عندما دعاهم إلى إنهاء الاحتجاجات، بل وطالبوه بالاستقالة.

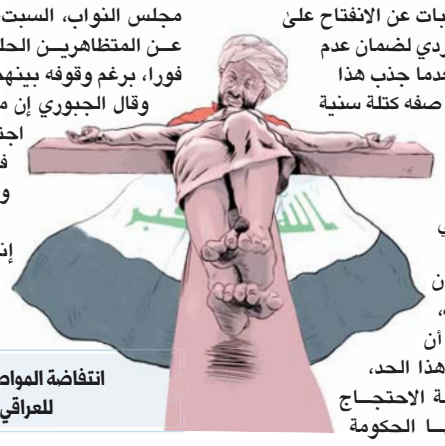

انتفاضة المواطنين التي تعيد للعراقي اعتباره

ص6، 7، 8

النهضة تحركت على أكثر من واجهة للحصول على الدعم الأميركي

اللوبي الإخواني في واشنطن يبذل قصارى جهده لضمان فوز إسلاميي تونس بالسلطة

واشنطن – سعت حركة النهضة الإسلامية لاستثمار وثائق نشرت في الولايات المتحدة بشأن لجوء خصمها نبيل القروي، رئيس حزب "قلب تونس"، إلى شركة علاقات عامة للتسويق لنفسه وحزبه لإحراجه خلال الحملات الانتخابية التشريعية والرئاسية، لكنها تعمدت إغفال سجلها في البحث عن صناعة نفوذ داعم لها في واشنطن. ولم يقف الاستقواء بواشنطن عند فتح أبواب علاقات مع شخصيات أميركية، بل تمدد إلى شخصيات إخوانية. وذكرت وكالة الاستشارات "بي.سي.دبليو" أنه تم تكليفها من قبل حزب النهضة لإعانته على "التواصل مع وسائل إعلام وشخصيات نافذة".

وبيّن موقع "لوبيينغ مونيتر"، نقلا عن موقع وزارة العدل الأميركية، تعاملات لحركة النهضة مع شركة "بورسن مارستالر"، المتخصّصة في الاتصال والعلاقات العامة بعقد قيمته 285 ألف دولار في سنة 2014، بهدف تحسين صورتها والقيام باتصالات مع مسؤولين في الدولة الأميركية. وأعاد موقع دايلي واير الأميركي إثارة ملف تحرك النهضة في الملعب الأميركي في خضم الجدل الدائر الآن حول اللوبييغ عشية اختتام الحملات الانتخابية في التشريعية وانطلاق الحملات الخاصة بالرئاسية في الدور الثاني. وذكر الموقع أن الناشطين التونسيين الأميركيين، المدير التنفيذي لفرع كونيتيكت التابع لمجلس العلاقات الأميركية-الإسلامية، منجي الذوادي، ورئيس مركز دراسة الإسلام والديمقراطية، رضوان المصمودي، عملا في السنوات الأخيرة كمنسقين لأنشطة النهضة داخل الولايات المتحدة.

وفي شهر سبتمبر، نظم المصمودي لقاء دعيت إليه رباب بن لطيف، وهي مرشحة حزب تمثيل الشتات التونسي في أميركا في البرلمان. وفي يناير، نظم الذوادي، وعضو المكتب التنفيذي لحركة النهضة محرزية العبيدي، اجتماعا دعا التونسيين في الولايات المتحدة إلى "محادثة رائعة". وخلال زيارتها، التقت العبيدي بالنائبة رشيدة طليب (من الحزب الديمقراطي في ميشيغان).

من خلال مركز دراسة الإسلام والديمقراطية، نظم المصمودي فعاليات حضرها مسؤولون رفيعو المستوى في حزب النهضة. في سنة 2014. وألقى علي العريض، الذي شغل منصب رئيس الوزراء بعد أن كان وزير الداخلية في حكومة حمادي الجبالي، الكلمة الرئيسية في المؤتمر. وكان من بين الحاضرين الخبير الأميركي في السياسة الخارجية فيليب غوردون، الذي كان يعمل على تحسين العلاقات مع تركيا من منصبه في إدارة باراك أوباما، والنائب الجمهوري كيث إليسون الذي أصبح لاحقا أول مسلم ينتخب في الكونغرس.

وفي سنة 2015، نظّم مركز دراسة الإسلام والديمقراطية حفل عشاء على شرف الغنوشي. هذه المرة، حضره جون ديسروشر، الذي كان يشغل منصب نائب مساعد وزير الخارجية لشؤون مصر والشؤون المغاربية، وغوردون غراي الذي كان السفير الأميركي في تونس. ومن خلال مجموعته الأخرى التي تجمع "أصدقاء النهضة في الولايات المتحدة الأميركية"، نظم المصمودي أحداثا في الساحل الشرقي مع العريّض، وعبدالفتاح مورو الذي ترشح في الدورة الأولى من الانتخابات الرئاسية.

وتقول مارثا لي، كاتبة تقرير موقع دايلي واير، إن النهضة أُرغمت على التخلي عن السلطة في سنة 2014. وبعد الإطاحة بها، سعت إلى تحسين صورتها. وفي سنة 2016، أعلنت أنها ستتخلى عن الإسلام السياسي، وأنها ستفصل بين أجنحتها السياسية والدينية. لكن لا يزال الفصل مجرد شعار لم يتم اختباره خاصة مع عودة الخطاب المتشدد للحركة وأنصارها في الحملة الانتخابية الأخيرة.

وتشير مارثا لي إلى أن سنوات حكم حزب النهضة كانت مفيدة في تأكيد تطرفه لكن الإسلاميين الأميركيين البارزين يبذلون قصارى جهودهم لضمان فوز النهضة بالسلطة مرة أخرى.

ذكرى حرب أكتوبر... وما تلاها

خيرالله خيرالله

ص5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

اليسار المغربي يصطف في المعارضة قبيل التعديل الحكومي

انسحاب التقدم والاشتراكية من الحكومة يسهل مهمة العثماني في إيجاد حلفاء جدد

صادقت اللجنة المركزية لحزب التقدم والاشتراكية المغربي بالأغلبية الساحقة على قرار مغادرة الحكومة، التي يقودها سعدالدين العثماني في خطوة تعكس إعادة الحزب اليساري إلى حساباته السياسية مع اقتراب التعديل الحكومي ومساعيه في البحث عن دور أكثر تأثيرا مع تشكل مشهد سياسي جديد.

زكية عبدالنبي

البحث عن دور أكثر تأثيرا

الرباط – قرر حزب التقدم والاشتراكية المغربي (يساري) بموافقة أغلبية ساحقة من أعضائه،الانسحاب من التحالف الحكومي الذي يقوده حزب العدالة والتنمية ذو المرجعية الإسلامية.

وعقب اجتماع اللجنة المركزية للحزب، الجمعة، لتدارس قرار الانسحاب من الائتلاف الحكومي من عدمه والذي كان الحزب قد أعلن عنه الثلاثاء الماضي، صوت 235 عضوا بالموافقة على الانسحاب من أصل 275 عضوا، في حين امتنع ستة أعضاء عن التصويت وصوت 34 آخرون لصالح البقاء في الحكومة.

ويأتي قرار حزب التقدم والاشتراكية الانسحاب في عملية تصويت صاخبة تطورت إلى عراك، في إطار الاستعدادات والمشاورات التي تجريها مختلف الأحزاب السياسية بين أعضائها استعدادا لتعديل حكومي وشيك.

> لا يترتب عن خروج التقدم الاشتراكي أي تأثير على بنية الائتلاف الحكومي، نظرا إلى أن عدد مقاعد بقية الأحزاب، يتجاوز نصف مقاعد البرلمان

وعزا حزب التقدم والاشتراكية قرار مغادرة الحكومة بسبب ما أسماه "بالصراع بين مكوناتها". وحذر من أن "الوضع غير السوي للأغلبية الحالية مرشح للمزيد من التفاقم في أفق عام 2021 كسنة انتخابية (سنة تنظيم انتخابات برلمانية)، ما سيحول دون أن تتمكن الحكومة من الاضطلاع بالمهام الجسام التي تنتظرها".

من جهته أعرب حزب "العدالة والتنمية" المغربي عن أسفه لقرار حليفه؛ حزب التقدم والاشتراكية الانسحاب من الحكومة، وذلك في تدوينة لـ"سليمان العمراني"، النائب الأول لأمين عام حزب "العدالة والتنمية" المغربي (قائد الائتلاف الحكومي)، عبر صفحته الرسمية بالفيسبوك، في أول تعليق للحزب على قرار التقدم والاشتراكية، الذي يعتبر الحليف الوحيد قبل الانتخابات البرلمانية عام 2016.

وقال العمراني إن "حزب العدالة والتنمية يقدر حزب التقدم والاشتراكية، ويعتز بعلاقته به، وبتعاون الحزبين على الصعيد الحكومي باعتبار أنه كان يمثل مصلحة وطنية". ولفت إلى أن "حزب العدالة والتنمية، وعلى رأسه الأمين العام ورئيس الحكومة سعدالدين العثماني، عبر عن تشبثه باستمرار حزب التقدم والاشتراكية في التحالف الحكومي القائم".

وتضم الحكومة الحالية أحزاب "العدالة والتنمية" (125 نائبا بمجلس النواب؛ الغرفة الأولى للبرلمان من أصل 395)، التجمع الوطني للأحرار (37 نائبًا)، والحركة الشعبية (27)، والاتحاد الاشتراكي (20)، والاتحاد الدستوري (23)، والتقدم والاشتراكي (12).

ولا يترتب عن خروج التقدم الاشتراكي أي تأثير على بنية الائتلاف الحكومي، نظرا إلى أن عدد مقاعد بقية الأحزاب دون "التقدم"، يتجاوز نصف عدد مقاعد مجلس النواب. غير أن العاهل المغربي الملك محمد السادس، بحث في 21 سبتمبر الماضي مع رئيس الحكومة سعدالدين العثماني، التعديل الحكومي المرتقب.

ويعد هذا اللقاء الأول من نوعه بين العاهل المغربي والعثماني، منذ دعوة الملك في نهاية يوليو الماضي إلى إجراء تعديل في تشكيلة الحكومة.

وكان العاهل المغربي الملك محمد السادس قد حث في خطاب العرش في يوليو الماضي بمناسبة ذكرى مرور عشرين عاما على توليه الحكم، رئيس الحكومة المغربية القيام بتعديل حكومي من أجل "إغناء وتجديد مناصب المسؤولية الحكومية والإدارية بكفاءات وطنية عالية المستوى".

وقال نبيل بن عبدالله الأمين العام لحزب التقدم والاشتراكية الذي اختار الاصطفاف في المعارضة إن "قرار خروج الحزب من الحكومة "لم تملِه مصالح وزارية ضيقة" وإن الحزب "قد يقبل بأن يكون بنصف مقعد، إذا كانت الحكومة حكومة إصلاح وذات توجهات قوية تعمل على بلورة مضامين دستور المغرب الجديد".

وأضاف قبيل الإعلان عن نتائج التصويت أن اصطفاف حزبه في المعارضة سيقوي الحزب أكثر وسيجعله أكثر استعدادا لانتخابات 2021.

ويرى المحللون أن مغادرة التقدم الاشتراكي للحكومة تربك الائتلاف الحاكم بالمغرب، وتحرج حكومة العثماني وتجعل حزب العدالة والتنمية أكثر المتضررين مع خسارته لأبرز حلفائه.

ويصعّب هذا الانسحاب على حزب العدالة والتنمية مهمة قيادة المشهد السياسي في المرحلة القادمة، ومع تشكيل فريق حكومي جديد مع تواصل الانتقادات لأدائه في تسيير شؤون المملكة والاستجابة للمطالب الاجتماعية في توفير تنمية عادلة.

ومع ذلك يتوقع المحللون أن انسحاب التقدم والاشتراكية من الحكومة سيسهل مهمة العثماني في إيجاد حلفاء جدد على عكس ما حدث لحكومة عبدالإله بن كيران في عام 2016 عندما لم يتوفق في تشكيل الائتلاف الحكومي بسبب عدم اتفاق بعض الأحزاب. وستبقى حكومة العثماني تقود الأغلبية البرلمانية بعد خروج وزير الصحة المنتمي إلى الحزب المنسحب.

وفي 17 مارس 2017، عيّن الملك محمد السادس، سعدالدين العثماني (61 عاما) رئيسا للحكومة، خلفا لعبدالإله بن كيران (63 عاما)، وضمت الحكومة وزراء من أحزاب كان بن كيران يرفض دخولها إلى التشكيلة الوزارية، ويعتبرها سبب "إفشال" تشكيل الحكومة بقيادته.

شكوك أميركية بتورط البوليساريو في الإرهاب

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

الرباط – وعدت وزارة الخارجية الأميركية، الجمعة، بمكافأة تبلغ قيمتها خمسة ملايين دولار لمن يقدم معلومات تسمح بمعرفة مكان عدنان أبووليد الصحراوي، العضو السابق في جبهة البوليساريو الانفصالية، والذي أصبح لاحقا زعيما لتنظيم الدولة الإسلامية في الصحراء الكبرى.

وتعد واشنطن بمكافأة لاعتقال زعيم تنظيم داعش بعد سنتين على كمين نصبه التنظيم، وقد أودى بحياة أربعة جنود أميركيين وأربعة نيجريين في النيجر. وأعلن مسؤول في وزارة الخارجية الأميركية عن تخصيص مكافأة في "ذكرى الكمين" وللمرة الأولى في إطار هذا التحقيق.

ويعيد توجه وزارة الخارجية الأميركية الأخير ضد عدنان أبووليد الصحراوي، الحديث حول ما تشكله جبهة البوليساريو من تهديد خطير للاستقرار في شمال أفريقيا ومنطقة الساحل، خصوصا بعد ثبوت علاقة البوليساريو مع تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، حيث باتت من مزودي الجهاديين التابعين لتنظيم داعش في ليبيا وسوريا بالأسلحة.

وانضم المدعو عدنان أبووليد، وهو عضو سابق في مايسمى بـ"جيش التحرير الشعبي الصحراوي" التابع للبوليساريو، إلى التنظيم الجهادي "حركة التوحيد والجهاد في غرب أفريقيا"، وفي مايو 2015 أعلن أن فصيله بايع تنظيم داعش وأطلق على نفسه اسم "الدولة الإسلامية في الصحراء الكبرى". وتم اختياره ليكون مسؤولا عن كل فروع التنظيم في أفريقيا.

وحسب تقرير الأمم المتحدة تتألّف الجماعة التي يقودها عدنان أبووليد الصحراوي من مقاتلين من قبائل الفولاني والطوارق وأفراد من أصول صحراوية، وهي تستهدف في الغالب قوات الأمن في النيجر وبعثة الأممية لتحقيق الاستقرار في مالي على الحدود بين النيجر ومالي.

ويقول مراقبون أن إطلاق واشنطن مكافأة مالية للقبض على العضو السابق في البوليساريو، هو إدانة ضمنية لهذا التنظيم الانفصالي الذي لم تسعفه كل مناوراته في إقناع المجتمع الدولي بأطروحته الانفصالية في ما يخص قضية الصحراء المغربية، خصوصا مع تفاعل دولي إيجابي مع مبادرة الحكم الذاتي.

وفي هذا السياق ذكرت صحيفة "وول ستريت جورنال"، قبل شهرين أن هذه الحقيقة تشكل قناعة لدى صناع القرار الأميركيين على نطاق واسع، مبرزة أن إدارة الرئيس دونالد ترامب، التي تواجه التهديد الإرهابي على عدة جبهات، متيقظة تجاه الوضع في منطقة الصحراء والساحل.

وكان مركز الاستخبارات والأمن الاستراتيجي الأوروبي، ومقره في بروكسل، قد حذر من تقارب البوليساريو مع تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، مشيرا إلى الأوضاع الاجتماعية الكارثية في مخيمات تندوف التي تدفع بجزء من الشباب إلى مغادرة المخيمات والالتحاق بالجماعات الإرهابية.

وتتقاسم واشنطن والرباط نفس الموقف بشأن ما تشكله البوليساريو من تهديد للمنطقة، ولا تزال التحذيرات متوالية من تحول منطقة تندوف إلى بؤرة خطيرة للإرهاب، وهو ما يتفق بشأنه خبراء المركز الدولي للدراسات حول الإرهاب (آي.سي.تي.أس) ومقره في الولايات المتحدة، بخصوص الارتباطات بين الجماعات الإرهابية العاملة في شمال أفريقيا ومنطقة الساحل بجبهة البوليساريو، مشيرين إلى تزايد وتيرة تواجد تنظيم القاعدة والجماعات المتطرفة التابعة له في المنطقة.

وأشار تقرير المركز الدولي للدراسات حول الإرهاب إلى أن تنظيم القاعدة وغيرها من الجماعات المتطرفة في المنطقة تسعى إلى استغلال الوضع في المخيمات التي تسيطر عليها البوليساريو للقيام بأنشطة مكثفة للتجنيد، مشددا على الضرورة الملحة لمواجهة هذا الخطر الأمني.

قيس سعيد يحجم عن حملته الانتخابية مع تواصل توقيف منافسه

تونس – أحجم المرشح للانتخابات الرئاسية في تونس قيس سعيد عن القيام بحملته الانتخابية لـ"دواع أخلاقية" في ظل استمرار إيقاف منافسه نبيل القروي.

وأوضح سعيد، السبت، في بيان له، أنه لن يقوم بحملته الانتخابية "لدواع أخلاقية، وضمانا لتجنب الغموض حول تكافؤ الفرص بين المرشحين". وقال سعيد، المرشح المستقل وأستاذ القانون الدستوري المتقاعد، إن قراره يأتي على الرغم "من إيمانه العميق بأن تكافؤ الفرص يجب أن يشمل أيضا الوسائل المتاحة لكلا المرشحين"، في إشارة إلى "قناة نسمة" الخاصة التي يعد القروي أحد مالكيها، بجانب الفوارق في الإمكانيات المالية بين المرشحين.

ودعا سعيد في بيانه إلى "ضرورة الابتعاد عن المحاولات اليائسة لضرب سير العملية الانتخابية".

وتواجه الهيئة العليا المستقلة للانتخابات في تونس وضعا مربكا ومعقدا بسبب إيقاف المرشح الرئاسي رجل الأعمال وقطب الإعلام والإشهار، نبيل القروي منذ 23 أغسطس الماضي للتحقيق في تهم ترتبط بفساد مالي.

ونجح القروي، وهو رهن الإيقاف، في المرور إلى الدور الثاني مع المرشح المتصدر قيس سعيد ولكنه يواجه خطر الغياب عن الحملة الانتخابية التي بدأت منذ الخميس الماضي، وكذلك المناظرة التلفزيونية كما حدث في الدور الأول أيضا. ورفض القضاء ثلاثة مطالب من محاميّ القروي للإفراج عنه حتى يشارك في الحملة الانتخابية للدور الثاني من الانتخابات الرئاسية.

وتتضارب مواقف رجال القانون في تونس بشأن مآل الانتخابات في حال استمر القروي في السجن، وفي حال جرى الطعن في نتائجها. وهذه ثانية الانتخابات الرئاسية في الديمقراطية الناشئة بتونس منذ بدء الانتقال السياسي عام 2011. بدورها، دعت منظمة الأمم المتحدة إلى ضمان تكافؤ الفرص في الدورة الانتخابية الرئاسية الثانية في تونس والتي لا يزال أحد المرشحين لها موقوفا بتهم تتعلق بغسل أموال وتهرب ضريبي.

وقالت المنظمة في بيان نقل تصريحات الناطق الرسمي باسم الأمين العام ليل الجمعة "نحث جميع الأطراف المعنية على ضمان أرضية متكافئة لجميع المرشحين، بما في ذلك تكافؤ الفرص مع الاحترام الكامل للقانون التونسي ولصلاحيات السلطة القضائية".

وتابع نص البيان "نذكر السلطات والمرشحين بمسؤوليتهم في ضمان إجراء انتخابات سلمية وحل أي شكاوى وفقا لما ينص عليه القضاء".

وتمكن نبيل القروي، رجل الأعمال المثير للجدل، من الترشح للدورة الرئاسية الثانية بنسبة 15.6 في المئة رغم كونه موقوفاً بتهمة غسل أموال وتهرب ضريبي ويخوض حزبه "قلب تونس" الانتخابات التشريعية الأحد. فيما حلّ أستاذ القانون الدستوري المستقل قيس سعيّد أولاً بـ18.4 في المئة في دورة أولى اعتبرت "زلزالا انتخابيا" حيث لم يفز فيها مسؤولون كبار في الدولة.

ودعت المنظمة إلى إجراء انتخابات سلمية وشفافة للبرلمان الأحد وللرئاسية في جولتها الثانية يوم 13 أكتوبر.

وأبقت الهيئة العليا المستقلة للانتخابات في تونس على القروي مرشحا ما لم يصدر حكم قضائي في حقه وطالبت بإطلاق سراحه.

إضافة إلى ذلك قال الرئيس التونسي بالنيابة محمد الناصر في كلمة مساء الجمعة إن موضوع القروي "محلّ اهتمام ومتابعة متواصلة". وأكد الناصر في الكلمة التي بثها التلفزيون الحكومي على أن هناك "سعيا لوجود حل مشرف لتجاوز هذا الوضع غير العادي وفيه ربما مسّ من مصداقية الانتخابات".

انطلقت عملية التصويت للانتخابات التشريعية التونسية في مراكز الاقتراع خارج البلاد الجمعة. وتمتد عملية الاقتراع للتونسيين بالخارج على مدى ثلاثة أيام، فيما تفتح الأحد مراكز الاقتراع أبوابها للتونسيين في الداخل لاختيار أعضاء برلمانهم الجديد.

محامو الجزائر ينددون بحملة الاعتقالات المتواصلة

صابر بليدي

الجزائر – نظم المحامون مسيرات في عدد من المدن الجزائرية، تعبيرا عن تضامنهم مع فعاليات الحراك، ومع سجناء الرأي المتواجدين في السجون، على خلفية مشاركتهم في الاحتجاجات الشعبية التي تعيشها الجزائر ضد السلطة منذ نحو ثمانية أشهر.

وخيمت ذكرى الخامس من أكتوبر 1988، على أجواء الحراك الجزائري، حيث اقترنت الذكرى التي شهدت أول انتفاضة شعبية ضد السلطة، وقد أفضت إلى مقتل نحو 500 متظاهر، مع الاحتجاجات السياسية المطالبة بالتغيير السياسي الشامل وبرحيل كلي لرموز السلطة.

وصعد المحامون في الآونة الأخيرة من لهجة التصعيد تجاه السلطة، وهدد المكتب النقابي في العاصمة، بمقاطعة الدفاع عن المحبوسين، بسبب ما أسموه بـ"إفراط السلطة في حملة التوقيفات والاعتقالات التي لم تعد مبررة قانونا".

وصرح المحامي والناشط الحقوقي مصطفى بوشاشي، بأن "البلاد تسير نحو الانزلاق في دولة اللاقانون، وتجاهل أبسط الحقوق الأساسية في التعبير عن الرأي، وهو أمر يسيء إلى سمعة الجزائر".

وفي بيان لمجلس منظمة المحامين بالجزائر العاصمة، فإن الهيئة تتجه إلى "مقاطعة كل المتابعات الخارقة للقانون والمؤدية إلى محاكمات صورية، بسبب حملة الاعتقالات المفتوحة ضد نشطاء خرجوا للتظاهر بطرق سلمية، ورفع عدة مطالب ومنها استقلال القضاء".

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

بوادر انفراج أزمة المعلمين في الأردن تلوح في الأفق

رئيس الوزراء يعتذر للمعلمين عن أي إساءة طالتهم

يشهد الأردن بوادر انفراجة لأزمة المعلمين المضربين عن العمل منذ شهر بعد أن قدم رئيس الوزراء عمر الرزاز اعتذارا رسميا للمعلمين عن كل إساءة طالتهم، كما بدأ وفد حكومي حوارا مع نقابة المعلمين حول مطالبهم وسط حديث عن قرب التوصل إلى اتفاق بين الطرفين.

الكرامة قبل الخبز

عمان – تتجه أزمة المعلمين المضربين عن العمل في الأردن منذ شهر إلى الانفراج بعد استجابة الحكومة السبت لأول مطالب المعلمين المضربين عن العمل منذ شهر للمطالبة بحقوقهم، وذلك بتقديم رئيس الوزراء الأردني عمر الرزاز اعتذارا لهم عن "أي حدث انتقص من كرامتهم".

وكان الاعتذار عما تعرضوا له من انتهاكات في احتجاجات سبتمبر الماضي من بين مطالب المعلمين المضربين عن العمل إلى جانب الاعتراف بالعلاوة المالية، وهي المطالب التي منح فيها المحتجون الحكومة مهلة بشأنها حتى مساء السبت.

وأكد الرزاز، في رسالة نشرها عبر حسابه على فيسبوك السبت، بمناسبة اليوم العالمي للمعلمين الموافق لـ5 أكتوبر من كل عام، التزام حكومته باستكمال التحقيق في انتهاكات تعرضوا لها الشهر الماضي، والأخذ بنتائجه.

وأثنى على المعلمين ودورهم، مشددا على أنه "لا رفعة للتعليم في الأردن دون المعلم". وأضاف، في رسالته، "كما قلنا من قبل ونؤكد، كرامة المعلم من كرامتنا، وهيبته من هيبتنا، ولا نقبل الإساءة للمعلم والتقليل من احترامه بأي شكل من الأشكال".

وأعرب عن أسف الحكومة "لأي حدث انتقص من كرامة المعلمين، وتلتزم (الحكومة) باستكمال التحقيق والأخذ بنتائجه، وننتظر نتائج تقرير التحقيق من المركز الوطني لحقوق الإنسان، لاتخاذ الإجراءات المناسبة".

وختم بالقول "نحن حريصون على عودة المعلم إلى محرابه غرفة الصف مرفوع الرأس حاملا رسالته، رسالة النور والتي طال انتظار أبنائكم لها لتحقيق الفريضة الواجبة علينا جميعا تجاه الجيل، ونحن واثقون من التزامكم بها وحرصكم عليها".

وزار وفد حكومي مقر نقابة المعلمين في العاصمة عمان، السبت، حيث ناقش اللقاء مطالب المعلمين المحتجين خاصة في ما يتعلق بنسبة الزيادة في العلاوة.

وتأكد سعي الحكومة لحل أزمة المعلمين المضربين عن العمل من خلال تصريحات جمانة غنيمات الناطقة الرسمية باسم الحكومة –ووزيرة الدولة لشؤون الإعلام– التي أكدت فيها أن الحكومة تبذل كل جهد ممكن لإنهاء أزمة المعلمين "وضمان عودة الطلبة إلى صفوفهم، والمعلّمين لأداء رسالتهم".

وأعلنت غنيمات، في تصريحات نقلتها وكالة الأنباء الأردنية، أن الجولة الأولى من الحوار بين الحكومة والنقابة ليوم السبت انتهت.

كما أكدت أن جولة أخرى من الحوار "تبدأ خلال ساعات"، مشددة على أن جهودا حثيثة تبذل من قبل الحكومة من أجل الوصول إلى توافق "خلال الساعات المقبلة".

ووصفت نقابة المعلمين مستجدات الوضع وموقف الحكومة بأنهما "بشائر انفراج" للأزمة.

واعتبر نورالدين نديم، الناطق باسم النقابة، أن رسالة رئيس الوزراء والزيارة التي قام بها وفد وزاري إلى النقابة "بمثابة رد اعتبار واعتراف من الحكومة بقيمة المعلم". وأشار، في تصريحات تداولتها وسائل إعلام محلية، إلى وجود أرضية مشتركة للتوصل إلى اتفاق يرضي طرفي الحكومة والمعلمين، إذ اقترحت النقابة أن تكون قيمة العلاوة 30 بالمئة بدلا من 50 بالمئة التي طالبت بها أول مرة.

وأكد أن "المعلم ليس هدفه العلاوة بحد ذاتها" وأن مطلب رد الاعتبار والكرامة بالنسبة إليه متقدم على المطالب المادية.

وساهمت رسالة رئيس الوزراء إلى المعلمين في تهدئة غضب المعلمين، إذ قال نديم إن "رسالة الرزاز إيجابية وتساهم في التوصل إلى حل" يرضي جميع الأطراف.

وأكد أن الرسالة تضمنت اعتذارا واضحا وصريحا عن أي إساءة للمعلم وتقديرا لمكانته ودوره، مشددا على أن المعلمين استقبلوا هذه الرسالة "بارتياح".

وتوجه الرزاز إلى المعلمين، في رسالته، قائلا "أخاطب فيكم القلب النابض بحبّه لمهنة التعليم (...) أخاطب فيكم حملة الرسالة المصممين بأننا سنصنع غدا يفوق اليوم وسنخرّج جيلا مؤمنا واعيا منتجا ومبدعا". وأبدى الرزاز تفهما لمطالب المعلمين بقوله "تمسكون الطبشورة بيد والجمر بيد أخرى، صابرين على أوضاع معيشية صعبة وبيئة صفيّة بعيدة عن الطموح، تطمحون إلى غد أفضل، وهذا طموح مشروع، بل واجب. وإيصال صوتكم واجب".

وأكد التزام الحكومة بالتفاعل مع مطالب المعلمين إذ شدد على أن "التحاور حول سبل تحقيق الآمال واجب. وواجب وزارة التربية والتعليم والحكومة الانخراط بهذا الحوار والتوصّل إلى ما هو في مصلحة المعلم ومصلحة الطالب ومصلحة الوطن".

ورفضت نقابة المعلمين الأردنيين القوية منذ أسبوع زيادة متواضعة في الأجور قدمها الرزاز، واصفة إياها بأنها "فتات" ضمن محاولة لإنهاء الإضراب، الذي يعد بالفعل أطول إضراب ينظمه موظفون في الدولة منذ عقود.

وكانت الحكومة ترفض في السابق زيادة قيمة العلاوة التي قالت إنها ستكلف خزينة الدولة أكثر من 150 مليون دولار سنويا فقررت منح المعلمين علاوة شهرية تتراوح بين 24 دينارا (حوالي 34 دولارا) و31 دينارا (حوالي 44 دولارا).

الطرف الرابع المطلوب لحل أزمة سد النهضة

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

أخفقت الاجتماعات التي عقدت بين وزراء الري في مصر والسودان وإثيوبيا بالخرطوم يومي الجمعة والسبت، في الحصول على نتائج إيجابية تفك بعض العقد الفنية الدقيقة في أزمة سد النهضة. وهو ما دفع القاهرة إلى التلميح مبكرا بدخول طرف رابع، حيث تأكدت من أن أديس أبابا مصممة على موقفها، والخرطوم غير قادرة على القيام بدور الوسيط لتخفيف حدة الأزمة، ربما لأنها طرف في المفاوضات، أو أنها محرجة من التوفيق بين موقفين متباعدين أصلا.

توقعت بعض الدوائر أن تكون مصر عازمة على مشاركة طرف رابع، مقصود به الولايات المتحدة، التي تحتفظ بعلاقات جيدة مع كل من القاهرة وأديس أبابا. وتعززت هذه القناعة مع إعلان واشنطن الخميس الماضي دعم المفاوضات بين الدول الثلاث للتوصل إلى اتفاق مستدام يحقق تبادل المنفعة في التنمية الاقتصادية.

كما أن الإشارة المصرية والبيان الأميركي جاءا عقب لقاء عقده الرئيس عبدالفتاح السيسي في نيويورك مع عدد من المسؤولين في بعض الشركات الأميركية الحيوية، تطرق فيه إلى أزمة سد النهضة ورفض قبوله كأمر واقع، وذلك على هامش حضوره اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة أواخر سبتمبر الماضي.

راحت الكثير من التقديرات نحو الولايات المتحدة، وتناسى أصحابها أن حكاية الطرف الرابع ليست جديدة، فقد سبق أن اقترحتها مصر عندما طالبت بمشاركة البنك الدولي منذ حوالي أربع سنوات، لكن إثيوبيا لم تتجاوب مع الطرح، مدعومة سياسيا من السودان الذي كان رازحا تحت حكم الرئيس عمر حسن البشير، ولم يكن على وفاق دائم مع القاهرة، وانحاز إلى دعم رؤية أديس أبابا في بناء السد ومراحل الملء والتشغيل.

توجهت الدبلوماسية المصرية نحو الدول الداعمة للسد الإثيوبي والممولة له، ولم تجد آذانا صاغية لتغيير موقفها المؤيد. كما أن اللجوء إلى بيوت الخبرة وإعداد دراسات فنية محايدة رفضت أديس أبابا الأخذ بنتائجهما بعد أن مالت ناحية الموقف المصري، من حيث وقوع أضرار مائية جراء بناء السد بالطريقة التي وضعتها إثيوبيا، ما يستوجب إدخال تعديلات.

في جميع المحطات التي وقف عندها قطار المفاوضات، لم تنكر القاهرة حق أديس أبابا في استغلال مواردها وبناء سدود، وكل ما تطالب به مراعاة أن المياه حياة أو موت بالنسبة إليها، ما يفرض التفاهم حول الآليات اللازمة لذلك، ضمن قنوات حوارية متعددة، وأطر فنية محددة، وهو ما قبلت به إثيوبيا في البداية، وجرى التعبير عنه في قمة الخرطوم في مايو 2015 وما تمخض عنها من اتفاق بين قيادات الدول الثلاث، ثم أخذت تتنصل منه، مستفيدة من عنصر الوقت الذي يجعل السد كيانا على وشك الانتهاء، مع قرب عملية الملء العام المقبل.

أثبتت الخطوات التي اتبعتها مصر لحل الأزمة أن الخيارات الدبلوماسية المباشرة لم تعد مجدية، والدراسات الفنية العلمية مرفوضة، ومن الصعوبة استخدام سيناريو خشن للحل في منطقة لا تتحمل صراعا ممتدا، ناهيك عن أن البلدين (مصر وإثيوبيا) لا يميلان إلى هذا النوع من الحلول، وكل طرف يتمسك بحقه في الحفاظ على مصالحه المائية بالطرق الناعمة.

ولم يحل عدم الرغبة في اللجوء إلى الخيار الأول دون وجود استعدادات عسكرية محكمة لدى الجانبين، خوفا من خروج الأزمة من عقالها، أو كوسيلة ردع تشبه امتلاك بعض الدول للأسلحة النووية أو بعيدة المدى.

ويستغرق الذهاب إلى محكمة العدل الدولية وتصعيد الموقف في مجلس الأمن –كما طالب بذلك بعض القانونيين– وقتا طويلا كي تقتنع أطراف عديدة بعدالة الموقف المصري، يصبح فيها سد النهضة واقعا، الأمر الذي تتحسب منه القاهرة، حيث اكتشفت أنها أمضت زمنا في المفاوضات بلا عائد حقيقي، وتأكدت من أن الجنرال وقت يعمل لصالح غريمتها. نجمت عن هذه المسألة معضلة عميقة، يمكن أن تنفلت من عقالها وتؤدي إلى صراع سياسي مرير غير مرغوب فيه من جميع الأطراف المعنية مباشرة بالأزمة. غير أنه كفيل بإرهاق مصر وإثيوبيا معا، وهما دولتان ترغبان في منح جل وقتهما للتطوير وتحسين أحوال المواطنين.

كما أن تصاعد حدة التوتر سوف يرخي بظلال سلبية على دول المنطقة الراغبة في الخروج من شرنقة العنف والصراعات الطويلة، أملا في البحث عن الهدوء والاستقرار، ووصولا إلى التعاون في مشروعات تنموية إقليمية.

يقدم استمرار الفجوة بين البلدين خدمة لقوى متضررة من ملامح التسويات الصاعدة في منطقة شرق أفريقيا، وبدأت بمقاربة جريئة بين إثيوبيا وإريتريا، ثم توالت في السودان وجيبوتي والصومال وجنوب السودان، وكلها تدور في فلك التخلي عن الآليات القديمة وتدشين وسائل تتماشى مع ما يحقق طموحات الدول في التنمية، وتنخرط فيها كل من مصر وإثيوبيا.

> المطالب المصرية في عدم الإضرار تلقى مشروعية لدى دوائر إقليمية معنية باستقرار المنطقة ما يحول سد النهضة إلى وسيلة للتعاون

ظهرت مكونات أولية للتنمية الجادة مع دعم السعودية والإمارات في السنوات الأخيرة لحل نزاعات المنطقة بالطرق السلمية، ودحر الإرهاب والمتطرفين فيها، وتقليم أظافر وأنياب الدول التي استثمرت أموالا طائلة في التوترات الإقليمية، وتشجيع القيادات الواعدة على تبني أفكار السلام بدلا من تغذية الحرب. ونجحت الرياض وأبوظبي في نسج شبكة متينة من العلاقات السياسية والاقتصادية مع دول المنطقة، تفتح أفقا للمزيد من التعاون الإقليمي.

تأتي في قلب هذه الشبكة الإيجابية كل من القاهرة وأديس أبابا. ولذلك فأي توتر بينهما، بسبب سد النهضة أو غيره، سوف يعوق الاتجاه التنموي الظاهر، ويمنح فرصة للدول الممتعضة منه لممارسة هوايتها في التخريب وإثارة القلاقل في منطقة لا تزال تحبو نحو الاستقرار، ولم تفرغ بعد من تصفية ميراث من المنغصات جعلها أثيرة لصراعات متفرقة. من هنا يمكن الحديث عن طرف رابع، يمكنه القيام بعملية تبديل وتوفيق لكثير من الأوضاع مصدر الخلاف بين الدولتين، والتوصل إلى حل وسط من خلال إجراءات ضرورية لبناء الثقة. فالمشكلة تتجاوز سنوات المد، حيث تريدها أديس أبابا ثلاثا فقط، بينما تصمم القاهرة على ألا تكون أقل من سبع سنوات، وإذا تم تخطي الخلاف حول قواعد ملء سد النهضة، فهناك خلافات بشأن طرق التشغيل التي سوف تكون مدى الحياة، وتحتاج إلى حوارات ومحادثات وقنوات سياسية تلعب دورا مهما في عدم الوقوع في مطبات جديدة.

يبدو الحل على أساس الحل الوسط والتنمية الشاملة والحفاظ على مصالح جميع الأطراف في قضايا متشعبة، المدخل الحقيقي للطرف الرابع الذي أشارت إليه القاهرة مؤخرا، من دون أن تفصح عن هويته، فالسد الإثيوبي مشروع قومي للقيادة السابقة والحالية واللاحقة في أديس أبابا، وأداة قد تنصهر فيها غالبية الأزمات العرقية، وتساعد على حل جزء معتبر من المشكلات الاجتماعية، ووسيلة لتطوير العلاقات الخارجية من خلال توفير طاقة كهربائية يمكن تصديرها بما يتجاوز العوائد الاقتصادية.

تلقى المطالب المصرية في عدم الإضرار مشروعية كبيرة لدى دوائر إقليمية معنية بأمن واستقرار المنطقة. وبتدخل هذه الدوائر كطرف رابع يمكن أن يتحول سد النهضة من باب مفتوح للصراع إلى وسيلة للتعاون والتكامل. وقد يجد طرحا عادلا من هذا النوع قبولا من القاهرة وأديس أبابا، ويمنع نشوب أزمة كفيل اتساع نطاقها بنشوب نزاع يصعب السيطرة عليه بسهولة، ويفضي إلى وقف الطموحات الرامية إلى تغليب التسوية على الصراع، والسلام على الإرهاب في المنطقة.

روما وأنقرة شرطيان في المتوسط

طارق القيزاني
صحافي تونسي

قبل قرون عديدة كانت إيطاليا تتحكم بشكل كامل في حركة الملاحة التجارية والعبور في البحر الأبيض المتوسط. وحتى وقت قريب كان حلم الجنرال الدوتشي موسيليني في ثلاثينات القرن الماضي، أن تستعيد روما هذا الدور القديم الذي لعبه العثمانيون والقراصنة أيضا.

خسرت روما الرهان في منتصف الحرب العالمية الثانية ولكنها وبعد عقود استعادت زمام المبادرة في حوض المتوسط من بوابة الهجرة بما جعلها أكثر الدول استفادة من الناحية الاقتصادية. يعترف "بنك إيطاليا" مثلا في دراسة نشرها في 2018 بإسهامات المهاجرين الواضحة، فلولا المهاجرون لما تمكنت إيطاليا من تحقيق نسبة نمو متراكمة بـ2.3 بالمئة بين 2001 و2011 وأن النسبة كانت ستصل إلى مستوى انكماش بـ 4.4 بالمئة أو حتى أكثر من ذلك من دون المهاجرين.

كما تؤكد الدراسة على أن التحولات الديموغرافية في إيطاليا كان سيكون لها أثر أكثر ضررا باقتصاد البلاد والتركيبة السكانية لولا تدفق المهاجرين الذين ساهموا في رفع معدل الخصوبة بشكل جلي.

على النقيض من كل ذلك لا تجد تلك الحقائق صدى لدى الحكومة الشعبوية في روما اليوم. وهي بدلا من الاستفادة الموسعة، فإنها نجحت في تغيير دفة الهجرة إلى موطن نزاع سياسي وانتخابي فج على حساب الإنجازات التي حققها المهاجرون.

لم تكتف روما بإدارة ظهر المجن للمهاجرين والأجيال الجديدة من الوافدين بل إنها نجحت في تحجيم جزء كبير من الدور الذي تلعبه سفن الإنقاذ غير الحكومية في البحر المتوسط بالإضافة إلى غلق موانئها لاستقبال اللاجئين والفارين من الحروب وسطوة الميليشيات التي تعمل لحسابها في ليبيا فضلا عن الضغوط الممارسة على تونس لتكون منصة استقبال للاجئين وجدارا أمنيا متقدما لإيطاليا في الجنوب.

وليس هذا فحسب فقد تمكنت روما من أن تستقطب الجبهة اليمينية في الاتحاد الأوربي وأن تملي مطالبها بتقييد حركة الهجرة غير النظامية لتتحول فعليا إلى شرطي الهجرة في هذا الفضاء. وسيتسنى الآن للسلطات الإيطالية وعبر إصدارها لمرسوم جديد اختصار آجال ترحيل اللاجئين الذين ترفض طلباتهم تحت أي حجة كانت، إلى مدة أربعة أشهر بدل العامين. وسيشمل هذا القرار 13 دولة من بينها تونس والمغرب والجزائر.

لا تكف إيطاليا خلال حكم زعيم رابطة الشمال ماتيو سالفيني ذي المزاج المتقلب حتى مع حلفائه في حركة خمس نجوم، عن تضييق الخناق أكثر فأكثر على المهاجرين وهو الملف الذي بات يتحكم في اتجاهات نوايا التصويت بهذا البلد.

فبخلاف المغانم السياسية لم تنجح السياسات التي دفعت بها الحكومة الشعبية قبل تصدعها، في أن تحقق أهدافها المعلنة مثل الادعاء بتفكيك عصابات تهريب البشر والحد من الموت في البحر وإيقاف نزيف الهجرة غير الشرعية على سواحل إيطاليا مقابل تعزيز الاستثمار وخلق فرص للشباب اليائس في دول المغرب العربي مثلا . و بحسب إحصائيات المنظمة الدولية للهجرة فإن رقم الوفيات من المهاجرين غير النظاميين لن يقل عن الألف هذا العام، وهو العام السادس على التوالي الذي سجلت فيه المنظمة الدولية ألف حالة وفاة على الأقل في المياه التي تفصل أوروبا عن أفريقيا والشرق الأوسط، وهي الفترة أيضا التي فقد خلالها ما لا يقل عن 15 ألف ضحية حياتهم في معابر البحر المتوسط.

وحتى تركيا التي استقطبت مئات الآلاف من المهاجرين من بلدان النزاعات في آسيا والشرق الأوسط، ولاسيما من سوريا، باعتبارها منطقة عبور إلى أوروبا فهو بلد لا يعتد به في مجال حماية اللاجئين، وهي حماية تتجاوز مجرد فتح الحدود ونصب المخيمات، فطالما أن السوريين الذين يفوق عددهم هناك الثلاثة ملايين بحسب السلطات، غير مدمجين بشكل كامل في سوق العمل التركية والواسعة وفي مؤسسات التعليم والخدمات الاجتماعية، فإن السياسة الرسمية تجاههم لا تتعدى كونها ورقة ضغط سياسية في خاصرة أوروبا الغربية.

وباستخدامه لورقة اللاجئين السوريين وخبرته في الإحاطة بالتنظيمات المتشددة داخل سوريا، نجح نظام أردوغان على مدار سنوات في كسب الكثير من النقاط السياسية والمادية أيضا على حساب دول الاتحاد الأوروبي. وهو لا يزال يبقي جيرانه الأوروبيين تحت الضغط المستمر.

ولكن على النقيض من المكاسب السياسية لأنقرة فإن يوميات السوريين في ذاك البلد لا تخلو من المعاناة اليومية بالرغم من كل المساحيق التي تسعى الحكومة إلى التسويق لها.

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

تبييض المعتقلات السوريّة أولا

محفظة مثقلة بالمعتقلين في انتظار مستشار ترامب الجديد

مرح البقاعي
كاتبة سورية أميركية

المتابع للمشهد السياسي المتقلّب بسرعة غير مسبوقة في حكم البيت الأبيض الأميركي، لا بد له أن يستشف برنامجا بعينه أراده الرئيس دونالد ترامب من تعيين مبعوثه الخاص لشؤون تحرير الرهائن، روبرت أوبراين، في منصب مستشار الأمن القومي إثر إقالته للمستشار جون بولتون.

وقد غرّد ترامب على حسابه الخاص في تويتر قبيل تعيين أوبراين قائلا "يسعدني الإعلان عن ترشيح روبرت أوبراين الذي حقّق الكثير من النجاحات في منصب المبعوث الرئاسي الخاص لشؤون تحرير الرهائن في وزارة الخارجية، مستشارا جديدا للأمن القومي".

وكان أوبراين في منصبه الوزاري السابق رئيسا لإدارة المفاوضات الخاصة بالرهائن يحظى بدعم وزير الخارجية، مايك بومبيو، وعدد من كبار الجمهوريين في الكونغرس. أما في موقعه الجديد مستشارا للأمن القومي وثاني أقوى رجل بعد الرئيس في البيت الأبيض، ومع هذا التأييد الواسع الذي يحظى به في الإدارة، سيتمكن أوبراين من إحداث العديد من الانفراجات على مستوى الرهائن والمعتقلين السياسيين الأميركيين في العالم، ومن موقعه سيشير على الرئيس بالضغط على الدول ذات التاريخ الأسود في الاعتقال السياسي، وفي مقدمتها إيران وسوريا، ليدفعها تحت ضغط العقوبات والحصار إلى إنهاء ملف الاعتقال السياسي وإطلاق سراح الأسرى والمعتقلين تعسّفا في سجونها السوداء.

ولم يأت مصادفة أول تصريح لمندوبة الولايات المتحدة الأميركية إلى الأمم المتحدة، كيلي كرافت، في الاجتماع الشهري لمجلس الأمن المخصّص للشأن السوري وتزامنا مع إطلاق اللجنة الدستورية في الجلسة عينها من قبل المبعوث غير بيدرسن، حيث قالت "هناك ما يقارب 128 ألف سوري لا زالوا قيد الاحتجاز التعسفي؛ هذه الممارسة غير مقبولة وعلى نظام الأسد إطلاق سراحهم". ودعت كذلك إلى السماح للمراقبين الدوليين بالدخول إلى السجون في سوريا.

تداعت لذاكرتي إثر سماعي نبأ تعيين أوبراين وتصريح السفيرة كرافت مشاهد لتاريخ طويل من الاعتقال السياسي في سوريا وقد شهدها العالم في مجموعة "صور سيزر" التي صدمت الرأي العام الشعبي والحكومي العالمي، وهي تكشف بالزمان والمكان عن مصير معتقلي الرأي في سجون بشار الأسد ونظامه البوليسي، صورا لم يشهد التاريخ المعاصر لها من رديف في حجم التوحّش الذي وجههه الأسد الابن ومن قبله الأب إلى أجساد أبناء جلدته في هولوكوست سوري امتد لعقود، ستكون خاتمة مقترفيه محاكم جرائم الحرب، وبئس المصير!

أطلق منصور العمري، الناشط الحقوقي الشاب والمعتقل الأسبق في سجون النظام، ملف الاعتقال السياسي في واشنطن عبر عرضه في "متحف الهولوكوست" قطع قماش هرّبها من مكان اعتقاله. وقد كتب عليها المعتقلون أسماءهم بدمائهم. شرح العمري لزوار المتحف كيف كتب هو ورفاقه أسماءهم على قصاصات القماش باستخدام عظام الدجاج بعد غمسها بدم من لثّات أسنان السجناء، وبالصدأ المتراكم على أبواب المعتقل الحديدية.

أما فدوى محمود، زوجة المعتقل السياسي الطبيب عبدالعزيز الخيّر ووالدة المعتقل ماهر طحان، فلا تَتوقف عن رفع صوتها عاليا قاصدة حكومات العالم الحرّ ومنظماته الحقوقية والإنسانية، وبرلمانات شعوبه، بهدف الضغط على حكومة دمشق للإفراج عن المعتقلين السوريين، تنفيذا لما هو شرط فوق تفاوضي في بناء الثقة خلال عملية الانتقال السياسي، ويتمثّل في الإفراج عن معتقلي الرأي كافة من معتقلات النظام السوري دونما تأجيل أو مماطلة، وتبييض زنزانات الرعب، وطيّ ملف الاعتقال السياسي إلى غير رجعة.

مصير زوج فدوى وابنها ما زال مجهولا منذ أربع أو خمس سنوات وحتى لحظة كتابة هذه السطور، بعد أن تمّ اختطافهما على يد المخابرات السورية أثناء عودتهما من الصين إثر مشاركتهما في جولة مباحثات بشأن العملية السياسية في سوريا. وكل ما عُرف عن مصيرهما كان من خلال بعض وسائل الإعلام حين أعلنت أن فرع المخابرات الجوية اعتقل الخيّر ورفيقيه إياس عياش وماهر طحان، في طريق عودتهم من المطار إلى دمشق بعد مغادرته بنصف ساعة، وذلك في تاريخ 21 سبتمبر للعام 2012. ومن الجدير بالذكر أن الخيّر من مواليد مدينة القرداحة- مسقط رأس حافظ وبشار الأسد.

روبرت أوبراين سيتمكن من إحداث العديد من الانفراجات على مستوى الرهائن والمعتقلين السياسيين الأميركيين في العالم، ومن موقعه سيشير على الرئيس بالضغط على الدول ذات التاريخ الأسود في الاعتقال السياسي، وفي مقدمتها إيران وسوريا

أطلقت فدوى مع عدد من أهالي المعتقلات والمعتقلين منظمة "عائلات من أجل الحرية" من مدينة برلين حيث تقيم بعد خروجها القسري من سوريا؛ فحالها لا يفترق عن حال الآلاف من الأمهات والزوجات والعائلات السورية التي فقدت ابنا أو بنتا في معتقلات النظام السوري، ولم تتمكن من معرفة مصيره حيث لا اتهامات حقيقية، ولا مذكرات توقيف شرعية، ولا محاكمات نزيهة أو علنية. حتى زيارات الأهل قد تكون معدومة أو نادرة في معظم الأحيان، إلا في حال قضى المعتقل تحت التعذيب، حينها فقط قد يتم استدعاء ذويه لاستلام حاجياته، والتوقيع على إقرار أن الموت حدث لسبب مرضيّ طبيعي. وغالبا ما يُمنع ذوو الشهيد من إقامة مراسم العزاء له أو الاطلاع على حال جثمانه.

أما سجون الحليف العقائدي للأسد دولة الملالي في طهران فلا يختلف الحال في معتقلاتها أو في أقبية "سجن إيفين" للحرس الثوري الإيراني عما هو في "سجن صيدنايا" سيء الذكر. وكان لآخر الضحايا ممن قدّر لهم الخروج أحياء من براثن الحرس الثوري، خبير المعلوماتية اللبناني نزار زكا، والذي تجمعني به صداقة قديمة نشأت من الحماس الذي أبداه منذ الأيام الأولى للثورة السورية، وكذلك دعمه ودعم محيطه من اللبنانيين لمطالبنا المحقّة ولتحرّكنا السياسي.

نزار تم اختطافه على طريقة قطّاع الطرق وهو يغادر العاصمة طهران مدعوا من قبل نائبة الرئيس الإيراني حسن روحاني لمؤتمر دولي للمعلوماتية في العام 2015. اقتيد نزار معصوب العينين إلى سجن إيفين حيث احتجز هناك لمدة أربع سنوات دون تهمة واضحة توجّه له عدا تلفيقهم لاتهام بالتجسس لصالح دولة أجنبية (وفي حالة نزار الدولة الأجنبية كانت الولايات المتحدة)؛ وما زال العديد من المعتقلين الأجانب رهائن في السجون الإيرانية بنفس التهمة.

قال لي نزار ودمعة شفافة تتحرك في زاوية عينيه يحاول أن يقبض عليها بتماسكه الذي أبهرني منذ عودته إلينا في واشنطن "أصعب شيء يا مرح وأشد إيلاما من التعذيب هو أن يشعر المعتقل أن العالم في الخارج قد نسيه ولم يعد يذكره إلا في ما ندر"، وتابع "هذه هي لحظة الموت الحقيقي بالنسبة لمعتقل لا ذنب له ولا جرم ارتكبه كحالتي".

يشترك الحليفان، النظام السوري والنظام الإيراني، بالغلو في ممارستهما للاستبداد السياسي، وللعصبية العقائدية التي يرجع إليها كل طرف حسب حاجته وبالطريقة التي تخدم سيطرته واستمراره في الحكم.

فدولة الملالي التي تتخذ من الدين والطائفة قناعا للتعمية عن أهدافها بعيدة المدى في السيطرة على المنطقة وثرواتها عن طريق ميليشيات إرهابية عابرة للحدود درّبتها وسلّحتها وأطلقتها لتنهش من لحم الاستقرار والأمن في دول الجوار، دولة الملالي تلك التي دخلت في حلف شيطاني مع بشار الأسد تعينه من خلاله على البقاء في السلطة مقابل أن يعينها على تنفيذ مخططها التوسعي الممتد من طهران إلى سواحل المتوسط والبحر الأحمر.

فصل المقال أنه بوصول روبرت أوبراين إلى الموقع الأكثر قوة في صناعة القرار الأميركي، ومع إطلاق الأمم المتحدة للجنة الدستورية السورية تحت مظلة قرارات مجلس الأمن 2254 و2118 وإطلاق السفيرة كرافت لتصريحها تزامنا مع الدستورية، والبدء بإجراءات بناء الثقة التي قاعدتها إطلاق جميع المعتقلين من أجل الشروع بالعملية السياسية، وتسليم الملف للسفير المخضرم في العمل الدبلوماسي والمفاوضات السياسية، غدا تحريك ملفّ الاعتقال التعسّفي استحقاقا محتوما في الظرف الراهن ليكون الإفراج عن الرهائن السوريين في سجون الأسد في مقدّمة الإجراءات المعتمدة لتأمين البيئة الآمنة التي ستسمح بالشروع بالعملية الدستورية مهيّئة الأرضية القانونية للانتقال السياسي الكامل في سوريا.

محفظة عبدالعزيز الخيّر هي آخر ما احتفظت به زوجته فدوى قبل مغادرته منذ ست سنوات لم تره بعدها ولا تعرف عنه أي معلومة تروي ظمأ الانتظار. تحمل فدوى المحفظة أينما حلّت، وهي موجودة دائما في حقيبة يدها، بل رافقتنا في كافة الاجتماعات السياسية التي كنا نقوم بها خلال جولات المفاوضات السورية التسع في جنيف ضمن مجموعة السيدات السوريات الاستشارية. فهل خروج الخيّر إلى جانب عشرات الآلاف من معتقلي الرأي وسجناء الضمير من ظلمات أقبية الأسد إلى أنوار سوريا الحرة الجديدة بات قريبا.. أتساءل!

هجوم تركي محدود على شرق الفرات

رانيا مصطفى

عادت التصريحات التركية إلى لغة التهديد والتصعيد بالقيام بعمل عسكري أحادي الجانب ضدّ ما يسمى "وحدات حماية الشعب" الكردية شرق الفرات، مع زيادة ملحوظة في التحركات العسكرية بالقرب من الحدود السورية مقابل مدينة تل أبيض في ريف الرقة الشمالي، ما ينبئ بعملية عسكرية وشيكة، حسب ما ورد في وول ستريت جورنال.

وهدّد أردوغان مرارا بشنّ هجوم عابر للحدود وقال إنّه لم يحرز تقدما مع الولايات المتحدة بخصوص المنطقة العازلة بالشكل الذي تريده أنقرة.

حاولت الولايات المتحدة امتصاص حدّة التهديدات التركية مرات عدّة، عبر إطلاق تصريحات لم ترتق إلى مستوى الأفعال، أو اتخاذ خطوات لم تكن جدية بما يكفي لتهدئة المخاوف الأمنية التركية من قيام كيان كردي على حدودها مع سوريا.

يقع على عاتق الرئيس التركي، تنفيذ تهديداته بشن هجوم على شرق الفرات، حتى لو كان هجوما رمزيا ومحدودا، وقد تراجع عن تلك العملية مرارا، وهو يرغب بتجنبها، عسى أن تستجيب واشنطن لمطلبه، خاصة أنه يعاني من ضغوط داخلية غير مسبوقة، بسبب قوة الأحزاب المعارضة بعد فوزها في الانتخابات البلدية في المدن الكبرى.

حاول أردوغان إقناع بعض زعماء العالم، خلال لقاءاته الثنائية معهم، على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، بخطة لإعادة مليوني سوري من أصل 3.6 مليون لاجئ سوري مقيم في تركيا؛ وتشمل الخطة الحصول على دعم المجتمع الدولي لبناء 140 قرية تضم خمسة آلاف شخص، و50 منطقة تضم 30 ألف نسمة في منطقة أمنية بطول 480 ألف كيلومتر وعمق 32 كيلومترا، دون أن يتمكن من مقابلة ترامب لإقناعه بالخطة وتجنب تنفيذ التهديدات التركية. فيما ينظر كثيرون إلى أنها خطة لإجراء تغيير ديموغرافي في المنطقة، بحيث تصبح موالية لتركيا.

لم تتوضح بعد ملامح الاستراتيجية الأميركية في سوريا حيال ملف شرق الفرات، بسبب الخلافات داخل الإدارة الأميركية بين وزارتي الخارجية والدفاع. فوزارة الخارجية تنحاز إلى موقف ترامب بالرغبة في سحب القوات الأميركية من سوريا، وتسليم إدارة المناطق التي تقع تحت سيطرتها إلى تحالف إقليمي تشارك فيه تركيا، مع إعطاء الأكراد دورا فيه، ومراعاة المخاوف الأمنية التركية.

فيما جيمس جيفري، المبعوث الأميركي إلى سوريا، يميل إلى الموقف التركي، بسبب علاقته الخاصة بتركيا، واطلاعه على مصالح تركيا في الإقليم، كونه سفيرا سابقا في أنقرة.

حيث يرغب جيفري، ومعه دبلوماسيون في الخارجية الأميركية، ببناء تحالفات مع العشائر العربية في شمال شرقي سوريا، بعيدا عن الأكراد، وبما يضمن عدم التمدد الإيراني في المنطقة، خاصة بعد الاختراق الإيراني الأخير في المنطقة، والذي تمثل بإعلان دمشق وبغداد عن فتح معبر "القائم" الحدودي بين البلدين.

حسب ما صرّحت به المتحدثة باسم الخارجية الأميركية، فإن مسؤولي الخارجية الأميركية ظلوا ينظرون إلى قوات سوريا الديمقراطية على أنها شريك مهم في الجهود المبذولة لإنهاء تنظيم داعش، ويجب الإبقاء على العلاقة معها، ودعمها، لتطهير المناطق المحررة، واستمرار العمل ببرامج التدريب والمساعدة الفنية لتثبيت الاستقرار.

يقع على عاتق الرئيس التركي، تنفيذ تهديداته بشن هجوم على شرق الفرات، حتى لو كان هجوما رمزيا ومحدودا، وقد تراجع عن تلك العملية مرارا، وهو يرغب بتجنبها

بالتالي تميل الخارجية الأميركية إلى حماية الأكراد، والإبقاء على الهياكل العسكرية والإدارية والأمنية لقوات سوريا الديمقراطية، مع إصلاح تلك الأجسام تدريجيا، عبر استبعاد قيادات حزب العمال الكردستاني، والقيادات غير السورية، وبالتنسيق مع الأتراك، وعبر تعزيز الثقل العربي والعشائري فيها، بما يمكنها من إدارة المنطقة وفق نموذج حكم يعزز "الاستقرار والسلام"، وبما يتناسب مع التمثيل المحلي قبل سيطرة الوحدات وتهجير السكان.

البنتاغون، والقادة العسكريون الميدانيون، ينحازون إلى الأكراد، وقد أقاموا معهم علاقات تنسيق عسكرية وميدانية وثيقة، ويتمسكون بهم باعتبارهم مقاتلين أشداء وأوفياء في معارك استعادة السيطرة على المناطق التي كان يحتلها تنظيم داعش، وهم يسعون إلى تطوير التنسيق مع تركيا لتهدئة مخاوفها الأمنية حيال الأكراد، عبر إقامة كانتونات متفرقة، وليس على كامل الشريط الحدودي، وبعمق 5 إلى 10 كيلومترات كحدّ أقصى، وتسيير دوريات مشتركة، وطلعات جوية مشتركة، وإجراء بعض الإزاحة في تمركز وحدات حماية الشعب، وفق خطة سماها البنتاغون "بالآلية الأمنية"، والتي تحضر عملياتها في مركز العمل المشترك على الحدود، في الجانب التركي.

يأتي تحفظ الخارجية الأميركية على العلاقة مع الفصيل الكردي، نتيجة عدم ثقته به، باعتباره يرتبط عقائديا وسياسيا بحزب العمال الكردستاني، الذي يحمل الأيديولوجيا الماركسية؛ وتفضل إقامة علاقات موسعة مع المكونات العشائرية والمحلية، وأن تبقي خطّا مفتوحا للتنسيق مع دمشق، التي تصرّ على استعادة السيطرة على المنطقة.

ودمشق بدورها، وبدعم وتوجيه روسيين، تستغل الخلاف التركي الأميركي حول شرق الفرات، وتسعى لاستمالة أنقرة، فبعد أن اعتبرت قوات سوريا الديمقراطية منظمة إرهابية، في مسايرة للموقف التركي، صرّح وزير الخارجية، وليد المعلم، وفي هذا التوقيت التركي المستنفر على الحدود الشمالية لسوريا، بأن القوات الفرنسية والأميركية في سوريا غير شرعية، وتجب مقاومتها.

المؤشرات تقول إن أنقرة جادة في تنفيذ تهديداتها، وإن كان بشكل محدود ورمزي لحفظ ماء وجه أردوغان، لكنها لا تستطيع القيام بذلك دون تنسيق مع الأميركيين الذين تتوزع نقاطهم في المنطقة، ومع موسكو، خاصة أن العملية قد تشمل تل رفعت، التي يسيطر عليها الروس، إضافة إلى تل أبيض.

حاولت واشنطن تجنب حدوث مثل هذه الاحتكاكات، لكنها قد تسمح بعملية محدودة لإزاحة القوات الكردية عن بعض المناطق، دون أن تتدخل في الاشتباك التركي مع الميليشيات الكردية، حيث لا يملك البنتاغون تفويضا من الكونغرس بحماية هذه الميليشيات، في ظل الخلافات الداخلية داخل الإدارة الأميركية، ولا ترغب بالاصطدام مع الجانب التركي، وهي تعلم أن الوضع الداخلي التركي، السياسي والاقتصادي خصوصا، لا يسمح لأردوغان بالتورط بعملية عسكرية موسعة شرق الفرات.

تنفيذ التهديد التركي، سيمثّل بدوره تهديدا جديدا للضغط على كل من الحليفين الأميركي والروسي، لتقديم التنازلات لتركيا، التي تستغل بدورها الخلافات الأميركية الروسية، وتسعى بشكل محموم إلى استباق أي اتفاقات روسية أميركية، تنهي الملف السوري، وتخرج تركيا، ليس من حصة السيطرة على شرق الفرات فقط، بل ومن نصيبها من إدلب، وتهدد بإضعاف دورها في عفرين وجرابلس.

أنقرة - جدّد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان التهديد بشنّ عملية عسكرية في سوريا.

وقال السبت، في خطاب نقلته وسائل الإعلام التركية "قمنا باستعداداتنا وأكملنا خطط العملية وأعطينا التعليمات الضرورية"، مضيفا أن الهجوم قد يبدأ "في أقرب وقت، اليوم أو غدا". وتابع "سنقوم بهذه العملية على الأرض ومن الجو"، مشيرا إلى أنها ستدور شرق الفرات.

وفيما يسيّر البلدان دوريات تركية أميركية مشتركة، تريد أنقرة بشكل عاجل إقامة "منطقة آمنة" لإعادة ما يصل إلى مليوني لاجئ سوري من مجموع 3.6 مليون لاجئ غالبيتهم العظمى من السوريين، وقد تصاعد السخط الشعبي على وجودهم.

كما تريد أنقرة تحريك وحدات حماية الشعب الكردية -المدعومة من الولايات المتحدة- من حدودها.

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

ذكرى حرب أكتوبر... وما تلاها

النظام السوري لم يرد في يوم من الأيّام استعادة الجولان

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

تمرّ اليوم الذكرى الـ46 على حرب تشرين أو حرب أكتوبر... أو حرب الغفران حسب التعبير الإسرائيلي. لهذه الذكرى، في هذه السنة بالذات، أهمّية خاصة نظرا إلى أنّها توفّر مناسبة للتفكير مليّا بالفائدة من الحروب وبكيفية توظيف نتائجها.

وحدها مصر بقيادة أنور السادات، بكلّ ما له وعليه، امتلكت في 1973 رؤية بعيدة المدى تتجاوز، كما حصل في سوريا، الرغبة في حماية نظام أقلّوي. لم يكن لدى ذلك النظام الأقلّوي مِن همّ، في أيّ يوم من الأيّام، غير المتاجرة بفلسطين وتسهيل تحقيق انتصارات على عرب آخرين، بوقوفه مع إيران ضدّ العراق في حرب 1980 – 1988، مثلا. هذا ما فعله ذلك النظام الذي يتحكّم بسوريا والسوريين منذ العام 1970.

في 1973، عندما اندلعت حرب تشرين، كما يسمّيها السوريون، كان البلد يعاني من الاحتلال الإسرائيلي فقط. الآن هناك الاحتلال الروسي والاحتلال الإيراني والاحتلال التركي والاحتلال الإسرائيلي، فضلا بالطبع عن الاحتلال الأميركي لمناطق معيّنة تمتلك ثروات كبيرة شرق الفرات

قبل أقلّ بقليل من نصف قرن، اتفق أنور السادات وحافظ الأسد على شن حرب على إسرائيل بغية استعادة الأراضي المحتلة. ما نجده بعد 46 عاما على آخر الحروب العربية – الإسرائيلية أن مصر استعادت كلّ أراضيها المحتلة، بثرواتها، في حين تكرّس الاحتلال الإسرائيلي للجولان. تبيّن بكل بساطة أن أنور السادات كان يمتلك عقلا استراتيجيا يفكّر في مرحلة ما بعد الحرب.

في المقابل كانت لدى حافظ الأسد رؤية مختلفة تتلخّص بحصول النظام الأقلّوي في سوريا، عن طريق الحرب، على شرعية عربية وداخلية في آن تسهّل عليه متابعة عملية القمع المبرمجة للشعب السوري وصولا إلى ما وصل إليه البلد في السنة 2019.

في 1973، عندما اندلعت حرب تشرين، كما يسمّيها السوريون، كان البلد يعاني من الاحتلال الإسرائيلي فقط. الآن هناك الاحتلال الروسي والاحتلال الإيراني والاحتلال التركي والاحتلال الإسرائيلي، فضلا بالطبع عن الاحتلال الأميركي لمناطق معيّنة تمتلك ثروات كبيرة شرق الفرات.

من أجل حماية النظام يسهل توظيف الحروب في خدمة الاحتلالات ويهون ذلك من أجل بلوغ هذا الهدف. هذا ما فعله النظام السوري الذي لا يزال يفتخر بالانتماء إلى محور "المقاومة والممانعة"، وهو محور على استعداد لاختراع كلّ أنواع الأوهام من أجل تبرير فشله في تحرير شبر من أرض فلسطين أو من الأراضي المحتلة من إسرائيل في العام 1967. من لديه أدنى شكّ في ذلك يستطيع التمعّن بمصير الجولان أو القدس الشرقية التي ضمتها إسرائيل، بموافقة أميركية، في حين تحوّلت المدينة المقدّسة إلى موضوع مزايدات إيرانية على العرب لا أكثر. وهذه مزايدات جعلت إيران تخصّص يوما في السنة للقدس نكاية بالعرب ليس إلّا في حين يتصرّف الاحتلال الإسرائيلي على هواه في المدينة من دون حسيب أو رقيب...

لعلّ أخطر ما نشهده حاليا هو تبنّي إيران وأدواتها النظرة التي امتلكها النظام السوري لمرحلة ما بعد الحرب. لم يرد النظام السوري في يوم من الأيّام استعادة الجولان الذي احتلّ في 1967 حين كان حافظ الأسد وزيرا للدفاع. كلّ ما أراده النظام السوري هو جني ثمار الحرب خارج سوريا، خصوصا بعد توقيعه اتفاق فكّ الاشتباك مع إسرائيل في العام 1974.

قبل أقلّ بقليل من نصف قرن، اتفق أنور السادات وحافظ الأسد على شن حرب على إسرائيل بغية استعادة الأراضي المحتلة. بعد 46 عاما على آخر الحروب العربية – الإسرائيلية استعادت مصر كلّ أراضيها، في حين تكرّس الاحتلال الإسرائيلي للجولان. تبيّن بكل بساطة أن أنور السادات كان يمتلك عقلا استراتيجيا يفكّر في مرحلة ما بعد الحرب

أبقى القنيطرة، عاصمة الجولان مدينة مدمّرة، بحجة أنّها شاهد على الوحشية الإسرائيلية. أليست المحافظة على الدمار منافسة مع الوحشية الإسرائيلية ولا شيء آخر غير ذلك؟

توفّر حرب صيف العام 2006، وهي حرب افتعلها "حزب الله" مع إسرائيل، نموذجا لتحويل الانتصارات الوهمية على إسرائيل إلى انتصارات حقيقية على العرب، على لبنان تحديدا. هناك رفض واضح للاعتراف بأنّ افتعال حرب مع إسرائيل في تلك المرحلة أدّى إلى هزيمة ساحقة ماحقة للبنان. لكنّ ما لا مفرّ من الاعتراف به أن "حزب الله" وظّف تلك الحرب من أجل السيطرة شيئا فشيئا على لبنان وتحويله إلى مستعمرة إيرانية. لا يدلّ على ذلك أكثر من كشف الجنرال قاسم سليماني قائد "فيلق القدس" في "الحرس الثوري" الإيراني مشاركته في إدارة تلك الحرب من غرفة عمليات في بيروت. يقول سليماني في مقابلة أجريت معه أخيرا إنّه لعب دورا مع عماد مغنيّة، الذي اغتيل في دمشق في شباط – فبراير 2008، في إخراج الأمين العام لـ"حزب الله" حسن نصرالله من بيروت إلى مكان آمن.

بلغة الأرقام، قتل في تلك الحرب 1200 لبناني، فيما لم تتجاوز خسائر إسرائيل 120 فردا. قدّرت الخسائر التي لحقت بالبنية التحتية اللبنانية بمليارات الدولارات. على الرغم من ذلك كلّه، هناك من رسم إشارة النصر. كان بالفعل انتصارا على لبنان الذي تبيّن في اللحظة التي أعلن فيها وقف العمليات العدائية بموجب القرار 1701، أن البلد دخل مرحلة جديدة. تتمثّل تلك المرحلة بالرغبة في قطف ثمار اغتيال رفيق الحريري ورفاقه في الرابع عشر من شباط – فبراير 2005. فالهدف من حرب صيف 2006 لم يكن سوى التغطية على جريمة اغتيال رفيق الحريري.

بعد حرب تشرين، شعر النظام السوري براحة ليس بعدها راحة. كان يدخل بين حين وآخر في مفاوضات مع إسرائيل مباشرة، أو عبر الأميركيين. لكنّه لم يرغب يوما في تحقيق أي اتفاق من أيّ نوع. كان همّ السادات إنقاذ مصر، في حين كان همّ حافظ الأسد إنقاذ النظام.

يتبيّن مع مرور كل تلك السنوات أن سلوك النظام السوري صار بحد ذاته مدرسة. ففي المحصلة، مهّدت حرب 1973 للدخول العسكري السوري إلى لبنان، وهو دخول استمرّ حتّى نيسان – أبريل من العام 2005. بعد خروج السوري من لبنان، استطاعت إيران ملء الفراغ العسكري والأمني الناجم عن هذا الخروج وصولا إلى مرحلة صارت تختار فيها من هو رئيس الجمهورية اللبنانية المسيحي... وهذا ما حصل بالفعل في السنة 2016 بعد إغلاقها لمجلس النوّاب لمدة سنتين ونصف سنة.

لا يزال لبنان الذي يعاني حاليا من أزمة سياسية واقتصادية وبنيوية لم يسبق له أن مرّ بمثيل لها منذ قيامه في حدوده الحالية قبل 99 عاما، ومنذ استقلاله في العام 1943، يدفع ثمن الانتصارات العربية وغير العربية الوهمية على إسرائيل. لا يزال هناك، خصوصا في طهران، من يريد تكرار الاستفادة السورية، بالمعنى السلبي للكلمة، من مرحلة ما بعد حرب 1973.

لا يزال هناك من يؤمن بأن استمرار حال اللاحرب واللاسلم أفضل تجارة يمكن أن تمارس في كلّ منطقة الشرق الأوسط والخليج. إنّها تجارة حماية النظام بدل حماية البلد. النظام السوري مستعد لكل شيء من أجل الادعاء أنّه لا يزال حيّا يرزق في دمشق. وإيران تعتقد أنّه مسموح بكل الألاعيب والمناورات من أجل إثبات أنّها لاعب إقليمي... حتّى لو كان ذلك على حساب لبنان وسوريا والعراق وفلسطين واليمن. إنّها مدرسة تؤمن، بكل بساطة، بأن الانتصار على لبنان بديل من الانتصار على إسرائيل.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

قطر ما الذي فعلته بنفسك؟

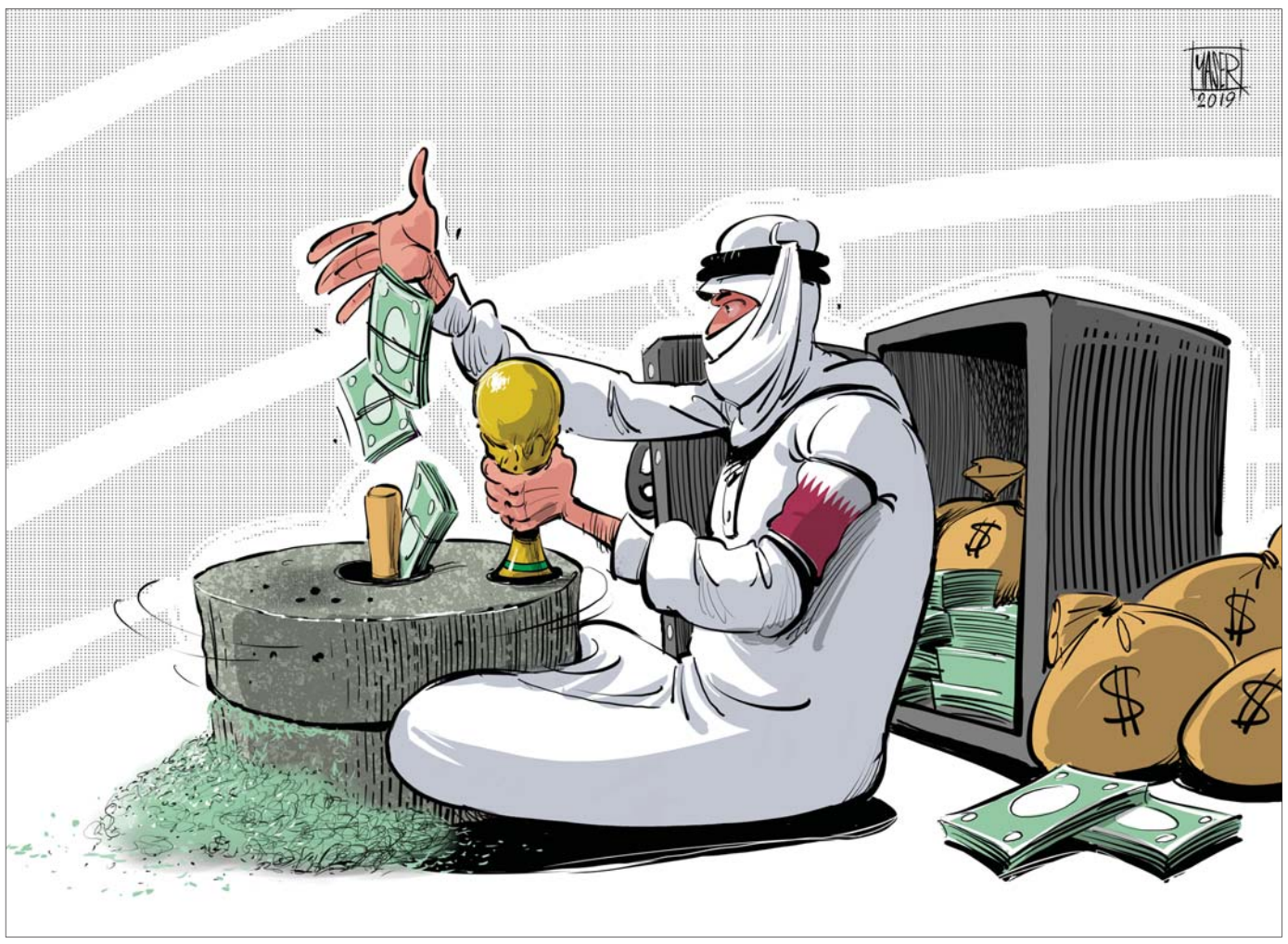

فاروق يوسف

يوم أقمت فيها قبل أكثر من عشرين سنة كانت الدوحة مدينة كريمة ومتسامحة ومتواضعة. كنتُ أراها بريئة إلى درجة السذاجة، بحيث صدّقت أن "دوار مجنون" هو جزء من تلك البراءة. ولأني كنت أتحاشى المرور بذلك الدوار بسبب كثرة الشوارع المتقاطعة فيه من غير وجود إشارات ضوئية فقد كان علي أن أقضي وقتا أطول في العودة إلى بيتي من مقر عملي.

اليوم يعيش القطريون في مدينة أخرى. تلك مدينة أقيمت على آثار المدينة التي عرفتها. تبني الدوحة نفسها من أجل أن تكون مؤهلة لاستقبال مباريات كأس العالم. أيعقل أن تُبنى مدينة من أجل حدث مؤقت؟ لقد صدق القطريون الكذبة. بنيت برازيليا لأسباب عملية. بالطريقة نفسها بنيت دبي. أما الدوحة فإنها تُبنى لأسباب استعراضية

أحببت تلك الدوحة ولا أزال أحبها. فيها تعرفت على نوع من الصلح الداخلي لم يكن ممكنا في العراق الذي تفرغ لقسوته وعنفه وجنون سياسييه. كان بيتي في شارع شراعوه قريبا من المتحف الوطني يطل على البحر.

كنت أمارس رياضة المشي على الكورنيش وصولا إلى فندق شيراتون بمثلثه المقلوب وهو آخر معالم المدينة التي تدير ظهرها للبحر من أجل أن تتأمل الصحراء.

غير أن ما صدمني في الدوحة أنني اكتشفت عن طريق الصدفة أنها كانت تأوي فريقين عقائديين متشددين يظهران على السطح كما لو أنهما عدوّان متناقضان وهو ما لم يكن حقيقيا. جماعة الإخوان المسلمين المصرية وحزب الدعوة الإسلامية العراقي المرتبط بإيران.

كان ذلك الاكتشاف حدثا محزنا بالنسبة لي.

أما مشهد الزعيم الإخواني السوداني حسن الترابي وهو يتجول بين مجالس الدوحة باعتباره ضيفا أميريا فقد ترك أثرا كئيبا في قلبي. وكانت خطب القرضاوي في مساجدها تحث المصلين على تمويل الجماعات الإرهابية وفي مقدمتها طالبان.

يومها انفتحت عيني على المعنى الذي انطوت عليه السخرية الإعلامية القطرية من مصر وعمق العلاقة القطرية بإيران.

دفعني ذلك التفكير إلى مغادرة الدوحة وهو ما استغربه الكثيرون الذين لم يصدّقوا أن يغامر عراقي كان قد أحرق المراكب من ورائه بترك حياة تتكلف في ترفها.

اليوم يعيش القطريون في مدينة أخرى. تلك مدينة أقيمت على آثار المدينة التي عرفتها.

تبني الدوحة نفسها من أجل أن تكون مؤهلة لاستقبال مباريات كأس العالم. أيعقل أن تُبنى مدينة من أجل حدث مؤقت؟ لقد صدق القطريون الكذبة. بنيت برازيليا لأسباب عملية. بالطريقة نفسها بنيت دبي. أما الدوحة فإنها تُبنى لأسباب استعراضية.

وبغض النظر عن تفاهة السبب يقبل المرء ببناء مدينة حديثة. الفكرة نفسها تنطوي على شيء من الظرف والمزاج العملي. لمَ لا؟ لن يتوقف القطريون عن بناء مدينتهم بسبب حبي الرومانسي لمدينة غادرتها. غير أن الدوحة التي ارتفعت مبانيها كانت في الوقت نفسه تغوص داخل أرض ملتبسة بتفاصيلها الغامضة. فهي من جهة تستقبل الخارجين على القانون من أعداء الحياة الحديثة وهي من جهة أخرى تطرد خمسة آلاف من مواطنيها هم بنو مرة حين تجردهم من حقهم في المواطنة. دائما كنت أمر بسيارتي بالقصر الأميري القديم الذي كان يقع في محاذاة الكورنيش ويخيل إلي أن الأمير يغمض عينا ويفتح أخرى ولا يقوم بالنظر بعينيه معا أبدا.

لذلك تكثر التناقضات في كل ما تقوم به قطر. فهي دولة تدعم الجماعات الإرهابية وفي الوقت نفسه تستعد لاستقبال مباريات كأس العالم التي هي مناسبة للتسامح والإخاء والمحبة.

قطر التي تدعو إلى إقامة نظام ديمقراطي في سوريا وليبيا وسواهما من الدول المنكوبة بمالها هي في حقيقتها لا تنظر إلى أحوالها الداخلية إلا من خلال منظار قبلي ضيق.

دولة تُبنى من أجل كأس العالم.

وماذا بعد كأس العالم؟ هل ستستورد قطر سكانا ليحلوا في فنادقها الفارهة؟

لست هنا بصدد مناقشة سياسات الحكومة القطرية ولكنني أعجب لما حدث للمدينة التي كنت أحبها. كان في إمكان المرء أن يراها أما اليوم فإنها صارت عصية على النظر، يتوقع المرء في أي لحظة أن يبتلعه وحشها.

آثار الإرهابيين الذين دعمتهم قطر لن تغادر خرائب حلب وحماة وحمص وتدمر والفلوجة ونينوى إلى الأبد.

في يوم الاستقلال العراقي الحزين

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

من غرائب المصادفات أن يحل يوم الثالث من أكتوبر على العراق، وهو يوم الذكرى السابعة والثمانين لاستقلاله وخلاصه من الانتداب البريطاني ودخوله عصبة الأمم في العام 1932، وهو بلا استقلال، وتحت الوصاية والانتداب والاحتلال، من جديد.

ففي الثاني من أكتوبر، وفي الثالث منه، أمطرت الدنيا على الرئيس العراقي برهم صالح برقيات من كثيرين من الرؤساء والملوك العرب والأجانب، تهنئه بيوم الاستقلال الوطني، وتدعو له، شخصيا، بطول العمر، ولشعبه بالأمن والأمان، وبالهناء والاسترخاء.

وهذه واحدة منها: "بعث الملك سلمان بن عبدالعزيز برقية تهنئة للرئيس العراقي برهم صالح بمناسبة ذكرى استقلال بلاده، باسمه وباسم شعب وحكومة المملكة العربية السعودية، معبرا فيها عن أصدق التهاني وأطيب التمنيات بالصحة والسعادة لفخامته، ومتمنيا لحكومة وشعب العراق الشقيق مزيدا من الأمن والاستقرار".

وتذكيرًا لمن نسي أو تناسى، نعود إلى أصل الحكاية. فقد عقدت الحكومة العراقية، وكانت تحت الانتداب البريطاني، مع بريطانيا في الثلاثين من يونيو عام 1930 معاهدة تمهد لإنهاء الانتداب البريطاني على العراق، ودخوله إلى عصبة الأمم. ولكن المعارضة الشعبية الواسعة للمعاهدة المعروفة باسم معاهدة بورتسموث، والتي هتفت فيها الجماهير: (نوري السعيد القندرة، صالح جبر قيطانها)، جعلت مجلس عصبة الأمم يقرر في 4 من ديسمبر عام 1931 تشكيل لجنة خاصة لدراسة طلب الحكومة العراقية الانضمام إليها كدولة مستقلة. وفي 3 من أكتوبر عام 1932 وافقت عصبة الأمم على الطلب، ليبدأ العراق عهدًا جديدا في تاريخه الحديث.

وكان منتظرا، في يوم الاستقلال المجيد، هذا العام، أن يستفيق العراقيون، من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، ومن الشرق إلى الغرب، ليحتفلوا بهذا اليوم السعيد، فتقام الأفراح والاحتفالات العسكرية والمدنية في كل مدينة، وتُسيَّر المواكب الشعبية والحكومية، وتصدح الموسيقى، وتتعالى الأناشيد الحماسية، وتُعطل المدارس ودوائر الحكومة ليتمكن جميع المواطنين، جنوبيين ووسطيين وشماليين، من المشاركة في أعراس هذا اليوم الكبير.

وكان مؤملا، بعد سبعة وثمانين عاما من الحرية والاستقلال والإعمار، والإنفاق المجزي من ثروات الوطن الغزيرة على التعليم والصحة والزراعة، والعناية بالموهوبين والمبدعين، ورعاية العلماء، أن نرى فخامة الرئيس برهم صالح، من على شاشات التلفزيون، وهو بالبزة الرئاسية المزركشة التي يرتديها الرؤساء في الأيام الوطنية السعيدة، محاطا بسابقيْه الرئيسيْن الباقييْن على قيد الحياة، غازي الياور وفؤاد معصوم، ثم رئيس وزرائه الحالي عادل عبدالمهدي، ومعه رؤساء الوزارات السابقون، إياد علاوي وإبراهيم الجعفري ونوري المالكي وحيدر العبادي، ثم كبار رجالات الدولة العسكريون والمدنيون، هادي العامري وقيس الخزعلي وأبومهدي المهندس وفالح الفياض ومقتدى الصدر وعمار الحكيم، وهو يستقبل كبار مهنئيه بهذا اليوم العزيز من السفراء العرب والأجانب، وشيوخ العشائر ورجال الدين. وفي ساحات القصر الجمهوري تصدح الموسيقى العسكرية، وتتعالى زغاريد الأمهات وهتاف الجماهير بيوم الاستقلال والنصر المبين.

ولكن، في ذكرى يوم الاستقلال، من هذا العام الحزين، أفاق العالم في يوم الثلاثاء الأسود، ويوم الأربعاء الأكثر سوادا، على أصوات المدافع والبنادق وهي تلعلع في ساحات بغداد والناصرية وكربلاء التي هتفت (طهران بره بره، كربلاء حرة حرة)، وعلى هدير سيارات القمع الوطني، وعلى الحرائق ودخان القنابل، وعلى العويل والبكاء، وعلى طوفان الجموع الثائرة المطالبة بنصيبها من الحياة الحرة الكريمة التي قال رئيس الجمهورية صالح للأمم المتحدة إنها قد تحققت في عهده وعهد أصحابه، عادل عبدالمهدي، وكاكه فؤاد حسين، وقبله كاكه هوشيار زيباري، والراحل العم جلال الطالباني، وكاكه مسعود، وسليم الجبوري ومحمد الحلبوسي وأسامة النجيفي وخميس الخنجر، وميليشياتهم وأقاربهم وأصحابهم أجمعين.

ففي يوم الاستقلال من هذا العام سال دم غزير من خيرة شباب الوطن، وسقط جرحى كثيرون، وانهمر في بغداد والناصرية والبصرة والنجف وكربلاء رصاص حي أطلقه مسلحون من الحكومة ومن الحشد الشعبي، ومن جواسيس قاسم سليماني، بزعم أن بين هؤلاء المنتفضين مدسوسين، مخربين، مأجورين لأميركا ولقوى الاستكبار العالمي الأخرى للقضاء على دولة الإمام الحسين، وجمهورية وريثه الولي الفقيه.

في يوم الاستقلال من هذا العام سال دم غزير من خيرة شباب الوطن، وسقط جرحى، وانهمر في العديد من المدن العراقية رصاص حي أطلقه مسلحون من الحكومة ومن الحشد الشعبي ومن جواسيس قاسم سليماني

والمحزن والغريب أن التي انتفضت هي فقط جماهير المحافظات الجنوبية، أما عرب المحافظات السنية، وأما عراقيو المحافظات الكردية الثلاث، فقد اكتفوا بالفرجة على شاشات التلفزيون والفيسبوك، وكأن الذين تساقطوا برصاص الغدر والخيانة ليسوا أشقاءهم، وكأنهم لم يثوروا من أجل وطن حر رؤوف بأبنائه أجمعين، بلا تمييز ولّا تهميش وكأن الذين سرقوا ونهبوا وظلموا وخانوا لم يصيبوا أحدًا منهم بأذى ذات يوم.

وأغلب الظن الذي يشبه اليقين أن شعبنا العراقي الشجاع سوف يفعل ما فعلته شعوبٌ أخرى قبلنا كانت أحوالُها أقلّ سوءًا، لكنها لم تصبر طويلا على الظلم، وتظاهرت، سلما، في البداية، وحين لم تُنصف ولم تُحترم مطالبها، أطلقت ثورتَها شاملةً لم تهدأ حتى اقتلعت الفساد من جذوره، ورمت بحكامها الفاسدين في صناديق القمامة، برغم كل ما كان لديهم من عساكر ومدافع وقلاع.

نعم، لقد غدر الغادرون بشباب وطننا، ولكن غدرهم أيقظ الملايين بعد الملايين من العراقيين، وسوف ينتفضون مجددا. وسوف ينتصرون.

جموع غاضبة تطالب بنصيبها من الحياة الكريمة

شبان عراقيون يلتفون على حجب الإنترنت

بغداد - عبر اللجوء إلى وسائل إرسال سرية وأساليب غير مستخدمة على نطاق واسع ورسائل خارجية باهظة الثمن، يحاول شبان عراقيون الالتفاف على عملية حجب الإنترنت التي أقدمت عليها السلطات العراقية لتضييق الخناق على الاحتجاجات الدامية.

بعد انطلاق موجة الاحتجاجات الثلاثاء والتي أسفرت عن مقتل نحو مئة شخص منذ الثلاثاء في بغداد والمحافظات، حجبت السلطات العراقية إمكانية الوصول إلى فيسبوك وتطبيق واتساب، قبل أن تقطع الإنترنت تماما الأربعاء، تاركة المتظاهرين بلا وسيلة تواصل عدا الاتصالات والرسائل العادية. ولكن ليس كل المتظاهرين!

أحمد (29 عاما) هو أحد العاملين في إحدى الشركات المزودة للإنترنت والتي نفذت قرار الحكومة بقطع الإنترنت، لكن موظفيها ما زالوا قادرين على الدخول إلى الشبكة في مقر الشركة.

يقول هذا الشاب مستخدما اسما مستعارا خوفا من أي ملاحقة قانونية "أذهب إلى التظاهرات صباحا، وأصور فيديوهات بهاتفي، ثم أعود إلى مقر عملي وأستخدم الإنترنت لتحميلها (الفيديوهات) على فيسبوك أو أرسلها إلى وسائل إعلام خارج العراق".

ويقول أحمد "رفاقي يسلمونني المواد التي يصورونها على مفاتيح ذاكرة (يو أس بي) كي يتمكن الجميع خارج العراق من أن يروا ما يحصل هنا".

قبل يوم الثلاثاء، كانت وسائل التواصل الاجتماعي منصة العراقيين للدعوة إلى التظاهر، خصوصا عبر فيسبوك وإنستغرام، ضد البطالة والفساد والمحسوبيات وانعدام الخدمات الاجتماعية وغيرها.

وفي اليوم الأول، غزت صور الرجال والنساء وهم يسيرون باتجاه ساحة التحرير الرمزية في وسط العاصمة، وسائل التواصل الاجتماعي، مع استخدام هاشتاغ "#نازل_آخذ_حقي".

وعندما بدأ حجب فيسبوك، تحرك العراقيون لتنزيل تطبيقات الـ"في بي أن" (شبكة افتراضية تتيح الاتصال بخوادم خارج البلاد)، وبدأ آخرون بنشر التفاصيل عن التظاهرات المرتقبة في قسم تعليقات شبكة "سينمانا"، وهو تطبيق بث برامج ومسلسلات ذو شعبية في العراق.

وأقدم آخرون على استخدام وسائل اتصال بالأقمار الاصطناعية، وهي ذات تكلفة مرتفعة جدا، من أجل التواصل مع العالم الخارجي.

ولفت المحتجون إلى أن حجب الإنترنت هو محاولة لمنع نشر التقارير عن عمليات القمع التي تقوم بها القوات الأمنية التي استخدمت في صد المحتجين الغاز المسيل للدموع وخراطيم المياه والرصاص الحي.

ويقول المتظاهر أسامة محمد (31 عاما) "إنهم يحاولون مواجهتنا ليس فقط بالسلاح، بل بالحجب أيضا".

ويضيف "اعتدنا الاطلاع على كافة صفحات الفيسبوك للأحياء المجاورة لنا، لمعرفة وجهتنا للتظاهر. الآن نتبع صوت الرصاص فقط".

وتعتبر الناشطة النسوية رشا (25 عاما) أن التظاهرات تشكل خطرا كبيرا عليها إذا شاركت فيها. لكنها مع ذلك وجدت طريقة أخرى للانخراط في الحراك. يقوم رفاقها الشبان يوميا بتزويدها برسائل عبر الهاتف عن آخر التطورات في ساحات الاحتجاج على امتداد العراق، وتقوم هي بتحويل تلك الرسائل إلى أصدقائها خارج العراق.

وتحتفظ رشا أيضا بفيديو وبعض المواد التي لم تنشر من إحدى التظاهرات الأولى التي شهدت عنفا، وكانت هي إحدى المشاركات فيها. وتقول "يعتقدون أننا سننسى أنهم أطلقوا النار علينا، يعتقدون أن الناس لن يعرفوا. ولكن لدي فيديوهات، وسأنشر كل شيء رأيته لحظة عودة الإنترنت".

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

مرجعية النجف ليست طرفا محايدا حان وقت الإصلاح

زيد بن رفاعة

لم يكن الحدث كسابقاته، من التظاهرات والاحتجاجات التي تشدها عادة ساحة التّحرير وسط بغداد، تلك الساحة المُزينة بنصب الحرية منذ سنة 1961، وهو العام الذي توفي فيه نحاته جواد سليم. كانت هذه الساحة تحتفي بالتظاهرات التي تُقيمها الدَّولة. ومنذ 2003 تحولت إلى مكان لاحتجاجات المعارضة الشعبية. كانت أشدها احتجاجات 2011، والتي اغتيل إثرها أبرز المتظاهرين هادي المهدي. وكانت آخر مكالمة تلقاها المهدي من أحد أصهار نوري المالكي، لكن احتُفظ بالتليفون من قِبل الجهات المختصة ولم يظهر للتحقيق نتيجة. حينها ظهر على شاشة تلفزيون البغدادية والإصابات والأورام بائنة على وجهه نتيجة التعذيب عند اعتقاله. وقال بالحرف الواحد: أنا أُقلد المرجع آية الله السيستاني وأريده أن يتدخل وينصفني، لكنه اغتيل بعد فترة قصيرة جدا.

هذه المناجاة من قبل المتظاهر المذكور، وكان سابقا في المعارضة قريبا إلى الإسلاميين، تصلح مدخلا لمقالنا هذا، من أن المرجعيَّة تملك كل شيء، من التبة العباسية والعتبة الحسينية، وهي بمثابة العتبة الرَّضوية التي يشرف على أموالها الولي الفقيه علي خامنئي، وهي تمسك بزمام البلاد اقتصاديا بينما يمسك بزمام البلاد أمنيا الحرس الثوري. لم تظهر المرجعية حينها استنكارا لهذا الاغتيال، وللاعتقالات التي طالت الشباب المتظاهرين.

يبدو أن المرجعية نفسها فقدت المصداقيّة، وصار همها كيفية المحافظ على هذا النظام، لكنها تحاول مداراة المزاج الشعبي، خشية الالتفات عنها، فهي التي وضعت اللبنة الأولى في هذا النظام الفاسد

يصعب اعتبار المرجعيَّة الدينية طرفا محايدا بين مطالب الناس وحاجاتهم والسلطة، التي كانت سببا لترسيخها على أساس المحاصصة الطائفية، عندما دعمت بقوة (2005) القائمة الشيعية، والتي أفرزت الانتخابات حينها عن محاصصة، ما زالت البلاد تتحمل المساوئ بسببها.

عجلت المرجعية الدينية بالانتخابات، خشية البقاء لفترة انتقالية سيفرق الجمهور الطائفي. ولم تظهر حكومة شيعية موالية لها. وعجّلت بكتابة الدستور والاستفتاء عليه، وهو الآن المشكل الأكبر. ومنذ ذلك التاريخ صار للمرجعية الدينية بالنجف خطيبان: خطيب العتبة العباسية أحمد الصَّافي، وخطيب العتبة الحسينية عبدالمهدي الكربلائي. يبثان ما تفكر فيه المرجعية الدينية. وعندما نقول المرجعية الدينية المقصود أولا نجل المرجع محمد رضا السيستاني، قبل أبيه، فهو لسان حال الأب ومدير مكتبه، والمصدر لتوجيهاته. أما وكلاء المرجع الكبار فهم أصهاره بقمّ ولندن.

منذ بدأت المرجعية الدينية تبث آراءها عبر الخطيبين المذكورين، وحتى آخر خطاب، ليس فيها غير النصائح والتطمين، وكأنها تريد تبرير وجودها لمُقلديها مِن العراقيين، بينما تريد اطمئنان إيران على مصالحها بالعراق، فهي عندما وجهت بفتوى الجهاد الكفائي (2014) كانت نتيجته عسكرة البلاد، وتأسيس الحشد الشعبي. لكنها لا تريد الإعلان عن اعتراضها على هذا الحشد، الذي لم يتأسس بالفتوى المذكورة. بينما هي تدعي أن الفتوى كانت واضحة وتقصد الانخراط تطوعا في القوات المسلحة، وأن لا تُشكل قوات خارجها. لكن كان بالإمكان للمرجعية أن تكون واضحة وتفتي بإلغاء ما تأسس خارج منطوق فتواها، فما الذي عطلها عن ذلك، غير الرضا بما حصل.

شيدت المرجعية الدينية إدارة اقتصادية عبر العتبتين، الحُسينية والعباسية. ولما كشفت قناة "الحرة" عن الفساد في العتبتين، ثارت ثورتها، وادعت كذب ذلك التقرير، أما السلطة ممثلة في الإعلام فاتخذت موقفا ضد تلك القناة وعطلتها عن العمل في بغداد.

على الرغم من الكارثة، وتزايد عدد القتلى حتى وصل إلى المئة في آخر الأخبار، والمئات من المعتقلين، والمطاردين، ترى خطبة المرجعية في يوم الجمعة الرابع من أكتوبر، والتظاهرات مستمرة، تتحدث عن العنف والعنف المضاد، أي عنف القوات الأمنية، وقالت "الاعتداءات مرفوضة على المتظاهرين وعلى القوات الأمنية"، دون أن تتحقق من أيهما بدأ العنف، ومَن المعتدي ومن المدافع عن نفسه.

لم يختلف الخطاب عما سبقه منذ خمسة عشر عاما: المطالبة بالإصلاح، ومعالجة الفساد، وتحسين الأوضاع، وتحميل الحكومة المسؤولية. وهل يجد عاقل أن الحكومة لا تتحمل المسؤولية، كي تُذكر بها المرجعية الدينية؟

عادت المرجعية في خطبتها الأخيرة إلى التذكير بمقترح تشكيل لجنة من خارج السلطة للتحقيق في الفساد، لكنها لا تذكر كم من المحققين اغتيلوا وطردوا من مناصبهم، لأنهم أرادوا الوصل إلا تلك المافيات.

المسألة لا تحتاج إلى لجنة متخصصة، ستكون عتبات المرجعية معفية منها بالتأكيد، إنما كل مواطن يعرف ماذا كان يملك نوري المالكي وما هو عليه الآن بعد السلطة. وماذا كان يملك إبراهيم الجعفري. وماذا صار عليه بعد السلطة. وكم من العقارات اغتصب المجلس الأعلى وحزب الدعوة والتيار الصدري. وكم أضرحة أقيمت على أراضي الدولة لقادة الأحزاب. وأين ذهبت المليارات التي تأكد أنها ضائعة، وقد قُدرت بـ450 مليار دولار. وهناك حديث يجري عن أنها سلمت إلى إيران مقابل خسائرها في الحرب مع العراق، وهذا غير مستبعد، من الأحزاب التي تعتبر الولي الفقيه قائدها الأعلى.

يبدو أن المرجعية نفسها فقدت المصداقيَّة، وصار همها كيفية المحافظة على هذا النظام، لكنها تحاول مداراة المزاج الشعبي، خشية الالتفات عنها، فهي التي وضعت اللبنة الأولى في هذا النظام الفاسد. مع علمنا أنه لم يحصل أن هيمنت مرجعية دينية، وبهذا العمق، على وضع السلطة في العراق، لا من الشيعة ولا من السنَّة، مثلما هيمنت هذه المرجعية.

صورة باهتة للمرجعية في ساحة التحرير

مجددا، مدن العراق تنتفض

عديد نصار
كاتب لبناني

ليست المرة الأولى التي تشهد فيها المدن العراقية انتفاضة شعبية واسعة في ظل سيطرة القوى الطائفية التابعة بشكل أو بآخر لنظام الملالي. وليست هي المرة الأولى التي تشهد فيها انتفاضة العراقيين ردا قمعيا منفلتا تشنه أجهزة القمع التابعة للنظام، كما أنها ليست المرة الأولى التي تنخرط فيها أطراف ميليشياوية تابعة للحرس الثوري الإيراني في عمليات القتل وملاحقة الناشطين حتى منازلهم للتخلص منهم.

وكذلك ليست هي المرة الأولى التي يرتفع فيها هتاف: بغداد حرة حرة، إيران بره بره، في المظاهرات التي عمت مدن الجنوب والوسط وكذلك العاصمة بغداد، حيث أحرق العلم الإيراني أكثر من مرة.

لكنها ربما هي المرة الأولى التي ينزل فيها العلم الإيراني عن مبنى السفارة الإيرانية في بغداد ليرفع العلم العراقي مكانه. ولهذه العملية رمزية كبرى تؤكد أن الشعب العراقي يعتبر الوجود الإيراني في العراق احتلالا يجب التخلص منه، وهذا ما يؤرق أركان نظام الملالي في طهران وربما يدفعهم إلى ارتكاب جرائم لا تقل دموية عمّا ارتكبوه في سوريا، بحق الشعب العراقي التواق إلى التخلص من كل ما أوجده الوجود الإيراني في العراق من كوارث وضعت غالبية الشعب الإيراني تحت خط الفقر ودمرت كل المرافق الخدمية وتركت العراق بلا زراعة وبلا صناعة، وبلاد الرافدين بلا ماء وثاني أغنى بلد بموارد الطاقة في العالم بلا كهرباء.

صحيح أن العراقيين ينتفضون ضد قوى فاسدة مسيطرة منذ 15 عاما، نهبت المالية العامة ووضعت العراق في أعلى قائمة الدول الأكثر فسادا، وتركت أبناء الشعب العراقي بلا عمل فعمت البطالة والفقر، وأهملت القطاعات الصحية والتربوية وأفسحت المجال للميليشيات الإجرامية فغاب الأمن وتراجعت العدالة، لكنهم بحسهم الطبيعي يدركون أن هذه القوى ما كانت لتسيطر وتمارس فسادها وتدميرها للوطن لولا تبعيتها لنظام الملالي وحمايتها من قبل الحرس الثوري. لذلك رأينا المتظاهرين قبل عام في البصرة ومحافظات الجنوب يرددون الهتاف ذاته: العراق حرة حرة، إيران بره بره. حيث أحرقت القنصلية الإيرانية في البصرة وعدد من مكاتب الأحزاب والميليشيات الملحقة بالحرس الثوري.

وحيث نعلم أنه أثناء وعقب مظاهرات البصرة والجنوب في العام الماضي، شنت تلك الميليشيات والمجموعات التابعة لإيران حملة تصفيات واغتيالات طاولت العديد من الناشطين والإعلاميين وسواهم في مدن الجنوب، لذلك يخشى أن تمارس تلك المجموعات عمليات أوسع مدى وأكثر دموية بحق الناشطين العراقيين خلال الانتفاضة الحالية بعد أن اغتيل الناشط حسين عادل وزوجته سارة الخميس الماضي على يد مجهولين اقتحموا منزلهما في مدينة البصرة.

وكنا قد شهدنا تدخلا مباشرا لقائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني أثناء حراك البصرة ومدن الجنوب العراقي العام الفائت حين زار بغداد وأوعز إلى الحكومة العراقية بضرورة وقف التظاهرات، واليوم تفصح الحكومة الإيرانية عن موقفها حين "تعرب عن أسفها للاضطرابات في المدن العراقية وتقول إن الحكومة ببغداد لن تسمح باستمرار بعض التحركات التي يستغلها أجانب".

أما المسؤولون العراقيون الذين يعترفون بأحقية مطالب المتظاهرين، فيصرون على أن هنالك مندسين يعملون على حرف التظاهرات عن أهدافها. فقد تم تعطيل شبكة الإنترنت في عموم البلاد ثم أعلن رئيس الحكومة عادل عبدالمهدي منع التجول في بغداد اعتبارا من الخميس وحتى إشعار آخر! ثم منع التجول في محافظة ذي قار، ليطل الساعة الثالثة من فجر الجمعة بعد ثلاثة أيام من المظاهرات التي كسرت حظر التجول المعلن وشهدت عمليات قمع واسعة وعنفا مفرطا من قبل الأجهزة الأمنية وملاحقات ومداهمات من قبل مسلحين ملثمين ضد المتظاهرين حصدت أكثر من 40 قتيلا ومئات المصابين حتى الجمعة، ليعلن عن إنجازات حكومته في مجال مكافحة الفساد وتأمين السكن والكهرباء وفرص العمل للخريجين!

خطاب عبدالمهدي لم يحرك في النشطاء والمتظاهرين سوى السخرية والاستمرار في التظاهر وتوسيع رقعته ليصل الخميس إلى طريق مطار بغداد، ردا على الجرائم المتواصلة بحقهم رغما عن تصريحات المسؤولين بدستورية الحق في التظاهر.

تأتي الانتفاضة العراقية اليوم في ظل الحصار المطبق على إيران، وباعتبار أن العراق هو المتنفس الوحيد المتبقي لها، تشن وسائل الإعلام التابعة لها حملة مسعورة مثقلة بالأكاذيب على هذه الانتفاضة وضد ناشطيها. فجريدة "الأخبار" اللبنانية في عددها الصادر الخميس 3 أكتوبر، وعلى لسان الكاتب نور أيوب، اعتبرت أن من حق الشباب العراقيين التظاهر من أجل مطالبهم المحقة لكنها تساءلت عن "المحرك الفعلي" للشارع وعن "التوقيت" الذي تفجرت فيه هذه التظاهرات؛ فتحت عنوان يعبر عن سخط المحور الإيراني من الانتفاضة العراقية "فوضى العراق: واشنطن تبتسم للفتنة"، كتب الخطيب قائلا:"تشهد المدن العراقية، منذ يومين، تظاهرات شبابية محقة في مطالبها، تفتقد قيادة واضحة تديرها. افتقادٌ يفتح الباب أمام التساؤل عن المحرّك الفعلي للشارع، وماذا يريد في هذا التوقيت تحديداً".

الأسلوب الممجوج الذي اعتادته أبواق الأنظمة المترنحة تحت وطأة الانتفاضات الشعبية العارمة تستعيده اليوم وسائل الإعلام الناطقة بلسان نظام الملالي في طهران

واستكملت "الأخبار" سرديتها في الجمعة، فكتبت تحت عنوان: "العراق: ضربة أولى لمخطط الانقلاب"، لتؤكد على طبيعة وشكل المؤامرة المزعومة التي يحيكها متظاهرو العراق ضد محور الممانعة المزعوم، باعتبار أن ما يجري هو من تدبير السفارة الأميركية وبعض العسكريين العراقيين والناشطين الذين يحركون الشارع العراقي.

هذا الأسلوب الممجوج الذي اعتادته أبواق الأنظمة المترنحة تحت وطأة الانتفاضات الشعبية العارمة تستعيده اليوم وسائل الإعلام الناطقة بلسان نظام الملالي في طهران، وكأن الشعوب التي تتعرض للسحق تحتاج محركا خارجيا لتطلق صرختها في وجه القوى الفاسدة التي تجعل من حياتها جحيما في حين أنها تعيش فوق بحر من الخيرات والثروات التي تتعرض للنهب جهارا نهارا من قبل من تربعوا على كراسي السلطة بفضل قوى الاحتلال، وجمعوا المليارات لقاء التسهيل لتلك القوى أمر السيطرة والتصرف وتشريع أبواب المشرق العربي كله أمام التغلغل الاحتلالي لعصابات القتل شديدة التخلف التي يقودها قاسم سليماني والتي فتكت بالشعب السوري فشردته ودمرت بلاده.

وأخيرا، كل التضامن مع الشعب العراقي الذي ينبغي له أن يتضامن مع نفسه، فلا تترك مدن الجنوب والوسط وبغداد العاصمة الوطنية وحيدة في مواجهة آلة القمع التي يحركها قاسم سليماني، إذ ننتظر من كل المدن والمناطق العراقية الانخراط في انتفاضة شاملة من السليمانية إلى أربيل إلى الموصل وكركوك ومدن الأنبار، ولتكن انتفاضة لكل العراقيين الذين أنهكتهم الطائفية ودمرت بلادهم حروب الأعداء.

إيران تدفع العراق إلى الفوضى الشاملة

سلام سرحان

ينبغي أن ننظر بواقعية إلى جميع السيناريوهات التي يمكن أن تؤدي إليها ثورة الشبان العراقيين المحرومين من أبسط مقومات الحياة للمطالبة بحقوقهم ووضع حد لطغيان الفساد وسرقة مقدراتهم ومصيرهم.

وينبغي أولا عدم استبعاد أن تعمل الأطراف التي تستخدم معهم أقسى درجات القمع، على تأجيج عنف الاحتجاجات في الوقت نفسه من خلال مندسين تابعين لها ومحاولة جرّ الغضب الشعبي إلى مسار يقود إلى الفوضى الشاملة.

انفجار الشارع العراقي بوجه النظام السياسي أمر حتمي ويحظى بتأييد جميع الحريصين على استعادة سيادة العراق واستقراره، بعد أكثر من 16 عاما من غزو جماعات الإسلام السياسي، التي طردت جميع آثار المهنية والكفاءة من مؤسسات الدولة وهدمت مفاصل الاقتصاد والخدمات العامة، التي يمكن أن تجعل الحياة ممكنة.

في أفضل السيناريوهات يمكن أن ترغب تلك الاحتجاجات الأطراف السياسية المتنفذة وتجبر الحكومة على أن تعلن عن إجراءات لمكافحة الفساد والاستعانة بشخصيات أكثر كفاءة لإصلاح خراب الأجهزة الحكومية. وقد بدأت بالفعل بوادر ذلك في إعلان إحالة أشخاص متهمين بالفساد إلى القضاء.

لكن تلك الإجراءات ستكون ترقيعية لأنها ستصدر عن الجهات المتهمة ولن تصل إلى أكبر الفاسدين، لأن اقترابها منهم سيقوض سلطتها.

بعض الأطراف المستفيدة من السلطة لا تريد السقوط في الفوضى الشاملة لأنها تريد الاحتفاظ بمكاسبها، لكن لا بدّ من الانتباه إلى وجود أطراف تدين بالولاء المطلق لطهران، ويمكن أن تتلقى أوامر بالدفع إلى تلك الفوضى لأنها قد تكون آخر سيناريو لإنقاذ النظام الإيراني من السقوط.

جربت طهران المختنقة بشكل لم تعرفه أي عقوبات سابقة في التاريخ الحديث، حماقات كثيرة مثل مهاجمة السفن وإسقاط طائرة أميركية مسيرة، ووصلت إلى أكبر الحماقات بضرب أكبر شريان للطاقة العالمية في السعودية على أمل تغيير حقائق اختناقها الاقتصادي، لكن ذلك لم يسعفها.

كل ذلك يؤكد أن النظام الإيراني مستعد لفعل أي شيء، لتخفيف العقوبات ولو بدرجة ضئيلة، بعد أن أكد على لسان المرشد الأعلى علي خامنئي والرئيس حسن روحاني أن هذه العقوبات خارج أي قدرة على الاحتمال.

هل يمكن أن تتردد طهران في إشعال الفوضى الشاملة لتصل إلى إيقاف صادرات النفط العراقية، على أمل أن يعجز العالم عن تعويض تلك الصادرات فيتغاضى عن عودتها لتصدير النفط؟

ذلك السيناريو ربما لا يزال بعيدا وقد تتصدى له أطراف دولية ومحلية، لكن درجة العنف المفرط الذي استخدم في قمع المتظاهرين يؤكد وجود أطراف تسعى إلى ذلك الهدف. معظم التسجيلات التي نشرت من قلب الاحتجاجات، أكدت أن إطلاق الرصاص جاء من أشخاص ملثمين.

كما أن جميع المحتجين الشباب الذين ظهروا في تسجيلات الفيديو التي نشرت في اليوم الأول قبل قطع الإنترنت، أكدوا أن قوات الجيش والشرطة لم تطلق النار على المتظاهرين.

هناك ميليشيات عراقية تابعة للحرس الثوري الإيراني وهي جزء لا يتجزأ منه، تخشى من أن الغايات النهائية للاحتجاجات ستؤدي حتما إلى نهاية دورها، إذا ما أدت إلى إجبار الحكومة على محاربة الفساد وحصر السلاح بيد الدولة.

لذلك لا يمكن استبعاد أن تندس تلك الميليشيات في جبهتي الصراع فتقوم بقتل المتظاهرين والتنكيل بهم، وتستخدم أذرعها في الوقت نفسه في تأجيج الاحتجاجات وإرسال أفرادها لحرق مؤسسات الدولة والدفع نحو الفوضى الشاملة.

ينبغي أن ندرك أن نظام طهران أصبح في طريق مسدود، وأن بقاءه بصيغته الحالية، التي تسمح له بالتدخل في شؤون جميع الدول الأخرى، أصبح من الماضي، بعد اتساع الإجماع العالمي على ضرورة إنهاء سياسات النظام الإيراني المزعزعة لاستقرار الدول الأخرى من خلال دعم الميليشيات والجماعات المتمردة.

لم تعد طهران تحلم بزوال العقوبات، وأصبحت أقصى أهدافها تقتصر على تصدير ولو كمية قليلة من النفط من أجل تفادي سقوط النظام إذا استمرت العقوبات بصيغتها الحالية.

في هذا الاختناق التام ومع تزايد إدراك النظام الإيراني أنه في حفرة عميقة تزداد اتساعا يوما بعد يوم وتجعل سقوطه حتميا، فإنه لن يتردد في دفع العراق إلى الفوضى الشاملة، حتى لو كان ذلك يحمل أملا ضئيلا بإنقاذه من تلك النهاية.

ينبغي على المحتجين والأجهزة العراقية غير الخاضعة لسلطة إيران والتي لا تريد انهيار البلد، أن تحذر من هذا السيناريو، الذي يمكن أن يدخل البلاد في أزمة أكبر بكثير من جميع الكوارث التي مرّت بالبلاد حتى الآن.

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

انتفاضة المواطنين التي تعيد للعراقي اعتباره

الشخصية العراقية
بين بوتقة الوردي ومصباح علاءالدين

● إحراق العلم الإيراني وسط بغداد، يفضح كم كان مفجعا أن تجعل الطبقة السياسية العراقية من العراق ملعبا للإيرانيين، لينهبوا خيراته ويزدروا أهله.

● المتظاهرون في الشوارع العراقية يدركون أنهم يعيشون لحظة العالم ذاتها، لحظة ما بعد الأيديولوجيات، وقد واجهوا بأنفسهم حقيقة أن بلدهم البلد الغني بالنفط والثروات يحوله الفساد السياسي والمحاصصة الطائفية إلى بلد لا يشبه حتى أفقر بلدان العالم وأكثرها تخلفا.

إبراهيم الجبين
كاتب سوري

حين يقرأ المرء هذه الكلمات المنشورة قبل سنوات في صحيفة عربية في مقال تحت عنوان "جذور العنف في الشخصية العراقية" ويرى كيف يتناول كاتب عربي موضوعًا حساسًا وخطرًا مثل الموضوع الذي عنون به مقاله، لن يجد ما يعلق به سوى أن ما شهده العراق إذًا وما تعرض له شعبه سنين طويلة، لم يكن بلا سبب. ولكن أي سبب؟

يقول ذلك الكاتب بلا تردد ولا رفة عين "لا يبدو الحجاج بن يوسف الثقفي، والي الأمويين على العراق سوى مجرد ظاهرة من ظواهر العنف العراقي القديم. على أن العنف كان قبل الحجاج واستمر بعده. ومن أشهر من لجأ إليه من الحكام عبدالله أخو أبي جعفر المنصور أحد بناة الدولة العباسية الذي لقب بالسفاح والذي لا تزال ضحاياه تئن في قبورها إلى اليوم".

النخبة العراقية تنظر إلى ما يجري في بغداد بتربص، وهي تعرف حق المعرفة أنها لم تساهم به ولم تحرض عليه، حتى أن أحد المتحدثين على الشاشات اتهم المتظاهرين بأنهم «عديمو الشهائد (العلمية)» وغيره قال إنهم جهلة ورعاع

أراد كثير من العرب تعميم صفات مغايرة لحقيقة الشخصية العراقية، وإلصاق الكثير من النعوت الوحشية بها، فهل كان ذلك بسبب جهل مطبق يكتنف مثل هذه التصورات التي يحملها العرب عن العراق أم كان الأمر مقصودًا؟ إذ كيف يمكن لمعلّم أطفال من الطائف قرب مكة أن يصبح عراقيًا فجأة ثم يصبح دليلاً على عنف العراقيين؟ حاله حال بقية ما ضرب الكاتب من أمثلة.

انتفاضة الشعب العراقي اليوم، تعيد إلى الأذهان ذلك الظلم الكبير الذي تعرضت له الشخصية العراقية، حينًا بأيدي أبنائها وأحايين كثيرة بأيدي أشقائها وجيرانها. وقد وضعت تلك الشخصية العراقية تحت مجهر كثيرين، البعض أراد فهم ذلك التكوين الفريد، الذي يكتنفه التناقض والتأفف، وآخرون أرادوا هدم بعد حضاري يرونه من خلف العراقي وهم ينظرون إليه، أرادوا تدمير برج بابل من جديد.

وإن كانت المجتمعات العالمية قد حظيت بعلماء كبار رصدوا أدق التفاصيل في حياة مواطنيهم وخلصوا إلى استنتاجات عظيمة تعكس صورة تلك المجتمعات، فإن العراقيين لم يحظوا سوى بعلي الوردي، وهو على قامته الكبيرة، وإسهاماته المذهلة، يبقى وحيدًا في صحراء قاحلة جافة من الدارسين، قدم فيها اجتهاده الذي يمكن أن يجانب الدقة أيضًا.

تكوين ظالم ومظلوم

رأى الوردي أن العراق كان "بوتقة" تصهر البدو القادمين إليها من جزيرة العرب، مستفيدين من قوة الحضارة التي تمثلها جغرافيا العراق، وأيضا من السكان القدامى في ذلك البلد. ما سينتج لدى الوردي داخل الشخصية العراقية قيمتَيْن؛ قيمة بدوية وقيمة حضرية. ويعزّ على المرء، اليوم، أن يكتب عن الوردي بقسوة. وهو عالم جليل من طراز رفيع، لكن لنُصغ إلى ما يقوله عن الشخصية العراقية: "التناقض موجود في كل بشرية ولكنه في النفس العراقية أقوى وأوضح، لأن قيم البداوة والزراعة قد ازدوجتا في العراق منذ غابر الزمن. فالعراقي ينادي بقيم الكرامة والغلبة ولكن حياته تجبره على الانصياع لقيم التحضر. وإني وإن كنت غير واثق من نتيجة هذه الدراسة؛ ولكني أجد كثيرا من القرائن تؤيدني فيما أذهب إليه. ومنها أن العراقي سامحه الله أكثر من غيره هياما بالمثل العليا ودعوة إليها في خطاباته وكتاباته، ولكنه في الوقت نفسه من أكثر الناس انحرافًا عن هذه المثل في واقع حياته، وأنه أقل الناس تمسكا بالدين، وأكثرهم انغماسًا في النزاع بين المذاهب الدينية، فتراه ملحدًا من ناحية وطائفيًا من ناحية أخرى. العراقي بهذه الصفات ليس منافقًا أو مرائيًا كما يحب البعض أن يسمه بذلك، بل هو في الواقع ذو شخصيتين، وهو إذ يعمل بإحدى شخصيتيه ينسى ما فعل آنفا بالشخصية الأخرى".

ولكن بكم تختلف تلك السمات التي وضعها الوردي في الشخصية العراقية عن سمات سكان بلد مجاور مثل سوريا، أو مصر، أو غيرهما؟ فلماذا يوصف العراقي وحده بتلك العقد وتترك لغيره حرية التناقض؟ أين الوردي اليوم ليجيب؟

ينزل العراقي إلى الشوارع الآن، تحت شعارات عديدة، عالية القيمة، من بينها "نازل آخذ حقي". وهو بالفعل يلخص القضية كلها، فحق العراقي ليس فقط في ثروته الضائعة، ولكن في شخصيته المنهوبة أيضا التي تناهبها الجميع.

العراقيون قبل الغزو الأميركي

لم يكن الوردي وحده هو من وضع إطارا ما للشخصية العراقية، فقد ساهمت في ذلك الظروف المعقدة التي عاشها العراقيون منذ أن تم تجاهل قدراتهم وإرسال ملك يهبط عليهم من السماء ليتولى عرش العراق العربي بعد قرون من التتريك، وصولاً إلى برمجة العقل العراقي بأيدٍ غير عراقية ليس أولها ساطع الحصري القادم من أنطاكية السورية، وواضع المناهج الدراسية والقواعد الأساسية لنظم التعليم، إلى الثورة العسكرية والانقلاب الذي قاده عبدالكريم قاسم أسوة بانقلاب عبدالناصر في مصر، ثم استيراد فكر البعث من خارج الحدود، وأخيرا استيراد الديمقراطية من أميركا والطائفية من إيران. وكانت لكفاح الشخصية العراقية من أجل مقاومة هذا كله، طيلة ذلك الوقت، مظاهر عديدة، وكان جوهر ذلك الكفاح تقديم المشروع العراقي العراقي، لا المستورد. ولكن البيئة اللازمة لإنضاج ذلك المشروع الوطني الصرف، لم تكن مساعدة في يوم من الأيام، فالداخل كان يغلي تحت وطء الاستبداد، والخارج يتشظى فيه العراقيون تحت ضغط المنافي ومصالح بلدان اللجوء والداعمين والمستثمرين في الملف العراقي.

استغرق العراقيون ستة عشر عاما بعد زوال نظام صدام حسين، ليعيدوا النظر في كل ما فرض عليهم من تصورات حولهم وحول بلدهم. فانتفض الشارع رافضا تلكَ الصبغة التي تصم الشخصية العراقية بالبداوة والطائفية والانحلال والتبعية في الوقت ذاته.

الشخصيات التقليدية التي تهيمن على المشهد وساهمت خلال السنوات الماضية في صنع مرارته، تحاول أن تقدم نفسها كقيادة للشارع، بينما الأخير لا يكترث بها ويدرك جيدا دورها الجوهري في أسباب انتفاضته، ومقتدى الصدر مثال صارخ على ذلك

الشارع يطوي الصفحة

يدرك العراقيون اليوم أنهم يعيشون لحظة العالم ذاتها، لحظة ما بعد الأيديولوجيات، وقد واجهوا بأنفسهم حقيقة أن بلدهم البلد الغني بالنفط والثروات يحوله الفساد السياسي والمحاصصة الطائفية إلى بلد لا يشبه حتى أفقر بلدان العالم وأكثرها تخلفا.

وحين أراد من أدركوا ذلك وقبضوا عليه مسك اليد، العثور على حل لعقدة الانقطاع الحضاري الذي تعكسه الشخصية العراقية في زمننا هذا، ذهبوا نحو الإشارة إلى ارتباط تلك الشخصية بعمقها الحضاري كما فعل قاسم حسين صالح مؤسس ورئيس الجمعية النفسية العراقية، في كتابه "الشخصية العراقية من السومرية إلى الطائفية" الصادر حديثا عن دار العرب للنشر والتوزيع، والذي عني بدراسة الشخصية العراقية على مرّ العصور، مقدما شخصية الفرد العراقي بأنه ذاك الذي يمتاز بـ"خصائص سيكولوجية" صنعتها الظروف والأحداث التاريخية التي مر بها العراق. لكن أهم ما أشار إليه صالح هو الخطأ العلمي الذي وقع فيه الوردي في توصيف الشخصية العراقية؛ إذ يقول "الخطأ العلمي الذي وقع فيه أستاذنا الوردي أنه استعار مفهوما من علم النفس المرضي يخص حالات مرضية نادرة وطبّقه في علم الاجتماع وعممه على شعب بأكمله. والصحيح أن ما قصده الوردي هو حالة التناشز او التنافر أو عدم التطابق أو التناقض بين الفكرة أو المعتقد الذي يحمله الفرد، وبين التصرف الذي يقوم به، وهي حالة شائعة بين البشر، ولا ينفرد بها العراقيون أو يمتازون بها على غيرهم من الشعوب".

لقد تم التعامل مع الشخصية العراقية على أنها حالة فريدة، وبناء على ذلك تم تركيب وصفات علاجية لمشكلاتها من خارج التاريخ. وما يقوم به الشارع العراقي اليوم هو إعادة تلك البوصلة الضائعة للوعي العام، وربما للنخبة، للتعامل مع الواقع كواقع، بعيدًا عن الشطحات النظرية التي تخرج العراقيين من سياقهم العالمي، وتزج بهم في منطق يتعامل معهم بعنصرية جديدة، تخرج حتى من بين ظهرانيهم.

ومن يصغي اليوم لإيقاع صوت الرصاص الذي تواجه به الحكومة العراقية صدور المتظاهرين العارية، لن يصعب عليه تمييزه عن صوت الرصاص ذاته الذي أطلق في شوارع دمشق وبقية المدن السورية وسابقا وتاليا بقية الشوارع العربية التي بات من المستحيل عليها القبول باستمرار الأوضاع على ما هي عليه. الحكم الديني والطائفية والقومية عوامل لا تسمن ولا تغني من جوع. كما لم تقو الفكرة الوطنية غير الناجزة على رفع المستوى الحضاري للإنسان العراقي.

وما حدث في البلدان التي سبقت العراق إلى الانتفاض، يحدث اليوم في العراق، فقد تسارعت الشخصيات التقليدية التي هيمنت على المشهد وساهمت في صنع مرارته، لتقدم نفسها كقيادة للشارع، بينما الأخير لا يكترث بها ويدرك جيّدا دورها الجوهري في أسباب انتفاضته. وزعيم التيار الصدري مقتدى الصدر مثال صارخ على تلك الفئة التي صعدت بعد الغزو الأميركي، وقادت باسم الزعامة الدينية الأسرية، وها هو اليوم يدعو إلى استقالة الحكومة حقنا للدماء، بعد سقوط قتلى وجرحى من المدنيين على يد القناصة ورجال الأمن والميليشيات المختبئة هنا أو هناك لتطويق المظاهرات.

الانتخابات البرلمانية المبكرة التي يطالب بها الصدر يشترط أن تكون بإشراف أممي، مصورا الوضع على أنه أزمة سياسية يحلها برلمان جديد. وهذا انعكاس آخر لقصور في فهم الوضع المأزوم الذي يمر به العراقيون، فهم لم يعودوا يكترثون بأي إصلاح سياسي، ولم تعد تنطلي عليهم خدعة تدوير السياسيين عبر الانتخابات والصناديق. وما يريدون اليوم هو قلب الطاولة كلها على من يحكمون العراق باسم أفكار لم يعد يؤمن بها العراقيون.

أما النخبة فتنظر بتربص، وهي تعلم أن ما يجري لا علاقة لها به، ولم تساهم به ولم تحرض عليه. حتى أن أحد المتحدثين على الشاشات اتهم المتظاهرين بأنهم "عديمو الشهائد (العلمية)" وغيره قال إنهم جهلة ورعاع. كيف لا تفعل النخبة هذا وهي ترى كيف يعريها الشارع ويفعل ما فشلت في فعله طيلة أعمارها سواء بالنضال الحزبي أو بالعمل الفكري المتعالي على الناس؟ ولا ينجو من هذا سوى قلة نادرة تعلم جيدا أن ما يحرك الناس اليوم إنما هو التاريخ والحتمية العلمية.

ضد من ينتفض الناس؟

ويكتشف رئيس البرلمان العراقي محمد الحلبوسي متأخرا، أن الفساد آفة مثلها مثل الإرهاب. وكأن هذا الأمر بحاجة إلى كل تلك الخسائر بمئات المليارات وملايين البشر بين قتيل ومهجّر، ليتوصل الساسة في العراق إلى أن الفساد مشكلة حقًا، ولتدرك الطبقة الحاكمة للبلد الذي وضع أول شريعة للعالم قبل آلاف السنين أن عليها أن تسير وفقًا للقانون.

ولكن كيف كان سهلاً على تلك الطبقة السياسية أن تجعل من العراق ملعبا لإيران، تنهب خيراته وتحتقر أهله وتزدري كيانهم وتتباهى بإعادة العراق إلى الإمبراطورية الفارسية؟

ألم يقل علي يونسي، مستشار الرئيس الإيراني، حسن روحاني، وغيره إن "إيران اليوم أصبحت إمبراطورية كما كانت عبر التاريخ وعاصمتها بغداد حاليا، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا اليوم كما في الماضي"؟ غير أن هذا كله انهار فجأة بإحراق المتظاهرين للعلم الإيراني وسط بغداد.

لا البوتقة التي حبس فيها الراحل الوردي الشخصية العراقية، ولا التعالي الذي مارسه عليها المثقفون، ينفعان اليوم. فالمصباح الشهير الذي عُرفت به بغداد، هو وحده الكفيل بتغيير الواقع المأساوي الحالي وإنزال الشخصية العراقية من صليبها الذي علقت عليه طويلاً.

موهبة استثنائية صنعت ظاهرة

سبهان آدم

مربي الوحوش التي غيرت عالم الرسم

فاروق يوسف
كاتب عراقي

عُرف المحترف الفني السوري بانضباطه من خلال التزامه بقوانين صارمة. حتى المتمردون الكبار من أمثال لؤي كيالي ومحمود حماد وفاتح المدرس كانوا حريصين على أن تنسجم صرخاتهم المتمردة مع إيقاعهم الذي ضم أطيافا واسعة من الأساليب والتقنيات التي كان يجمع ما بينها إخلاصها للحرفة بكل ما تنطوي عليه من أسس ثابتة.

آدم ظاهرة فيها الكثير من الغرابة والاختلاف والاستثناء. من ذلك أنه أقام عام 2010 معرضا استعاديا لأعماله التي أنجزها ما بين سنتي 1996 و2009. تلك تجربة لا يقدم عليها سوى فنانين كبار «في السن والقيمة»

غير أن سبهان آدم ظهر بغتة وفاجأ الجميع من غير أن يتخيل أن ظهوره سيكون صادما. لم يرحب به أحد من داخل المحترف الفني. وإذا ما كان "النبذ" متوقعا فإن مقاومة ذلك النبذ لم تكن فعلا يسيرا. كان على الفتى القادم صغيرا من الحسكة، شمال البلاد أن يقاوم دمشق بقدر ما كان يحبها ويحتاج إليها. لم يكن في ذهنه أن يُعتبر هادما للمعبد فيُرجم.

خطيئة آدم أنه لم يكن ذلك الابن المدلل للمحترف الفني السوري. فهو لم يتعلم الرسم في مدارس دمشق ولم يقلد رساما سوريا ولم يحبب رسومه من خلال وحدات يستعيرها من التراث الشعبي ولم يكن خائفا من التعريف بتجربته الفنية باعتبارها صنيعة عزلته الفاتنة.

ومثلما أتى آدم من خارج المحترف الفني السوري فقد أتى دعمه وتشجيعه والثقة بتجربته الفنية من خارج ذلك المحترف. كان المفكر الراحل أنطوان مقدسي سنده الأول الذي ساعده على إقامة معرضه الشخصي الأول في المركز الثقافي الفرنسي بدمشق. يومها التفت إليه البعض وصار الحديث ممكنا عن الشاب الذي أطاح بالوصفات الفنية الجاهزة.

كان آدم ينتظر تلك الفرصة لينطلق مثل صاروخ عابر للقارات. غزارته في الإنتاج وتنوع أساليبه ووحشية موضوعاته وحداثة تقنياته، كلها أمور ساعدت على انتشار فنه والإقبال عليه من قبل صالات العرض المحلية والعربية والعالمية، بحيث صار عبر سنوات قليلة اسما مشهورا بل تحول إلى ظاهرة فنية فريدة من نوعها.

مصير كائناته الغريبة

تلك الظاهرة لا تزال تقع خارج المحترف الفني السوري بالرغم من أنها تخطته وصارت تقدمه على مستوى عالمي. فعقدة أن آدم ليس ابنا للفن السوري كما هو في قوالبه لا تزال قائمة. لذلك فإن الفتى الذي جاء إلى دمشق وحيدا لا يزال يعاني من الوحدة، بالرغم من أن شهرته اكتسحت الآفاق وصارت صالات العرض تتنافس على تبنيه بسبب ارتفاع أسعار أعماله.

ليس صحيحا ما يُشاع من أن آدم حضر إلى الفن بالموهبة الفطرية وحدها. فالفنان الذي علم نفسه بنفسه جاء إلى دمشق وفي أعماقه مفهوم مختلف للفن هو حصيلة ثقافة فنية مضادة، كانت تقف وراء ذائقته المتمردة على ما هو سائد. وهو ما صار واضحا بعد أن أقام عشرات المعارض لأعماله وبعد أن صار صوته مسموعا.

لقد أنصت آدم لصوته. هذا صحيح. غير أن الصحيح أيضا أنه أنصت إلى الأصوات التي تشبه صوته في العالم. وهنا تقع أوجه الشبه بين تجربته وتجارب عدد من الفنانين العصاميين الذين شقوا طريقهم إلى الشهرة في العالم وفي مقدمتهم الأميركي باسكيات.

تلك علاقة لا يمكن اختزالها عن طريق تسطيحها كما لو أنها كانت نوعا من التبعية.

منذ البدء أبهرته تلك التجارب فحلم بأن يجد لتجربته مكانا بينها. وهو ما نجح في القيام به، من غير أن يقلد أحدا. ذلك المسعى يسر له الانفتاح على رؤى فنية عالمية شحنته بطاقة خلاقة ما كان في إمكانه الحصول عليها لو أنه تخلى عن جموحه البري وأظهر نوعا من الطاعة للأساليب الفنية الجاهزة التي شكلت أسسا للمحترف الفني السوري.

فضل أن يكون خشنا ويدفع ثمن خشونته نبذا وإقصاء وعزلة على أن يحصل عن طريق نعومة زائفة ومضللة على اعتراف يمهد أمامه طريق الانضمام إلى المحترف باعتباره ولدا مطيعا. ولم تكن الشهرة يومها مضمونة. وهو ما يعني أن كل شيء جرى انسجاما مع موقف اتخذه آدم من فنه ومن المشهد الفني في الوقت نفسه. كان كمَن يكتب وصيته من غير أن يلتفت إلى ما يقع من حوله. يعيش عالمه الخاص على جزيرة تتشكل بين يديه.

أثبت آدم من خلال نجاح تجربته أن الاختلاف هو وسيلة الفن الحي لصنع مستقبل أفضل لكائناته، المنتجة والمرسومة على حد سواء. فالكائنات التي رسمها صارت جزءا من الواقع ومن ذاكرة الفن كما هي كائنات فاتح المدرس ومروان قصاب باشي.

الإنجاز صانع الشهرة

ولد سبهان حسين محمد، وهو اسمه الحقيقي، عام 1973 في الحسكة شمالي سوريا. لم يتعلم الرسم مدرسيا وغادر المدرسة بعد أن أنهى المرحلة الإعدادية. في العام 1989 أقام معرضه الشخصي الأول في الحسكة، غير أنه يعتبر المعرض الذي أقامه في المركز الثقافي الألماني "غوته" بدمشق عام 1995 هو معرضه الأول. ذلك المعرض وضعه في مواجهة الوسط الفني الذي رفض الاعتراف به ونبذه. يومها كان آدم يكتب الشعر، غير أنه وجد نفسه في الرسم وترك الشعر.

منذ البدء تميز آدم بغزارة إنتاجه فهو يعمل حوالي عشرين ساعة في اليوم لذلك كثرت معارضه التي جلبت له الشهرة خارج سوريا. بقوة تلك الشهرة فرض وجوده على المشهد الفني السوري.

آدم ظاهرة فيها الكثير من الغرابة والاختلاف والاستثناء. من ذلك أنه أقام عام 2010 معرضا استعاديا لأعماله التي أنجزها ما بين سنتي 1996 و2009. تلك تجربة لا يقدم عليها سوى فنانين كبار "في السن والقيمة". وهو الشرط الذي قفز عليه آدم. لا لشيء إلا لأنه ينظر إلى تجربته الفنية بطريقة مختلفة. فهو فنان عالمي. ذلك أمر مؤكد. أما أسعار لوحاته العالية فإنها تضعه في مصاف فنانين عالميين، الكثير منهم موتى. وإذا ما كان الشاعر السوري الكبير أدونيس قد كتب مقدمة الكتاب الأول الذي صدر عن تجربته، فإن نقادا عالميين مهمين كتبوا عن تجربته مقالات كثيرة في الصحف العالمية.

في غرفة «المسخ»

أقام آدم أكثر من سبعين معرضا، لم يفشل واحد منها في اجتذاب المشاهدين والمقتنين على حد سواء. لذلك فإنه يتعامل مع السوق بطريقة احترافية يحسده عليها الجميع. وهو في ذلك إنما يعتبر حدثا استثنائيا في تاريخ الحركة التشكيلية العربية.

يقول آدم "إن الكائن في لوحتي غير مؤذ، مشكلته مع نفسه فقط وليست مع الآخر. والتشوه في الكائنات يعبر عن أزمة الكائن البشري ومصيره المجهول" وهو في ذلك إنما يعيدنا إلى غريغوري سامسا بطل فرانتس كافكا في روايته "المسخ".

"كائنات العزلة" كما يسميها تدور كلها في فضاء غرفة سامسا المغلقة التي أحدثت حلا عظيما في طريقة النظر إلى الإنسان في الرواية الحديثة. وهو ما استلهمه آدم تشكيليا حين جمع بين مؤثرات بصرية استقاها من تجارب فنانين عرب وعالميين سبقوه، فكانت لوحته تطويرا لما أدهشه في تلك التجارب التي لا يمكن العثور على شيء منها في أعماله بعد أن نجح في صهرها وإذابتها وإعادة تشكيلها. آدم فنان

خطيئة آدم أنه لم يكن ذلك الابن المدلل للمحترف الفني السوري. فهو لم يتعلم الرسم في مدارس دمشق ولم يقلد رساما سوريا ولم يحبب رسومه من خلال وحدات يستعيرها من التراث الشعبي

ماكر. منذ البدء كان من الصعب عليه البقاء في لحظة تلصص. أما الآن فكل شيء ينسب له. إنه مبتكر حياة، تنبعث تفاصيلها من شارع العابد بدمشق حيث يقيم لتصل إلى العالم مباشرة محمولة على جناحي شهرة رسامها.

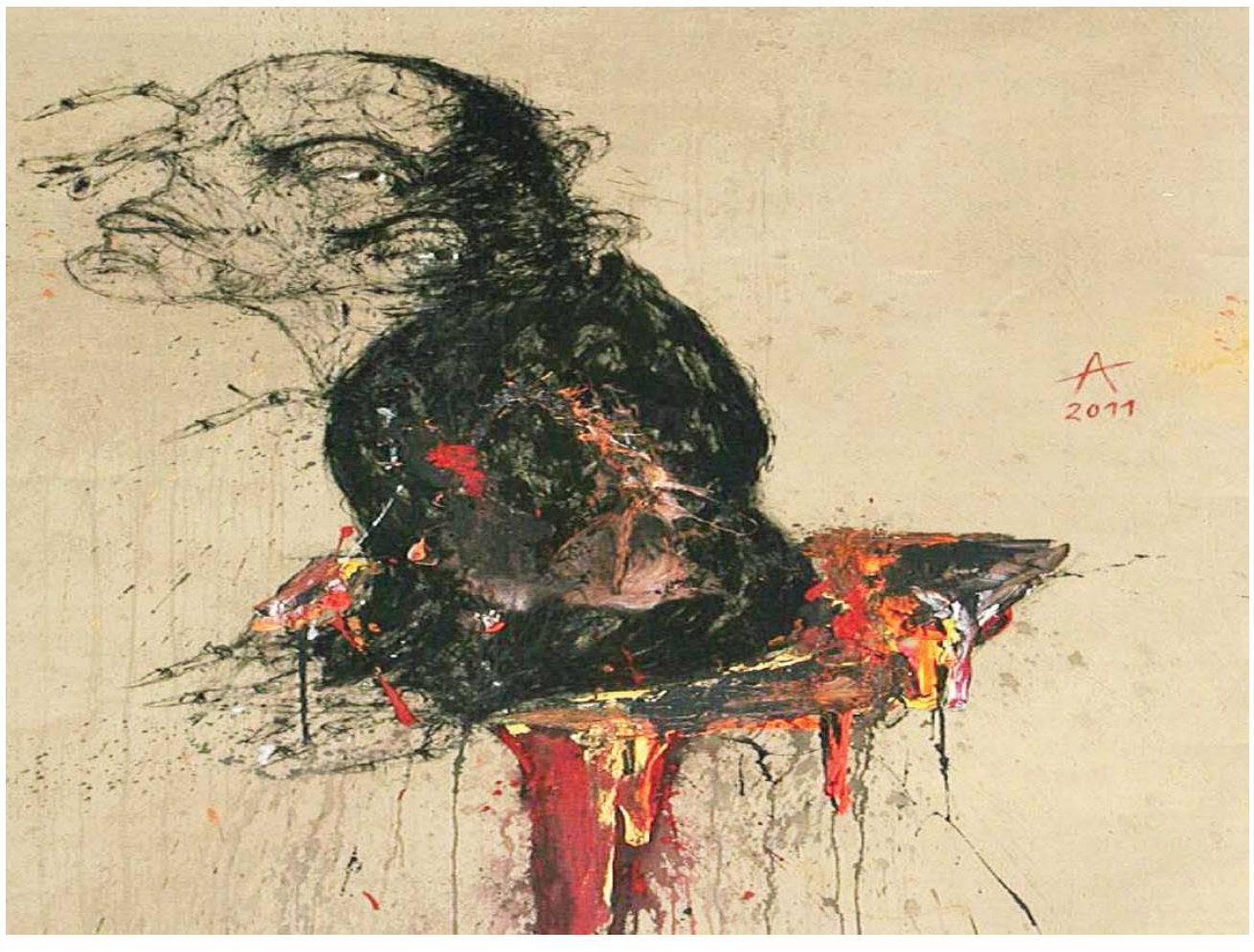

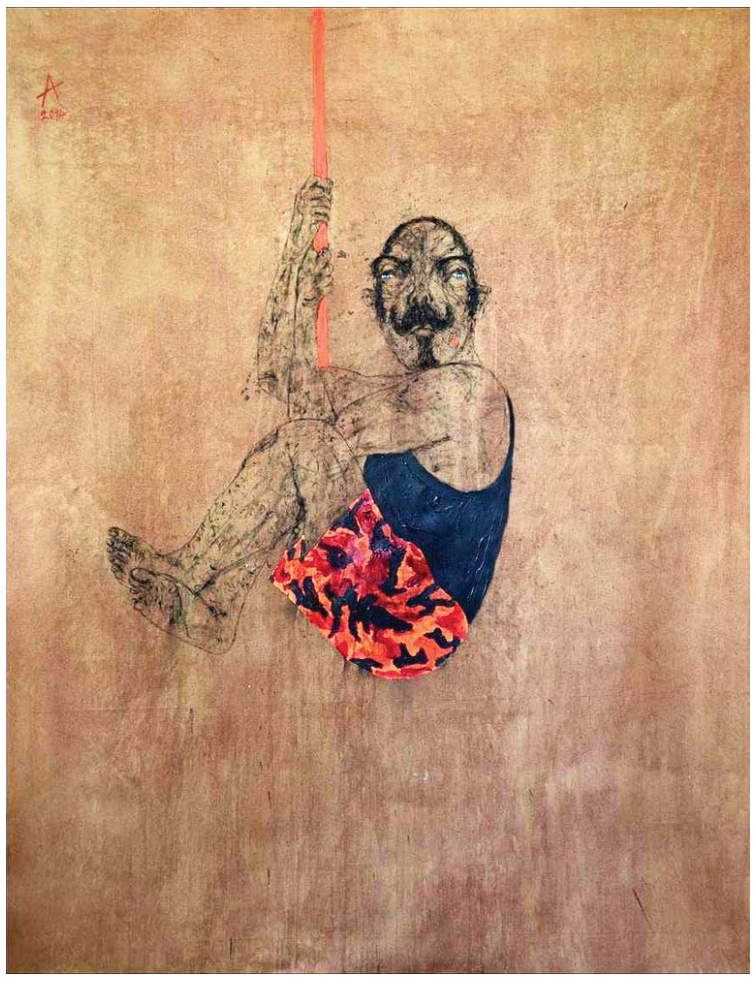

العرب الثقافي
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

ازدهار الشعبوية

مرحلة كاملة وليست ظاهرة عابرة

لقاء الشعبويات شرقاً وغرباً (غرافيك «العرب»)

هيثم الزبيدي
كاتب عراقي

لا أعرف لماذا يبدو المثقفون وهم ممتعضون من صعود الشعبويين. الشعبويون ليسوا ظاهرة. هم مرحلة. ترك لهم المثقفون الساحة، فصعدوا بخطابهم واستحوذوا على آذان الناس ثم قلوبهم.

سيقول المثقفون أن الشعوبيين يعيشون بين الآذان والقلوب، ولكنهم بعيدون عن العقل. ربما كان هذا الوصف صحيحا. ولكن من قال إنه الأفضل لتوصيف الحالة التي نعيشها اليوم في عالمنا؟

لنقسم البلاد: فسطاط ديمقراطي وفسطاط ما تبقى.

في العالم الديمقراطي تراجع الفكر. ثمة الكثير من النتاج الثقافي والفني، ولكن التحدي الفكري في تراجع. فيما سبق، كانت الأفكار الليبرالية في مواجهة مجموعتين فكريتين بأذرع سلطوية. من جانب هناك فكر فاشي يميني قوي وصاعد، ومن جانب ثان هناك فكر ماركسي يريد أن يفرض المنظومة الشيوعية على العالم. المقارعة الفكرية كانت عميقة، ولكنها استلزمت حربين كبريين لكي تصل إلى نصر الفكر الليبرالي. هزمت الفاشية على يد الليبرالية والشيوعية معا في الحرب العالمية الثانية، ثم هزمت الشيوعية على يد الليبرالية في الحرب الباردة. بعد هزيمة الشيوعية، استرخى الغرب الليبرالي فكريا وإن استمر استنفاره سياسيا وعسكريا فيما يسمى الحرب على الإرهاب. "صدام الحضارات" هو مواجهة بين منظومات اجتماعية مختلفة، ولكن التشدد الإسلامي ليس تحديا فكريا بالنسبة إلى الغرب. مواجهة التطرف هي مهمة بوليسية في الغرب داخليا، وعمليات حربية خارجيا. لا يوجد مفكر غربي جاد يمكن أن يجلس ليكتب كتابا عن الرد الفكري الليبرالي على الموقف "الفكري" الإسلاموي.

هذا الانقطاع الفكري -أو الخواء الفكري إن جاز التعبير- خلّف فراغا. لا تستطيع أن تملأ حياة الناس بعدد لا ينتهي من المسلسلات الترفيهية والبرامج المسلية والتقنيات والمهرجانات. التمتع بالحياة شيء ضروري، ولكن في مجتمعات مركبة مثل المجتمعات الغربية، كان الناس على موعد مع من يقول لهم: ماذا بعد؟ هذا البعد لديه أوجه عديدة، بعضها عدواني موجه نحو الغريب والمسلم والمهاجر، وآخر يستهدف المنظومة السياسية التي أنتجت الخواء. وطالما لم يتم الاستثمار في الفكر، وصار ما أنتجه الغرب فكريا أشبه بالتراث، فإن العقل يتراجع ويترك المساحة للأذن ثم القلب. الحشود تحركها الكلمات والعواطف. ولأن المنظومة الغربية قائمة على الديمقراطية، فإن الحشود هي ما تعمل الفرق. الشعبويون خاطبوا الناس واستفزوا غرائزهم فتجاوبوا وذهبوا يصوّتون لهم. من الصعب أن تضع عقلانية لهذا الأمر لأن الغرب اعتبر أن العقلانية تحصيل حاصل للفكر الليبرالي، دون أن ينتبه أن أحدا لا يذكر بهذا الفكر بلغة عصرية مرنة تتجاوب مع التغيرات. الغربي كان يذهب إلى المدرسة لكي يتم تشكيله معرفيا. أما اليوم، فهو ابن اليوتيوب والتواصل الاجتماعي.

في فسطاط ما تبقى، كان الأمر سوريواليا. في مرحلة ما بعد الاستقلال، برزت القومية كمنظومة حكم أكثر منها منظومة فكرية. لم تستمر طويلا، وأصيبت إصابة قاتلة في حرب 1967 ثم توفيت ودفنت في بغداد عام 2003. البديل الإسلامي رافقنا منذ يوم ارتحل جيش السلطان العثماني عن ديارنا. دعوات الخلافة والإمامة ازدهرت وأخذت أوجها إخوانية وسلفية وخمينية، ولكنها في القلب متشابهة. كلها تؤكد أن الحل موجود أمامنا، ولكننا لا نراه. ومهمة هذه المنظومة الفكرية هو تقديم خارطة الطريق للوصول إلى الحل. ولو استلزم الأمر هدّ المنظومة الاجتماعية أو السياسية على رؤوس الشعوب في الشرق الأوسط، فلا بأس طالما أن النتيجة إلهية وتنتظرنا.

وهذا ما حدث. فبدءا من الحرب العراقية الإيرانية مرورا بدخول العرب على خط الحرب الأفغانية وصولا إلى حرب الكويت ثم غزو العراق، كان التمهيد يجري للحروب الأهلية العربية الشاملة. حروب ساخنة كثيرة وحروب باردة أكثر. الرابح الأكبر من كل الحروب الجارية حاليا هو الخطاب الشعبوي المسلح بالدين. آذان العرب وقلوبهم تعمل منذ سنين في تحدّ لملكة العقل. وهذا قادنا إلى اللحظة الراهنة.

فيما عدا محاولات بسيطة وانطباعية، لا يوجد رد فكري عربي على الشعبوية، لا شعبوية الإخوان ولا شعبوية السلفيين ولا شعبوية الخمينيين. بل العكس. هذه الأوجه من الشعبوية الدينية استطاعت استقطاب المثقفين لجانبها ممن جاؤوا مختارين أو مجبرين في بيئة مستقطبة ما عادت تحتمل أيّ تنويعات. الفتح الشعبوي كان لا يقبل إلا دخول الناس فيه أفواجا. على المعترض البحث عن مكان يهاجر إليه أولا وأن يصمت عن مخاطبة الآخرين ثانيا.

في الغرب مثله مثل الشرق نقف حائرين. الشعبوية الغربية لا تزال في بدايتها ولا نعرف إن كانت الترامبية لحظة عابرة أم مؤسسة، أو يكون بريكست بداية الانشقاقات وليس خاتمتها. الشعبوية العربية تبدو راسخة، سهلة الفهم وعصية على الإدراك. في الحالين، هذه مرحلة قد تطول.

> **الشعبوية الغربية لا تزال في بدايتها ولا نعرف إن كانت الترامبية لحظة عابرة أم مؤسسة، أو يكون بريكست بداية الانشقاقات وليس خاتمتها**

تأنيث فضاء الكتابة

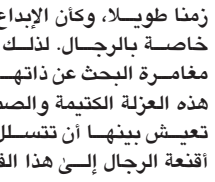

مفيد نجم
كاتب سوري

لم تكن المرأة الكاتبة ضيفا مرحّبا به في صالون الأدب الخاص بالرجال عندما حاولت أن تتمرد على سلطة النسق الثقافي الذكوري الذي كان يحدد لها أدوارها الاجتماعية القليدية ويمنعها من مغادرة الهامش الذي وضعت فيه زمنا طويلا، وكأن الإبداع والأدب حرفة خاصة بالرجال. لذلك كان عليها في مغامرة البحث عن ذاتها خارج جدران هذه العزلة الكتيمة والصمت التي كانت تعيش بينها أن تتسلل متخفية وراء أقنعة الرجال إلى هذا الفضاء، ما جعل حضورها الأدبي يتساوى مع غيابها وهي توقّع به ما تكتبه وتنشره بأسماء رجال. وبقدر ما يدل هذا السلوك على حالة الخوف والقلق التي كانت تعيشها الكاتبة آنذاك، فإنها تكشف عن سطوة السلطة الأبوية المهيمنة على عالم الأدب والثقافة، وما تعكسه من نظرة دونية إلى المرأة الكاتبة التي كانت تحاول استعادة علاقتها الجمالية والروحية مع اللغة والأدب والجمال.

في هذه المغامرة المسكونة بالخوف كتبت المرأة لأول مرة، لكنها كانت الضمير الغائب فيها. استعادت علاقتها مع اللغة والكتابة، لكنها لم تستعد وجودها فيها خوفا من رهاب النسق الأبوي للثقافة الذي كان يحتكر صفة الإبداع والخيال.

إنّ هذا الخوف المتراكم من سخرية الكتّاب الرجال ونظرتهم الدونية إلى ما تكتبه هو الذي جعل الرعيل الأول من الكاتبات يتخفّى وراء أسماء رجال مثل جورج إليوت وتشارلوت برونتي ولويزا ماي ألكوت وإيميلي برونتي وفاني فيرن وفاني فورستر ما يدل على حالة الاغتراب والخوف الذي كانت تعيش فيها، وهي تدخل مملكة الأدب بوجوه مزيفة وأسماء مستعارة، في حين لجأت كاتبات أخريات إلى هذه الإشكالية عبر مزج أسمائهن مع أسماء مذكرة أمثال مز سكيل ومز كريك ومز أوليفانت. لقد شكل هذا السلوك مظهرا آخر من مظاهر الخوف التي تخفي وراءها روحا أنثوية مغتربة، تواجه إكراهات المجتمع الأبوي بسياسات تدل على المأزق الذاتي والوجودي الذي كانت تواجهه لاختراق فضاء الأدب الذي جرى تذكيره بالكامل.

إن هذا الأدب الذي ساد أغلب مراحل القرن التاسع عشر ظل يخفي في داخله على الرغم من هذا الخضوع روح التمرد والصراع، كما ظهر في نموذج شخصية المرأة المجنونة في تلك الأعمال التي كتبتها النساء للتعبير عن الرغبة في الانتقام من واقعها المفروض عليها.

إن رواية غرفة تخصّ المرء وحده لفرجينيا وولف تكشف من خلال بطلتها جوديت عن التمييز الذي كانت تعاني منه المرأة على مستوى التعليم والفرص المتاحة لها، إضافة إلى كراهية الرجال وافتقاد المرأة إلى الإرث الأنثوي، الذي تستند إليه في تأثيث حياتها الروحية والجمالية.

إن هذا الشعور بالتمييز والاغتراب كان لا بدّ أن يخلق حالة من القلق والجنون عند المرأة الكاتبة. لقد تجلّى ذلك واضحا في شخصيات النساء في الأعمال الروائية التي صدرت في القرن التاسع عشر، حيث تحولت ثيمة الجنون والمرض إلى علامة دالة على الوضع الذي كانت تعيشه المرأة آنذاك. ولم تكن تجربة الكاتبة النسوية فرجينيا وولف في حياتها سوى تجسيد واضح لهذا الواقع المأساوي، الذي انتهى بها إلى الانتحار، في ظل سيطرة ثقافة كانت تضطهد المرأة، وتحرمها من جميع الشروط الموضوعية التي تحتاجها الكاتبة، كما تجسد ذلك بصورة جلية في روايتها "غرفة تخصّ المرء وحده"، حيث كانت الكاتبة محرومة من المكان الخاص بها الذي تحتاجه للكتابة .

لقد أسهم تنامي الوعي السياسي عند النسويات في تطور نضال الحركة النسوية وتوسعه، وقد تجلّى ذلك في ظهور نزعة الاحتجاج عند الكاتبات النسويات وزيادة مطالبهن الداعية إلى المساواة وتكافؤ الفرص والتعبير عن الذات الأنثوية الفاعلة. وتعتبر المرحلة الممتدة من نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين والتي تسمّيها الناقدة النسوية إيلين شووالتر بالمرحلة النسوية، هي الموجة الثانية في تطور الكتابة النسوية، والتي كانت تعبّر عن الصراع والخوف في مواجهة سلطة الثقافة للمجتمع الأبوي. إن مقارنة بين الأدب الذي كتبته الكاتبات في مطلع القرن التاسع عشر والأدب الذي كتبته في النصف الثاني من نفس القرن تظهر مدى التحول الذي كان يطرأ على وعي المرأة النسوية الكاتبة على المستوى الذاتي الوجودي والجمالي.

إن هذه المرحلة التي بدأت بتقليد نماذج الأدب الكلاسيكي الشائع سرعان ما أخذت تتراجع ليحل محله أدب يعنى بأوضاع المرأة ويعبر عن معاناتهن، ويعد الأدب الذي كتبته فرجينيا وولف تمثيلا حقيقيا لهذا التحوّل، الذي كان يطرأ على وعي الكاتبة النسوية، إذ انتقلت من بداياتها الأولى مع الرواية الكلاسيكية المكرسة، إلى مرحلة جديدة في الكتابة تمثلت في رواية تيار الوعي والرواية التعبيرية، باعتبارهما الأكثر تمثيلا للذات الأنثوية، وما يدور في دواخلها من صراع وحوارات ومشاعر مضطربة وهواجس نابعة من ظروفها الاجتماعية والتاريخية التي تحاول التحرر من آثارها النفسية والشخصية.

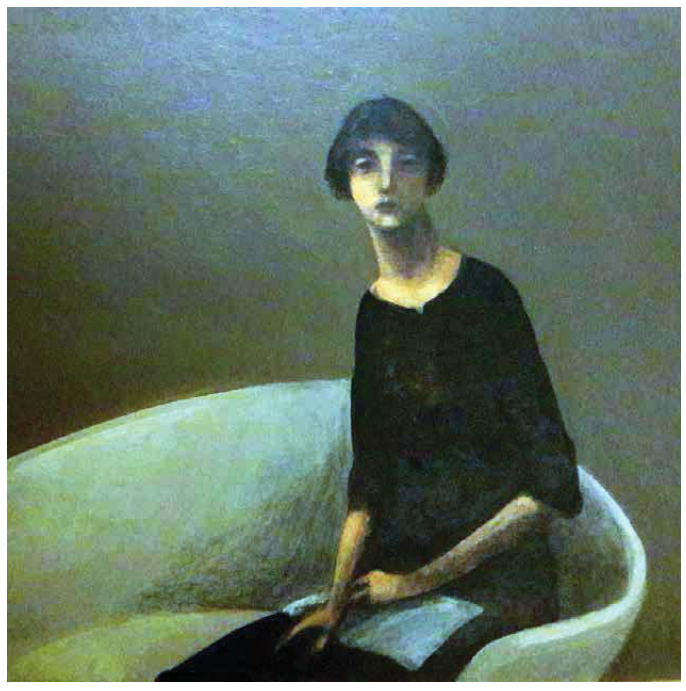

لوحة الفنان وليد نظمي

لكن هذا الحضور اللافت الذي استطاعت المرأة الكاتبة أن تحققه في الحياة الأدبية لم يجعل النقد الأدبي الذي كان يهيمن عليه الرجال يلتفت إلى هذا الأدب، ويمنحه التقدير الذي يستحقه، ما جعل المهمة الأولى للنقد النسوي عند ظهوره في بداية ستينات القرن الماضي هي إعادة الاعتبار لهذا التراث من خلال إعادة تقديمه إلى القارئ على نحو مغاير من خلال إعادة طبعه ونشره في سلاسل أنيقة لاقت نجاحا لافتا كان بمثابة إعادة اعتبار لقيمته الأدبية. وتولت المرأة الكاتبة والناشرة هذه المهمة من أمثال كاترين كريجان والناقدة النسوية إيلين مويزر، في حين بدأت الناقدات النسويات بإعادة قراءة هذا التراث والكشف عن المراحل التي مر بها الوعي الأنثوي عند هؤلاء الكاتبات على مستوى اختياراتهن وتوجهاتهن في الكتابة، بدءا من المرحلة الأولى التي تميزت بالتقليد لأشكال الكتابة السائدة مرورا بالاعتراض على هذه الأشكال والمعايير الأدبية الخاصة بها، وحتى المرحلة التي بدأت منذ مطلع الستينات من القرن الماضي، وتركز فيها عمل الكاتبة على اكتشاف الهوية الذاتية للأنثى من خلال التوجه نحو الداخل بحثا عن هذه الهوية الخاصة.

لقد كان للتحول الذي قادته وولف على مستوى الكتابة والمطالب النسوية أثره في تعزيز حركة النضال النسوي.

> **الحضور اللافت الذي استطاعت المرأة الكاتبة أن تحققه في الحياة الأدبية لم يجعل النقد الأدبي الذي كان يهيمن عليه الرجال يلتفت إلى هذا الأدب، ويمنحه التقدير الذي يستحقه، ما جعل المهمة الأولى للنقد النسوي عند ظهوره في بداية ستينات القرن الماضي هي إعادة الاعتبار لهذا التراث من خلال إعادة تقديمه إلى القارئ**

حفيدات شهرزاد في مرآة النقد الغربي

الروائيات العربيات المعاصرات من منظور خارجي

لوحة الفنان جبران هدايا

ممدوح فراج النابي
كاتب مصري

يبدو أن تجربة المرأة العربية في الكتابة لم تستوقف النقاد في العالم العربي فقط، بل امتد تأثيرها إلى الآخر الغربي، فأُوليت كتابات المرأة عناية خاصة على مستوى الترجمة حيث عنيت سلسلة جارنيت بترجمة الكثير من إبداعات المرأة العربية، في إطار مشروعها الكبير الذي هدف إلى جعل ترجمة كتابات الروائيات العربيات متاحة في إنكلترا، وهو نفس الدور الذي لعبته دار "زد" بإعادة نشر أعمال الكاتبات العربيات، بمقدمات جديدة، وهو ما يعدُّ تطورا لافتا في مجال النشر. وأيضا جاء الاهتمام على مستوى الممارسة النقدية، كنوع من اختبار المقولات الغربية وأبرزها النقد النسوي، وتأثير ما بعد الكولونيالية على هذه الكتابات.

وفي هذا السياق يأتي كتاب الناقدة البريطانية أنستازيا فالاسوبولس "الروائيات العربيات المعاصرات تعبير ثقافي" والذي صدر عن المركز القومي للترجمة، بترجمة سمير محفوظ بشير. وجاء هذا الكتاب في ستة فصول ضافية، توزعت على نماذج من الكاتبات العربيات على اختلاف بيئاتهن؛ كهدى بركات ونوال السعداوي وحنان الشيخ، ومي غضوب، وأحلام مستغانمي، وأهداف سويف، وآسيا جبار وغيرهن..

استشراق جديد

يكشف الكتاب عن ولع غربي – يفوق التصور، ومع الأسف غائب عن الترجمة– بدراسة النتاجات العربية، في محاولة استشراق جديد، تستهدف هذه المرة البحث عن الأفكار والرؤى، ومحاولة استكناه الخيال وقراءة ما خلفه، وما يرمي إليه. الشيء المهم أن هذه الكتابات النقدية تتعامل مع هذه الكتابات لا على أنها وثائق تسجيلية، وإنما كأدب يعكس سياقات ثقافية وسياسية.

ترجع المؤلفة انحيازها للرواية كنوع أدبي عن باقي الأنواع الإبداعية التي برَعت فيها المرأة، إلى أن الرواية تستحوذ على الاهتمام الأكبر، ومن ثمّ ستكون أكثر تمثيلا للإبداع الأدبي. وسعت عبر مؤلفها لأن توضح كيف أن الأنوثة بكل ما يحيط بها من غرابة –وفقا لتعبيرها– كذلك كل النظريات الثقافية التي نشأت مع أدب ما بعد الكولونيال، يمكن لها جميعا أن تلعب دورا مهمًا في تفهّم هذه النصوص. إضافة إلى الدور الذي تلعبه الثقافة التخيلية والأشكال الأخرى من الثقافات الشعبية في العالم العربي والتي تستطيع أن تشدّنا لتفهم أعمال الكاتبات العربيات وإدراكها. فأشكال الثقافة التي يحتك بها المرء يوميًا، فإنها تستحوذ على الكثير من التأثيرات العاجلة.

في الفصل الأوّل الذي جاء بعنوان "النساء لسن بطلات أو رموزا تعبر عن الحداثة"، أبرزت المؤلفة النقد الذي وُجه لكتابات المرأة، كما اهتمت بمتابعة العلاقة بين النشاط الإبداعي النسوي الذي كان له فضل السبق. ومن خلال عرض جهود النسوة العرب، كما اهتمت باستعراض الأفكار الاجتماعية العربية ونظرية ما بعد الكولونيالي.

وفي معالجتها لهذه الكتابات النقدية استرعاها أن تاريخ تلقي كتابات الأديبات العربيات وقبولها شابَه الكثير من الخلط. فبعض النقاد عرضوا لوجهات نظر ذات مدلول اجتماعي تاريخي، في حين أن آخرين كانوا أكثر حرصا على عرض الشكل الثقافي للنصوص، وإن كانت ترى "أنستازيا" أن هذه النصوص يجب أن تُقرأ في ضوء الاتجاهين، وأيضا بسبب ما تبرزه من خبرات مكانية والتأثيرات الثقافية، والتعبير عن الهوية الوطنية، والخبرات الجنسية، والتعبير عن دور الجنوسة وما يثار من استفسارات تختص بمدى الاستجابة للمرحلة التي عاش فيها العالم العربي مستعمَرا.

وتسهب في حديثها عن النسوية العربية، على اعتبار أنها من تأثيرات الغرب، وتشير إلى أن هذا المصطلح له تاريخ معقد في الشرق الأوسط، بل وكثيرا ما يرتبط على المستوى الشعبي باعتباره تصويرا مهجّنا يشير إلى وجود صلة تربطه بالتداخلات الأجنبية وكل الاتهامات الأساسية الخاصة بالتأثير على مجريات الثقافة في العالم العربي في ما يختص بالنسوية التي تصوّر باعتبارها شكلا من أشكال هيمنة الغرب.

وتقرُّ بأن الإحاطة بالموضوعات الأنثوية في العالم العربي مهمة شاقة، في ظل الكثير من العقبات، بل وترى أنه حتى الآن لا يوجد قبول عام لتعبير النسوية، أو الأنثوية في اللغة العربية، وإن كان ثمة عدة صور تمّت صياغتها، لكي تتناسب مع احتياجات المرأة التي تعيش في كنه العالم العربي، وتعيش أيضا داخل نطاق مجتمع ديني أو علماني يسمح للتأثيرات الدينية بأن تتفعّل وتؤثر، أو داخل مجتمع يشجع العلاقات المثلية. وإن كان هناك بعض النشاطات الأنثوية التي تم قبولها باعتبارها احتياجات ضرورية، مثل الحاجة إلى تعليم النساء، وقبول عمل المرأة في نشوء الاحتياجات الاقتصادية، وتحقق هذا لا يعني إغفال غياب احتياجات أخرى لازمة مثل الحرية العامة المطلقة.

تخصّص الفصل الثاني من الكتاب للمصرية نوال السعداوي، ويأتي في ثلاثة مباحث الأول أشبه بقراءة لبواكير السعداوي، تسرد عبرها رحلتها من الطب إلى السياسة إلى الرواية، فترى في السعداوي نموذجا للمرأة المتفتحة الواعية بالتناقضات المتوارثة في المحيط الاجتماعي والثقافي، وتبرز إعجابها بعالم السعداوي الروائي، لإسهامه في خلق دعوة عالمية لتحرير المرأة، فالسعداوي وفقا لهذا تسعى لتأصيل الكرامة الإنسانية التي يجب أن تسود على مستوى العالم أجمع.

كما أنها تسعى لأن تقدّم مفهوما يهدف إلى النظر إلى إنسانية المرأة، واعتبارها امرأة بكل تحديداتها وصفاتها المعلومة. وفي ظني ثمة إفراط في مشروع السعداوي تحديدا، خاصة أن هناك قامات تعلو شامخات بإبداعها على مشروع السعداوي الذي ينحصر في ذاتها، والجسد، على عكس كاتبات مصريات أخريات ربطن بين ذواتهن والوطن في الرغبة في التحرر، كلطيفة الزيات، ورضوى عاشور، على سبيل المثال لكن نظرا لتابو الجنس الصريح عند السعداوي الذي جعل منها أيقونة لدى ناقدات الغرب، حتى أصبحت أداة للاستعمار الغربي، معطية بذلك للعرب سمعة سيئة على حد تعبير فدوى مالطي دوجلاس في كتاب "رجال ونساء وآلهة".

> الكتاب يعيد اكتشاف الكاتبات العربيات بعيدا عن سياق الجنس وانغلاق الذات، وتمركز المرأة في دائرة الدفاع عن ذاتها للخروج من شرنقة الذكورية، ويقدم لنا في الوقت ذاته وسائل إيجابية منتجة في مجال كتابات الروائيات العربيات، التي تعمل بما يفوق حدود السياق الاجتماعي والسياسي

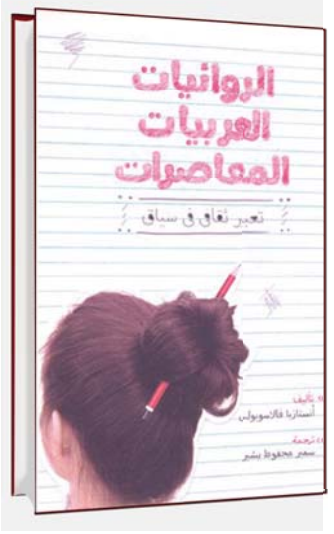

في تحليلها لرواية "امرأة عند نقطة الصفر"، تركز الناقدة على الإطار الأنثوي للرواية، خاصة برفض فردوس بطلة الرواية القوانين الأرضية في محاكمتها، فرفعت من شأن بطلتها وأصعدت روحها فوق هذا العالم الذي تشعر بإزائه بالقلق وعدم الأمان.

الخطر والإبداع

جاء الفصل الثالث تحت هذا العنوان "الخطر والإبداع"، فكما تقول نوال السعداوي هل يوجد أكثر من الخطر كي يحفّز إبداعنا؟ وقد ركزت فيه المؤلفة على روايات الحرب اللبنانية، وتناولت فيه روايات حنان الشيخ، ومي غضوب، خاصة رواية "حكاية زهرة" للشيخ، ورواية "مغادرة بيروت" لغضوب. فكلتاهما قامت بكتابة خبراتهما في الحرب، لا لتوثيق الحرب، وإنما لكي تعيدا تشكيل كيف بزغت تلك المجموعة من الخبرات، ولكي تعيدا تشكيل حجم الإمكانيات التي أصبحت متاحة أمام النساء.

ورأت مع أن هذه الأعمال تناولت ثيمة الحرب، إلا أن الكتابة النقدية للمشاهد الحربية ليست بالضرورة قادرة على أن تصل بنا إلى تحقيق تأكيدات وتفسيرات ذات محتوى سياسي. فمع انغماس الكاتبات ووقوعهن في دائرة الحرب، وردود الأفعال حولها، إلا أنهن في الوقت ذاته يبدين اهتماما بالبناء الفني. كما أن الظلم والاضطهاد لا ينبثقان بوصفهما منتجا من منتجات الحرب، وإنما كظاهرة اجتماعية مألوفة سلفا للنساء، ومن ثم يُعاد تفسير المعايير الدينية والسياسية والجنسية التي تدل على هذا المنتج بواسطة النساء، فهن يستخدمن الكتابة كوسيلة للنظر في أنفسهن وهن يؤدين بعض مظاهر الجنوسة.

كما أن هذه الأعمال بما أنها مقاومة غير عنيفة تتيح للنساء أن يتصرفن بشأن خبراتهن الخاصة لكي يتفهمن أنفسهن كنسوة، ولكي يعدن تفسير ما يستطعن فعله خارج ما هو مألوف ومعروف من التصرفات السائدة وقت السلم. وبتدمير الأشكال الاجتماعية القديمة وهدمها، يمكن حينئذ للنساء أن يحققن التخلص والتحرّر من فيض الرغبات. فالكاتبات اللبنانيات ينظرن إلى حقائق الحرب باعتبارها فرصة لجعل مشاعر الظلم والاضطهاد وتحدي الكراهية واضحة.

وتتوقف في الفصل الرابع عند دور سلسلة جارنيت في ترجمة العديد من الأعمال تحت عنوان "الكاتبات العربيات" وكيف أن هذا المشروع كان يهدف إلى نشر أعمال الأديبات التي تكشف نوعية الاهتمامات والموضوعات، التي تتطرق إليها هذه الأعمال مثل الخبرات المكتسبة من الحروب، والصراع السياسي، وموقف الفرد بأن يكون فعّالا أثناء النضال. وترى أن السلسلة كان ينبغي لها أن تخضع للتقييم، والتساؤل لهذه الكتابات المختارة، هل عبّرت كل واحدة عن مجتمعها، ومدى قدرتها على الانغماس في الموضوعات العامة التي تمثل صعوبة في خلق التجانس والمواءمة عند المتلقي؟

أما الفصل الخامس فقصرته على الجزائرية أحلام مستغانمي، والمصرية أهداف سويف. وقد وجدت أن اعتماد الكاتبتين على شكل يمزج الاجتماعي بالسياسي يعدّ ربطا مشتركا بينهما، حيث من خلال هذا الربط تحدث المعايشة واكتساب الخبرات من خلال حياة الفرد. ومن خلال التحليل استطاعت أن تربط بين ما هو سياسي وما هو شخصي. فالحياة الشخصية للأفراد، وكذلك عواطفهم تتأثر بمدى واسع من المطالب والاحتياجات، وهذه المطالب على تنوّعها تحدّد الخبرة الشخصية للأفراد. حيث يصبح تفهُّم الأحداث السياسية والاجتماعية وتأثيراتها غير ممكن إلا من خلال تحويلها إلى نوع من العلاقات مع الحبيب على الأخص الحبيب الذي يخيّب الظنون.

في الفصل الأخير تتناول أعمال آسيا جبار وليلى صبار، وكيف أن أعمالهما كانت بمثابة إعادة تأسيس وإنشاء لشكل التغريب، وتقول إنهما كانتا قادرتين على ولوج المنحى الاستشراقي، وقدرتهما على تبصيرنا بما يعتمل في نفسيهما من تأثيرات منظومة الكولونيالية التي تظهر أحيانا وهي تحتك لا شعوريًا داخل النص. فعلى سبيل المثال في رواية "شهرزاد" لليلى صبار، تستخرج صبار بكل مهارة خبرة شهرزاد الاستشراقية بشكل مضاد لتصورات "جوليان"، فتكشف عن ذلك الولع الذي يحدثه الاستشراق والتغريبة في وجدان بطلتها. فعبر الشراك التي تنصبها الفنون الاستشراقية يمكن أن تقنّ مشاعر الإنسان لأنها في منتهى الوضوح، وهو ما يفسره شعور شهرزاد بالراحة وهي إلى جانب هذه اللوحات. فشهرزاد لا تهرب مما تثيره هذه اللوحة فيها، وإنما تهرب ناحية عالم آخر.

> ترجع المؤلفة انحيازها للرواية كنوع أدبي عن باقي الأنواع الإبداعية التي برَعت فيها المرأة، إلى أن الرواية تستحوذ على الاهتمام الأكبر، ومن ثمّ ستكون أكثر تمثيلا للإبداع الأدبي

وترى في رواية أحلام مستغانمي "ذاكرة الجسد" التي صدرت عام 1985، وترجمت إلى الإنكليزية عام 2000، أنها تمثل لحظة مهمة في مسار نشاط الروائيات العربيات، ومرجع هذا كما تقول ليس لأن بطل الرواية فنان ذكر، ويعتبر واحدا من مقاتلي الثورة الجزائرية السابقين في المقاومة، بل لأن الرواية بأكملها يظهر التعبير فيها كأنما هو كتالوج مفعم بمعاناة الحبيب التي ينقلها إلى حبيبه، وأيضا كما تقول عايدة بامية، وقد تناولت تحليل ونقد الرواية قبل الترجمة، إن "هذه الرواية أحيت موضوع الحرب الجزائرية من أجل الاستقلال بكل قسوة وصراحة".

في النهاية، الكتاب يعيد اكتشاف الكاتبات العربيات بعيدا عن سياق الجنس وانغلاق الذات، وتمركز المرأة في دائرة الدفاع عن ذاتها للخروج من شرنقة الذكورية، ويقدم لنا في الوقت ذاته وسائل إيجابية منتجة في مجال كتابات الروائيات العربيات، التي تعمل بما يفوق حدود السياق الاجتماعي والسياسي.

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

الرواية المغربية الأولى لم تكتب لقارئ عربي

«فسيفساء باهتة» سبقت الكتاب العالميين إلى حكاية سردية طنجة

ساد اعتقاد طويل لدى مؤرخي الأدب المغربي الحديث مفاده أن أول رواية مغربية بالفرنسية هي رواية أحمد الصفريوي "سبحة العنبر"، الصادرة سنة 1949، إلى حين اكتشاف رواية "فسيفساء باهتة" لمؤلفها الطنجي عبدالقادر الشاط، والتي صدرت بالفرنسية سنة 1932. الرواية التي ظهرت ترجمتها العربية، مؤخراً، جاءت لتقدم لقراء العربية أول رواية مغربية اقترنت بمدينة طنجة، أيضا، وهي مدينة السرد المغربي، منذ رحلات ابن بطوطة التي قادته، مبكرا، إلى أقصى أصقاع العالم وصولا إلى نصوص محمد شكري التي قادته إلى العالمية.

لوحتان لعويشة الطنجوية (بريشة الفنان البلجيكي جان فرنسوا بورتايل)

مخلص الصغير
كاتب مغربي

صدرت مؤخرا للمترجم والكاتب المغربي عثمان بن شقرون الترجمة العربية لرواية "فسيفساء باهتة" لعبدالقادر بنعزوز الشاط. وهي الرواية التي انتهى الكاتب من تأليفها سنة 1930، وصدرت سنة 1932، عن منشورات "المجلة العالمية" بباريس. وقبل اكتشاف هذه الرواية، كانت رواية الصفريوي هي الرواية المغربية الأولى الصادرة بالفرنسية، سنة 1949. وفي الضفة الأخرى، كانت رواية "الزاوية" للتهامي الوزاني، الصادرة بالعربية سنة 1940 هي أول رواية مغربية. بينما تأكد اليوم أن أول رواية مغربية إنما صدرت بالفرنسية سنة 1932، وهي رواية "فسيفساء باهتة" لعبدالقادر بنعزوز الشاط. فماذا عن أول رواية مغربية؟ وهل توافرت فيها الشروط الفنية التي تجعل منها عملا مؤسسا للمدونة الروائية المغربية؟ وماذا عن طنجة كما رسمتها سردية عبدالقادر الشاط في هذه الرواية؟

فسيفساء السرد

هكذا، أصبحت رواية "فسيفساء باهتة" مرجعا أدبيا لا مناص منه لإعادة التأريخ للأدب المغربي الحديث من جديد. مثلما شكلت هذه الرواية القطعة المفقودة في "فسيفساء السرد" التي تحكي قصة طنجة المتخيلة، منذ أعمال تينيسي ويليامز ومارك توين وبول بولز وجيرترود شتاين إلى أعمال وليام بوروز وجان جنيه وكابوتي وجاك كيرواك وآلان غينسبرغ ومحمد شكري، ومحكيات محمد المرابط والعربي العياشي "الشرادي" وأحمد اليعقوبي، وباقي رواة طنجة الأحياء منهم والأموات.

والمثير أن يكون عبدالقادر بنعزوز الشاط مؤسسا لكل هذا، هو الذي ولد سنة 1904، السنة التي أصبحت فيها طنجة منطقة دولية، حيث استعمرت فيها بريطانيا المدينة ووقعت مع فرنسا ثم إسبانيا على "اتفاقية طنجة الدولية". وربما استحضر الشاط هذا الشرط التاريخي في روايته، وهو يمنح البطولة في روايته للإنكليزية إيدانا موروو، التي أرسلها زوجها أحمد بنيس للعيش في طنجة، رفقة عائلته، ومعها ابنهما علي، بينما بقي هو في مانشستر، بسبب ظروف العمل. ومثل كل الروايات الأولى، يحضر السير ذاتي، وهو يبني معمار الرواية أو يهندس فسيفساء العمل الروائي من أوله إلى آخره، كأنما السارد يروي سيرته وسيرة مدينته، والحال أننا أمام طنجة العالية، التي تغري كل من سكنها أو زارها بأن يروي سيرته وسيرتها وسيرته معها.

حاشية طنجة

على غرار التشكيلي الفرنسي هنري ماتيس، أشرع عبدالقادر الشاط أمام قارئ روايته نافذة على مدينة طنجة، في مطالع القرن الماضي.

هكذا، يحمل الفصل الأول من الرواية اسم "يوم الصلاة"، تليه عبارة صَدَّرَ بها الكاتب فصله الأول نصها "طنجة، بمناخها ومائها، ولثام نسائها". ويعلق الكاتب على هذا الاستهلال بعبارة "فلكلور مغربي". أي أن الأمر إنما يتعلق بمقولة شعبية. وأما "اللثام" فلباس تقليدي يغطي فم المرأة، وهو بمثابة حجاب يغطي الفم، فلا يمنع عنا صورتها فقط، بل صوتها أيضا. ثم يستهل الكاتب فصله بتقديم صورة "الكراب"، الذي يرتدي لباسا تقليديا فولكلوريا، ورغم أن الناقد محمد المسعودي قد حرص، في المقدمة التي وضعها للرواية، على تذكيرنا بأن رواية الشاط "لا ترتمي في إشباع نهم الغرب إلى الغريب والعجيب"، فإنها لا تكف منذ أول فصل عن تقديم لوحات فلكلورية تثير القارئ الغربي وتسعى في استثارته. ومن ذلك، دخوله إلى فضاء "الحَمَّام" الشعبي، وعرض طقوسه بإسهاب، إلى أن يتوقف عن ذلك، ليردف قائلا "ولكن، دعونا نعود إلى قصتنا ونقول...".

ولعل إيقاع الاستطراد في الحكي والسرد لا ينى يتوقف في هذه الرواية، على غرار النصوص السردية المغربية التي صدرت وانتشرت خلال القرون السالفة والعقود الغابرة. فالسارد في الرواية كثيرا ما يوقف تدفق الحكي، كما يورد حكاية شعبية أو مروية محلية يغري بها قارئ الرواية، ومن به ولع بالحكاية. فمن يكون القارئ في الحكاية، وفق التساؤل الذي يطرحه أمبرتو إيكو؟

لا شك أن القارئ الذي تتوجه إليه رواية "فسيفساء باهتة" هو القارئ الأجنبي، حيث يصبح القارئ الضمني هنا هو "القارئ الآخر"، وهو ما يتأكد، بدءا باللغة التي كتبت بها الرواية، وهي الفرنسية. كما أن القارئ المغربي لم يكن قارئ رواية، أيضا، والحال أننا أمام أول رواية مغربية كما تقدم. من هنا، هذا النزوع نحو تقديم المغرب الغرائبي من خلال الحكايات الشعبية التي يوردها الروائي ويقطع بها متوالية السرد حول الحكاية الإطار، ثم تلك العوالم والطقوس المتعلقة بشهر رمضان أو عيد الأضحى، والكتاتيب القرآنية، أو الأعراس الشعبية، ودور "الفقيرة" وهي تقود جوقا نسويا مغربيا يحيي تلك الحفلات... وما صورة الفسيفساء إلا تمثيل ثقافي شاهد على ذلك. ولنتأمل هذا المشهد الوصفي من الرواية، والذي يحيلنا على عنوان الرواية الأولى في تاريخ السردية المغربية، كما يحيلنا على رواية "سبحة النعبر" لأحمد الصفريوي، التي ستصدر بعد 17 سنة من ذلك. "وكان هذا الأخير قد فتح فمه بالكاد لرد السلام على العلمي، لأنه كان مشغولا بفرط حبات سبحته العاجية. وعندما انتهى نهض ووضعها فوق رف مبهرج بفسيفساء باهتة".

> من ليالي شهرزاد إلى ليالي طنجة، يقترن الحكي بالليل. مثلما تربط حكايات الليل بين الجدات والأطفال، لكأن الحكاية هي الشاهد على استمرارية الحياة، وهي الرسالة التي يتناقلها جيل بعد جيل، حيث تستمر الحكاية وإن اختلفت الرواية. فالحكاية تخيل يرتبط بالليل، وهي خلاف الحقيقة المرتبطة بالوضوح، وبالنهار، كما يقول عبدالفتاح كيليطو في الغائب. كما يحدثنا ألبيرتو مانغيل، وهو تلميذ بورخيص، عن ارتباط الحكي بمرحلة ما بين النوم واليقظة، "والتي تغدو فيها إعادة تخيل العالم أمرا سهلا". ففي أحد كتبه الأخيرة "المكتبة في الليل"، يستحضر الكاتب الأرجنتيني تلك المقولة أن "بومة منيرفا لا تشرع في الطيران إلا حين يرخي الليل سدوله"، لكنه ينسبها، خطأ، إلى والتر بنيامين، والحال أن الرجل إنما نقل العبارة صريحة عن هيغل، الذي صَدَّرَ بها كتابه "فلسفة الحق". والرواة أهل الليل، على شاكلة النفري. وقد قال ابن عربي "إن النفري من أهل الليل، واعلم أعزك الله بسلطانه أن الله جعل الليل لأهله، كما جعل الغيب لنفسه!".

ليالي طنجة

من ليالي شهرزاد إلى ليالي طنجة، يقترن الحكي بالليل. مثلما تربط حكايات الليل بين الجدات والأطفال، لكأن الحكاية هي الشاهد على استمرارية الحياة، وهي الرسالة التي يتناقلها جيل بعد جيل، حيث تستمر الحكاية وإن اختلفت الرواية. فالحكاية تخيل يرتبط بالليل، وهي خلاف الحقيقة المرتبطة بالوضوح، وبالنهار، كما يقول عبدالفتاح كيليطو في الغائب. كما يحدثنا ألبيرتو مانغيل، وهو تلميذ بورخيص، عن ارتباط الحكي بمرحلة ما بين النوم واليقظة، "والتي تغدو فيها إعادة تخيل العالم أمرا سهلا". ففي أحد كتبه الأخيرة "المكتبة في الليل"، يستحضر الكاتب الأرجنتيني تلك المقولة أن "بومة منيرفا لا تشرع في الطيران إلا حين يرخي الليل سدوله"، لكنه ينسبها، خطأ، إلى والتر بنيامين، والحال أن الرجل إنما نقل العبارة صريحة عن هيغل، الذي صَدَّرَ بها كتابه "فلسفة الحق". والرواة أهل الليل، على شاكلة النفري. وقد قال ابن عربي "إن النفري من أهل الليل، واعلم أعزك الله بسلطانه أن الله جعل الليل لأهله، كما جعل الغيب لنفسه!".

> لا شك أن القارئ الذي تتوجه إليه رواية «فسيفساء باهتة» هو القارئ الأجنبي، حيث يصبح القارئ الضمني هنا هو «القارئ الآخر»، وهو ما يتأكد، بدءا باللغة التي كتبت بها الرواية، وهي الفرنسية

من بين العتبات النصية التي يوردها الشاط تصدير يقول "روحنا في حكايتنا الشعبية". وفي الفصل السابع "مؤانسات ليلية"، يورد الكاتب المثل المغربي القائل "ما يأتي به النهار يذهب به الليل". وحين يريد الكاتب أن يحكي لنا حكاية "لالا عايشة بنت الجني"، يورد هذا المعتقد الشعبي الذي يقول "أولئك الذين يحكون القصص خلال الليل سيرزقون أطفالا صلعانا"، وهي عبارة تحمل تحذيرا من الحكي في النهار. على أساس أن النهار للعمل، للواقعي، والليل للخيال والتخييلي. ثم تغدو هذه العتبات مسوغا للكاتب من أجل أن يحكي لنا حكايات تراثية، مثلما وظف نصوصا شعرية لكبار أهل التصوف الشعبي، مثل سيدي عبدالرحمن المجذوب، في بداية هذه الرواية.

رفّ الكتب

حكم الجلاّد

ما الذي يذهلنا في ضحك الجلاد؟ ولماذا نرفض أن نأخذه مأخذ الجد؟ ذلك ما يعالجه عالم الاجتماع الألماني كلاوس تيفيلايت في إطار اشتغاله على الذكورية العنيفة، ويتوقف عند معاني ذلك الضحك، كعلامة جلية للانتصار، ودلالة على قوة منيعة معصومة من الاختراق. من وحدات الحماية النازية "إس إس" أو شوتزشتافل إلى أندرس بريفيك، ومن المبيدين الهوتو في رواندا إلى قتلة الدولة الإسلامية، يعبر مرتكبو المجازر الجماعية عن فرح غامض: من خلال ممارسة العنف الذي يتحول إلى أداء، كمزيج بين التعاليم والمسرح وتنفيذ جريمة، ينتقل القاتل إلى وضع سفاح ربّاني. فيزدري بعدها كل أنواع التشريعات، ويبدي أمام القضاء تكشيرة ساخرة أو ضحكا هستيريا، ضحك من سبق أن أصدر حكما ضد من هم بصدد محاكمته. "ضحك الجلاد" هو استكشاف للعنف ومتعته في المجتمعات كافة، وامتداد لأعمال تيفيلايت عن الفاشية وتاريخ الذكورية.

إماء داعش

"أسيرتان" كتاب لمراسل جريدة الأحد الفرنسية أنطوان مالو، يسرد فيه صراعين، صراع أمّ إيزيدية وابنتها بعد وقوعهما في الأسر أثناء تغوّل الدولة الإسلامية وسعيهما للتخلص من قبضة الدواعش واستعادة حريتهما. وكانت المرأتان قد اختطفتا عام 2014 في العراق، وفصل بينهما طيلة سنة كاملة كي تصبحا أمَتين لرجال التنظيم الإرهابي، وتصبحان بذلك فريستين لوحشيتهم وساديتهم.

عدول الأمّ بيعت لمقاتلين، بينما ظلت ابنتها راميا أسيرة كبار القادة في ذلك التنظيم، ولم تكن قد تجاوزت الثانية عشرة من عمرها. كلتاهما تروي قصة أسرها ومعاناتها، وتصف الأساليب الوحشية التي عوملت بها، وتروي من خلال ذلك ما شاهدته من تمرد وخضوع، وخيانة ومقاومة، ويأس ورغبة في التحرر.

هي شهادة صادقة عما عاناه الإيزيديون عامة، ونساؤهم خاصة، وقد تحولن إلى جوار وإماء يباعن في سوق النخاسة.

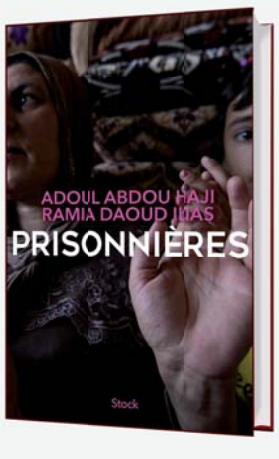

الاستنكار والانتصار للعقل

في كتابه الجديد "استنكار تام" يبيّن الفرنسي لوران دو سوتر أن مرحلتنا هذه تتميز بالفضيحة العامة. من الصباح إلى المساء، من المكتب إلى الحانة، ومن العطل إلى مآدب العشاء الأسري، لا نعدم ظرفا يقدم لنا فرصة الاستنكار، من السياسة حينا، والاقتصاد حينا آخر، وأحيانا يكون الاستنكار أخلاقيا أو إيكولوجيا وحتى استيتقيا. ما يوحي بأن كل مجالات الحياة أصابها الخلل والانخرام والحماقة والفظاعات التي تثير حنقا يتجمل بالفضيلة والأخلاق وسلامة الذوق والعقلانية وما إلى ذلك. ويتساءل الكاتب عن معنى ذلك النزوع إلى الاستنكار، وعمّا يقول له لنا، وعن الطريقة التي نفكر بها فيه.

وفي رأيه أن مرد هذا الاستنكار ليس سوى إلى هوسنا بالعقل، وأن عصر الفضيحة هو عصر انتصار العقل، فإذا أردنا أن نتخلص من الفضيحة فعلينا أولا أن نبحث عن الكيفية التي يمكن بوساطتها أن نتخلص من الانتصار للعقل، ويختم بقوله: ألا يكون الوقت قد حان كي نكف عن ادعاء امتلاك الحقيقة، ونتعلم أن نكون مخطئين؟

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

ضياء نجم في غابة

دفتر يوميات وقصائد بعيداً عن البيت

سيف الرحبي
شاعر عماني

"مَـن أخطأته المنايـا قيّدتـه الليالي والسنون"
(الخليل بن أحمد)

في الركن القصيّ من مقهىٰ كوستا
المُضاءَ الجوانب والحوّاف، نرى النُدُل
جيئةً وذهاباً، وسط غيمة خفيفة
وكأنما في كهف، أشباحهً ورسومه
تتموّج بفيض غموضها السحيق.
من طاولتك تنظرين إلىٰ ركني القصي
نظرةَ عاشقة أضناها غرامُ
البحث عن ضالة جوهرها الشريد.
سرحتُ في رحاب النشوة طويلاً
تخيلتُ دموعاً وأشجاراً بريّة، عصافيرَ
وغنماً يسرح بها عذارى وعُشّاق..
لكن الاكتشاف لم يكن أليماً، حين
عرفتُ أنكِ لا تنظرين الىٰ أحد.

***

كان هولاكو يزهو بكبريائهِ
فوق الجبال والهامات
دانت له الأممُ والممالك
أحصنتهُ تخطف البَرق والطيرَ
من وكناته
قبل انبلاج ضوء الصباح.
وحين حانت ساعة احتضاره
لم يتذكّر إلا مؤخّرة امرأة قوقازيّة
تهتز بمشرب في الساحة العامّة
بينما الجثثُ تتوزّع في الجنَباتِ
والآفاق.

***

لست من العابرين ولا من المقيمين.
لستُ إلا ذلك الشبح اللامرئي
وهو يحوم فوق جثة تاريخ
أحالتْه الأعاصيرُ الهُوجُ
إلىٰ أشلاءٍ وركام.

***

الراحلـون فـي بهـو الفنـدق، بالمناكب
والأكتـاف يتدافعـون تدافـع الموتىٰ في
قبورهـم التي تبعثرت من غير شـواهد
ولا أشجار.
موظفة الفنـدق في حركة عاصفة لا تفكر
إلا في آخر الأسبوع وعطلةٍ هانئة.

***

من أين يأتي كل هؤلاء التائهين الحيارى
والثقيلي الأحمال؟
مـن كل الجهـات يتدفقون كهديـر مياهٍ
أسطوريّة.
لم يعدْ هناك مسيحٌ يُسند أرواحهم التي
توشك علىٰ الاضمحلال.

***

الحقائبُ مُتخمةٌ
والقلوبُ جريحةٌ..
يا حادي العيس
ما في الهوادج من أحدٍ
والمسافات مصبوغةٌ بدماء الأحبة
والذين عادوا لم يشهدوا أثراً
لمنازل كانت
ظلّ مغيب، رمادُ غضَىٰ
حيث كانَت الريح تهفو
والسماء تحن الىٰ ساكنيها
حين لا فرقَ بين سماءٍ
وأرض.
ولائم آلهةٍ وبشر
في شغاف القلوب.

***

فـي أي بقعةٍ أو صقْعٍ وطأتْ
لأول مـرةٍ قدَمُ الجَـدِّ الأول،
بعد مغادرتِه الفردوسَ ونفيه
بسـبب الخطيئة السـاذجة
التي أسّست لمجمل الخطايا
والجرائـم اللاحقـة علىٰ مر
الأزمان وتصرّمها؟
في أي بقعة من كوكبه المنكود
كأرض للعقـاب والنـأي عن
السعادة، حين قال:
(...) «تغيّرت البلادُ ومن عليها
ووجه الأرض معْبر قبيحُ»
كأنمـا كان ذلك الجـدُ يعرف
قبلاً تلـك البلاد، أرض المنفىٰ
الأخيـر. حسـب مـا توحـي
العبارة المنسـوبة إليـه، وما
حاق بها من انقلابـات وصدوع، أفضت
إلىٰ هذا القبح شـبه المطلق، أرض غبراء
كابيـة لا تنزل النعمة سـاحتَها ولا تنزل
الرأفة والحنان.

***

لو كنتُ ملكاً علىٰ مملكة شاسعة الأرجاء
والنعيم والمسـاحات، لارتكبت في ظرف
سـاعات مـا لا يخطـر علىٰ بـال طاغية
من سـلالة طغاة عريقـة القتل والمحتد...
مـا لا يسـتطيعُ أن يرتكبـه فـي كامـل
حياته وحياة سُـلالته المديدة في الزمن
والبشاعة والاستباحة..
يحلـم السـجين بـين الجلـدات التـي
تهوي علىٰ جسـمه المتداعي من سـياط
الجلاديـن... (بعـض توصيف لإنسـان
السلالة الآدمية).

***

لست شاعراً ولا حالماً بمجدٍ أدبي تليد.
لكن الغيومَ حين لامستْ جسَدي
وأرى الأبقارَ ناعسةً
في الحقول
أتحـوّل بنشـوة الحلم إلىٰ قـوس قزح،
سـماؤهُ تمطر شـآبيبَ الرحمة والأخوّة
والحنان.

***

مثل نجمة الهاوية
تلمعين في ظلام الصحراء
أو في ترّهات الغابة
غضبكِ الوحشـي (غضب الشجر المبارك
من أجل خلق الخضرة الأبهىٰ)
وحلمكِ الأقحوان.

***

في هذه اللحظة، من صباح يوم غائم في
بـلاد الغال القدماء، حيـث كانت تحتدم
حروبٌ ومذابح من غير اسم ولا تاريخ..
أتذكرك يـا إبراهيم الجـرادي يا خَيري
منصور، موسـىٰ وهبة، جابـر مرهون..
وبقية العقد الفريد الراحل في هذا العام
وكل الأعوام. وجوهكم أراها في مارّة كُثر
توزع ابتساماتها بين الغرباء والحشود.
السحب تعبر ثقيلة ملآى
الأقداح تُقرع علىٰ حافة النهر الذي يشطر
البلدة الىٰ جنائن وضفاف..
هذه اللحظة في هـذا المكان البعيد الذي
ألوذ به من جبروت الظلام والشمس:
أتذكركـم أيها الأصدقاء أحيـاءً وموتىٰ،
محمولينَ علىٰ أجنحة النأي والكلمات..

***

غروبٌ علىٰ دير الراهبات
يسيل شبقاً علىٰ النحور والشفاه
غروبٌ علىٰ ثكنة للعسْكر
غروبٌ علىٰ ضفاف الأحلام
غروبٌ علىٰ مكبّرات للصوت
تنعق بالكوابيس والوعيد
غروبٌ علىٰ الصبايا المراهقات
يتقافزن علىٰ حبال الأمنيات
غروبٌ علىٰ المقابر والجوامع والإسطبلات
غروبٌ علىٰ الشعراء والعُشّاق
علىٰ الجلادين والسجون
غروبٌ يحمل البلاد إلىٰ حتفِها
في مقبرة السُلالات..

***

بعد قليل: تذهب الأشجار الىٰ غروبها
تعانق الظلالَ
والأشباحَ.

***

القرويّات يحملن الغروبَ
في جرار الفخّار علىٰ الرؤوسِ
والأكتاف
الحطّابون، أحلامَ الشجر المكسور
وقوداً لشتاءٍ قادم
رجال الأعمالِ يحملون الحقائبَ المُثقلة
بالمظالم والجروح..

***

عطر حضورك
يملأ آفاقي
بحكمة الوردِ وجنون الأطفال.

***

كم أنت واهبة للحياة أيتها الأشجار
أيتها الجبال والغابات
كل هذه الحيوات، ما ظهر منها، وما بطن
أكثر،
ترعىٰ وتتغذى في ظلال مجدكِ الباسق.
كل هذه الطيور والحيوات، والجوارح
والسباع، تتناسل جيلاً بعد آخر في أزلكِ
الذي بلا حدود..
يبزغ نمرٌ مرقش من زرقتكِ الحالكة.
النمر يحمل جمال الآلهة وتمرّد إبليس
ذئب يعوي علىٰ مقربةٍ من بحيرة
ذئبُ الفقد يعوي قربَ البحيرة التي
انتحـر في تخومها (لودفيـك الثاني) من
فرط
عواصفه ورؤاه..
مزدانة بالنجوم والنيازك أنت
تسّاقط مع الأوراق الخُضر الأرجوانيّة
في حُضنكِ التليد
أيتها الناطقة بلسان الغيبِ
ولهيب الحواس.

***

«فـي كل حبّة رمـلٍ يمكن أن نـرى العالم
بأكمله...»
كم من العوالم فـي رمال البحار العُمانيّة
الشاسعة؟!
لكـنّ القوم لا يـرون البحـر والرمال، ولا
يرون أنفسهم..
عمىً وراثيّ ومكتسب، مُستحكم وعنيد.

***

مع كلبتها (آخر ما تبقىٰ من حطام الدنيا)
تتنزّه في الحديقة ذات الأبراج والتماثيل،
المرأة المسـنّة ذات المظهر الأرسـتقراطي.
لا تتذكـر مجـدَ الحضـارة، ولا مغامرات
الجسد
والمعرفة.. الكلبة وحدَها تقفز في الحديقة
والذاكرة.

***

مثلما حبّة الرمل تلخص عالماً في رحابتها
اللامرئيّـة، فهـذا العصفـور الصغيـر
الأصهـب الذي يتقافز أمامـي في صباح
مأهول بغيوم تطل من قسماتها شـمسٌ
رحيمـة، يلخّصُ عالمَ الطيـور والغابات
في حركته وصوت وحيه الرباني، يسـرحُ
وكأنما في حقولٍ أبديةٍ خالدة..

***

الخلـود يتناهـىٰ أحيانـاً فـي حيـوات
متناهيـة الصِغر. تـكادُ لا تُرى علىٰ وجه
البسـيطة والتاريـخ الصاخـب بالقادة
والرمـوز، بالحـروب والاكتشـافات
والأساطيل الذريّة..

***

وهنيهة تحملهم إلىٰ الأبعد
والأكثر خطورة ووحشية.
ألحـان الكنائـس في
غزارة أجراسـها تتوالي
مجلجلةً فـي هذا الفضاء
المدلهم البهيج..
إنه يوم أحد..

****

وأقرأ أيضا لباسـكال «كل الشـرّ الإنسـاني بسـبب واحد: عدم قـدرة المرء علىٰ الجلوس هادئاً في غرفة».
بعـد قراءتـي عبـارة الفيلسـوف الفرنسي التي هي مـن تلك العبـارات أو الشـذرات المكثفـة بالمعاني

لوحة حسين طربيه

«ان الدودةَ هي الإمبراطور الوحيد والأكثر خبرةً»، بشأن التغذية، فنحن نسمّن الكثير من المخلوقات لكي تسمّننا، ولكننا نسمّن أنفسنا للديدان»..

أقرأ هذه العبارة لشكسبير التي تعيد اللحن الجنائزيّ لمآلات البشـر ومصيرهم وتُذكر الأباطرة عبر التاريخ، بأنهم ليسوا أعظـم مـن دودة الأرض، فاغرةً شـدقيها بشـبق انتظار زيارتهم الأخيـرة. الدودة أو الديدان التي سـيكونون مع حاشيتهم وجندهـم في ضيافتها الأزليّة عمّا قريب.. هـذه المرة هي التـي سـتغمرهم بكرمها ودَفـق نِعمها السـامية جهـةَ الافتراس والتنكيلِ والمحو.

لكـن الأباطرة لا يريـدون أن يتذكروا، أن يعكّر صفوَ معيشـهم وبذخه أيُّ معكّر، مهما كانـت بداهته وحتميتـه الصارمّة التـي لا فـكاك منهـا. رغـم كل التمائـم والقصور والأسـوار العاليـة والجيوش (... ألفيـتْ كل تميمةٍ لا تنفـعُ) الأباطرة لا يرعون عـن غواياتهم وظلمهم السـاحق لحياة البشـر والحيـوان والنبات، حتىٰ تسـتلمهم تلـك الهـوام الأسـطوريّة كي تذكّرهـم بماضيهم المجيد، وربمـا النَدم ولاتَ سـاعة مندم. وربما سـيكونون في مـكان آخر خارج الندم والغبطة والعقاب. لكـن الأكيـد أن الدودة-الهامة، سـتكون فـي اسـتقبالهم بكامل جبروتهـا وكامل الصفات التي كانت تزيّن حياتهم ببريقها السحري الأخاذ..

أقرأ العبارة الشكسـبيريّة علىٰ سبيل الصدفة في الحديقـة العامة بهذه المدينة الويلزيّة ذات الصيف الشتوي الممطر فوق البحر وعلىٰ قنوات الأنهار، حيث قراصنة الشـمال كانوا يعبرون بلحاهم الصهباء المضرّجة بالعواصـف والنبيذ والذين لم يكونـوا بحاجـة إلىٰ قراءة شكسـبير أو إليـوت، كي يتذكـروا ويدركـوا صواعق الحيـاة والمآلات والمصيـر، فهم يمتطون وقائعها اليومية وأشباحها المتناسلة، في ظلمات المياه والأعمـاق كل لحظة

***

هذا الصبـاح في حديقة فندق (السـانت بول) بمنطقة (همر سـميث). هذا الفندق الـذي يحمـل علامـة تاريخ حاسـمة في التاريخ الأوروبي، كونه احتضن الاجتماع الذي سـيقلب معادلة الحرب الكونيّة، بين ونسـتون تشرشـل والرئيـس الأميركي أيزنهاور، مـع جنرالات الحرب. ومن أفقه ينطلـق إنزال (النورمانـدي) الذي احتفل أحفاد المنتصرون بوقائعه منذ شـهر من هـذه اللحظة التـي أتسـلىٰ بالكتابة في فنائه الأخضر، وقد كان سَكني فيه بمحض الصدفـة فذكريات الحـروب والمعارك في والدلالات حد الانفجـار، تبادر إلىٰ ذهني أن قائلها يقطن بلداً مثل فرنسـا طقسـاً واجتماعـاً وحضـارة، حيـث الجلـوس الاختياري في تلك الغرفة الموصوفة، يمكن أن يكون مختبراً يلخّـص العالم، الأماكن والثقافـات والطقـوس. جلـوس حر في غرفة تمتد لأمتار، لكنها بحجم الكون دلالة ومعنىٰ، يمكنها أن تمتص الشـر والعنف اللذين هما من طبائع البشـر الأكثر عمقا وأصالـة، ويتجنّـب صاحبهـا الارتطام بالخارج حيث يسكن الشر وينتشر العنف الصامـت الخبيء أو الصـارخ الفصيح. اللجـوء إلـىٰ الغرفـة لجوء إلىٰ سـكينة الداخل وهدوئه مقابل الخارج وصخبه.

بهـذا المنحـىٰ تأخـذ الغرفـة بعدها الرمزي وليس المكاني فحسب. لكن انطلاقاً من هذا الأخير وسماته المتجسّدة في غرفة يحتويها منزل وحيّ ومدينة أو قرية.. لكن بمـا أن شـذرات من هـذا النـوع «حمالة أوجه» فهـذا. (والعبارة الأدبية عامة علىٰ الأرجـح كذلـك) البعد الواقعي الحسـي للغرفة، ينقلب دلاليا، إذا كان في بلد عربي علىٰ سـبيل المثال وخليجي علىٰ الأخص، حيث اللجوء إلىٰ الغرفة أو الأماكن المغلقة بالتكييـف والهـواء الصناعـي ضرورة وإجبـاراً كهـروب مـن جبـروت الطقس وحرارته البالغة. هنا ينتفي فعل الإختيار في معظم أوقات العام، للجلوس الحُرّ في الغرفة داخل البيت، لينطلق منها الخيال المثمـر إلـىٰ مناطقـه الشاسـعة ممتصاً عنـف الخـارج المدلهمّ الـذي يغري عنف الداخـل الخبـيء بالانطـلاق والانفجار. فتجسد الشـر كسلوك ونمط حياة، أفراداً وجماعات ودولاً.. لكـن العزلة، إذا أخذنا الغرفـة كبعد رمـزي للعزلة عن الحشـد وقيم القطيع المهيمنـة، تبقىٰ ضرورة في كل زمان ومكان، ولا يمكن للإنسان، المبدع خاصـة، أن يحقق شـيئا ذا معنىً إلا في ظلال نأيها العميق.

العبـارة حمّالة أوجـه ودلالات وربما ثمة بعد لاهوتي فباسـكال بجانب صفتيه كعالم فيزياء وفيلسوف فهو لاهوتي يربط الوقائع والنظريات بأبعاد لاهوتية. وربما غير ذلك.

***

البرهة العربية الراهنة، لا تبعث إلا الأسىٰ والألم، بعيدة كانت أم قريبة.

أسـرّح النظر فـي الأشـجار العتيقة الملتفّة بجذوعهـا وأغصانها وجذاميرها غيـر عابئـة بحـروب البشـر وفنائهـم، انتصاراتهـم وهزائمهم، وأنـا أقرأ كتيباً يُقـارب سـيرة (روسـو) ويختزلها، مما جعل انسجام النظر والتحديق الشارد في أشجار الغابة الصغيرة مع مقولات روسو ورؤاه التي تشـبه الشطح الصوفي، حول الحضـارة وقذاراتها المرضيّـة والوبائيّة «إن تقـدم العلـوم والفنـون يفضـي إلىٰ إفسـاد الأخـلاق».. وحنينه إلىٰ (إنسـان الطبيعـة) الفطـري الحر المطمئـن الذي لا تُحـرك حياتـه المصالـح والصراعات التي بالضرورة تفضي إلىٰ سـفك الدماء والمجزرة..

والبالـغ الطرافـة والمفارقـة في هذا السـياق، حين بعث (روسـو) بمشـروع كتابه (خطـاب التفاوت بين البشـر) إلىٰ (فولتيـر) والاثنان مـن أبرز مفكري عصر الأنـوار والعقلانيـة الحديثة الـذي مَهد بشكل حاسم لانبعاث الحضارة الأوروبية والبشـريّة. ضاق فولتير ذرعـاً بمقولات زميلـه المتشـظي بـين أطاريـح العقـل والبناء الحضاري وإنجازاته الدسـتورية والمؤسسية والقانونية (العقد الاجتماعي) وبين حنينـه إلىٰ فجر بدايات الكائن علىٰ هـذه الأرض والفطـرة والغريـزة، فكتب فولتير ردّه السـاخر «لم يُسّخر أحد فكره بقدر ما سَخّرته أنت لكي تجعلنا شبيهين بالبهائـم، يشـتهي الإنسـان حينما يقرأ خطابك أن يمشي علىٰ أربع».

لـو أطـلّ (روسـو) راهنـاً مـن قبره سـيرى ما أنجزتـه الحضارة مـن عظمة وابتكارات كان نزوعـه إلىٰ نقيضها، رغم مسـاهمته الفاعلـة في صياغتهـا، لكنه يـرى بشـكل أكثر انسـجاماً مـع رؤيته وحدْسـه، ذلـك الجانب المظلم الوحشـي الدامي في السحق والتدمير علىٰ مستوى الكوكب الذي انقرض منه شـبح (الإنسان الطبيعي) واضمحـل ليجد رجال الأعمال والتفاوتـات الطبقيّة، بأرقامهـا الفلكية ومسوخات الجشع والمال.

تبـدّى (روسـو) أنه من ذلـك الرعيل من الفلاسـفة النادرين في تاريخ المعرفة ربما، أولئك الذيـن يغنيهم فكر التناقض ويثريهـم التبايـن الغريـب بـين الواقع والحلـم والحنـين، فهو يعرف اسـتحالة بعث «إنسـان الطبيعـة» والوقائع راهنا ومسـتقبلاً هـي التـي تـؤرخ للتقـدم الحضاري علماً وفناً وابتكارات لا تنتهي عنـد حـد، لكنـه احتفـظ بحلم الشـاعر وحدسه العميق.

مقالات صفحة 10 و13 تنشر بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

النجمة التركيّة – الإيطالية سيزا يلماز في مسرحية «لقيطة إسطمبول»

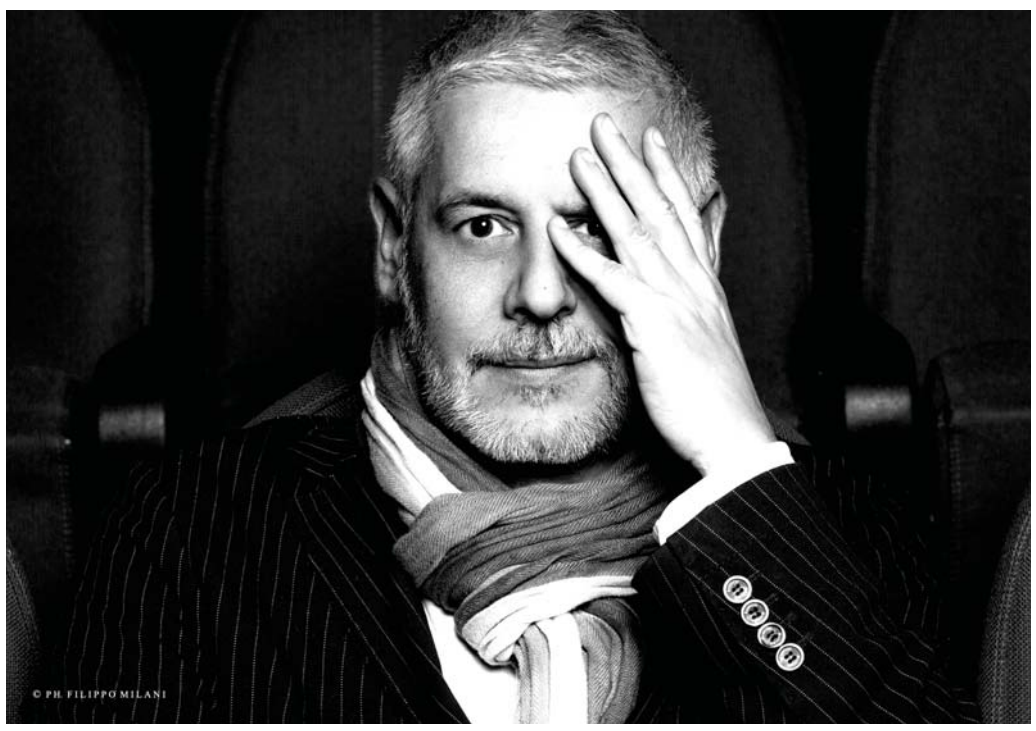

جانكارلو موردِيني- تصوير فيليبّو ميلاني

لا مسرح عظيما من دون الانفتاح على ثقافات العالم

المسرحي الإيطالي جانكارلو موردِيني: العمل الفني الجميل قطعة حلوى

عرفان رشيد
كاتب عراقي

فلورنسا – للعام الرابع والثلاثين، على التوالي وبتصاعد نوعي متواصل، يعود مسرح ريفريدي في مدينة فلورنسا إلى جمهوره ببرنامج ضخم يضم ما يربو على خمسين عملا مُقسّما على جدول زمني واسع يبدأ في العاشر من أكتوبر الحالي لينتهي في التاسع عشر من أبريل في العام المقبل، 189 يوما من العروض المسرحية التي تتضمّن أعمالا كلاسيكية وتجريبية وعروضا للموسيقى والرقص. ومن بين العروض أيضا نصوص مقتبسة من الروايات تمّت مسرَحَتُها، بالضبط كمسرحية "أنا اسمي سامية" المقتبس من رواية "لا تقل لي بأنّك خائف"، التي يروي فيها الكاتب الإيطالي جوزيبي كاتوتسيلا، قصة سامية، الفتاة الصومالية الشابة التي تعشق رياضة العدو، وتتدرّب برفقة صديق عمرها علي لبلوغ المرحلة التي تُتيح لها فرصة المشاركة في الأولمبياد المقبلة، ولكي تُحقق سامية هذا الحلم، تحوّله إلى مشروع لحياتها يدفعها إلى قطع مسافة ثمانية آلاف كيلومتر، وتعبر البحر المتوسّط من أجل بلوغ الساحل الشمالي للمتوسّط.

حضور عربي

"ليست اللغة العربية أو الأحداث التي تخص العرب وحكاياهم وقصصهم بغريبة عن هذه الخشبة إطلاقا، فقد شهدت برامج مسرحنا خلال السنوات الأخيرة عروضا كانت تتكلّم باللغة العربية أو روت حكايا عربية ومشرقيّة كُتبت في الأصل مسرحا، أو اقتُبسَتْ من أعمال روائية عربية ومشرقية، ومن بينها مسرحية "أحلام بلا حدود" المقتبسة من نصّ "مأساة جيفارا" للشاعر الفلسطيني مُعين بسيسو، والتي قدّمتها في نوفمبر 2004 فرقة "مسرح العناد" بإخراج رائدة غزالة وأداء ممثلين فلسطينيّين.

هكذا يبدأ جانكارلو موردِيني المدير الفني لمسرح ريفريدي في فلورنسا حديثه معنا عن البرنامج الضخم الذي قُدّم في المدينة وحضر حفل التقديم عدد كبير من الفنانين المشاركين في العروض، إضافة إلى ممثلي الصحف والقنوات التلفزيونية ومفوّض الثقافة مجلس محافظة فلورنسا توماّزو ساكّي، الذي أكّد على عزمه في "مواصلة جعل فلورنسا عاصمة للثقافة وملتقى للفنون والثقافات العالمية".

ومسرح ريفريدي هو الثاني، من حيث النشاط المتواصل في مدينة فلورنسا، بعد مسرح المدينة التاريخي، مسرح "لا پيرغولا" العريق الذي يُعدّ أول صرح مسرحي كلاسيكي أوروبي شيّد في في عام 1656.

إلاّ أن ما يُميّز مسرح ريفريدي عن مسرح لا پيرغولا. هو تحوله إلى ما يُشبه "المسرح البديل"، الذي صار برنامجه في السنوات الـ34 الأخيرة، بمثابة التكميل الضروري لتقديم مشهد مسرحي متنوّع يضمّ، إلى جانب الكلاسيكي المُقدّم من قبل لا پيرغولا، كل ما يولد على الصعيد الأوروبي والعالمي من تجارب وتحديثات.

وقد اعتاد هذا المسرح أن يمنح برنامجه في كلّ عام عنوانا خاصا، والعنوان الذي اختاره المدير الفني لموسم 2020/2019 هو "المسرح الذي يُوقظك". وإذا فإنّ ما يسعى إليه هذا البرنامج ليس تقديم العروض التي سترافق عيني المشاهد لتخلد بين ذراعي الوسن، بل لتوقظ من سيشاهدها، لكن دون أن تخلق تلك العروض مصابين بالأرق أو بالسائرين نياما، ويقول جانكارلو موردِيني: إن الهدف من هذا العنوان، الذي يتزامن مع الموسم الرابع والثلاثين لمسرحنا هو إبقاء الأذهان يقظة.

> **شهدت برامج مسرحنا خلال السنوات الأخيرة عروضا كانت تتكلّم باللغة العربية أو روت حكايا عربية ومشرقيّة كُتبت في الأصل مسرحا، أو اقتُبسَتْ من أعمال روائية عربية ومشرقية**

لكن، كيف يولد برنامج هذا المسرح، وكيف يتمّ اختيار الأعمال والعروض المُستضافة إلى جانب العروض المُنتجة من قبل فرقة "پوپي إي فريزيدي" الدائمة التي يُديرها موردِيني بصحبة رفيقه المخرج والكاتب أنجيلو سافيلّي؟ يُجيب جانكارلو موردِيني على هذا السؤال بقوله: المغزى الكامن وراء هذا العنوان هو، كما أسلفت، إبقاء الأذهان يقظة إزاء ما يحدث حوالينا كبشر وكمواطنين نعيش في عالم متحرّك ومتحوّل بتسارع رهيب، وهذا يعني أن ينشغل الناسُ وأن يلتزموا بما هو ضروري لحياتنا كبشر، وأن يُعيدوا النظر ويتأمّلوا.

نحن نسعى، يقول موردِيني، إلى تحفيز أذهان الناس صوب التأمّل في الأشياء والأحداث، وبالذات في المُعاش اليومي الذي يُحيط بنا. كل هذا دون أن يعني بأنّ العروض التي نُقدّمها هنا هي بكثابة محاضرات في الخدمة المجتمعية.

وبالفعل فإنّ عروض مسرح ريفريدي في فلورنسا هي عروض تنطلق، بالدرجة الأساس ممّا كان بيرتولت بريخت يضعه في مقدّم المهام الأساسيّة للمسرح، أي "تحقيق المُتعة للمشاهد".

أنا أتابع برنامج هذا المسرح منذ ما يزيد على خمسة عشر موسما، وفي كلّ موسم تتزايد لديّ القناعة بأنّ الثنائي جانكارلو موردِيني، وأنجيلو سافيلّي، يُشبه الباحثين عن الذهب، أو بالغطّاسين في لُجّة أعماق البحر بحثا عن اللؤلوء، فالمدير الفنّي موردِيني، والمخرج والكاتب الثابت للفرقة سافيلّي، يقضيان السنة بطولها يبحثان في مهرجانات المسرح التي تُقام في إيطاليا وفي أوروبا عن "لُقَى" ثمينة يحملانها إلى جمهورهم الذي صار عبر السنين، كما يقول لنا موردِيني في الحوار، يقظا وشفيف المذاق يُطالب دائما بالأفضل، وهذا، كما يُضيف موردِيني، ما يزيدنا افتخارا وزهوا، بالذات عندما نتشارك مع جمهورنا مشاهدة العروض في مسرحنا، ونكتشف بأنّ ردود فعله ودرجات تقبّله لأعمال تتشابه مع ما شعرنا به، نحن أنفسنا، عندما شاهدنا العرض للمرّة الأولى وقررنا اختياره ضمن برنامج الموسم.

وكيف تتم عملية اختيار العروض لبرنامج الموسم؟

يعتبر جانكارلو موردِيني هذا السؤال "مُعقّدا ومركّبا في آن"، ويُضيف بأنّ عملية الاختيار لا تخضع إلى قانون ثابت ووحيد، فعلى الرغم من الاختلافات الكامنة ما بين ما نُنتج نحن بأنفسنا خلال الموسم من عروض وما نستضيف، فإنّ الأعمال تمرّ، في كلا الحالتين عبر عمل طويل ومعقّد من البحث، وتمر الأعمال التي نُنتجها في مرحلة مخاض طويلة خلال الإعداد والتركيب والتدريب، مع تركيز خاص، خلال السنوات الأخيرة، على الدراماتورغيّا العالمية، عبر مؤلفين يتناولون الأمور ويتحدثون عنها ويُدلون فيها بدلوهم بشكل مختلف ومُغاير لما هو سائد؛ والخيط الأساسي الرابط ما بين هذه الاختيارات هو "المعاصرة" بكلّ ما تختزنه هذه الكلمة من معنى.

لقطة من مسرحية «لقيطة إسطمبول»

إيمانويل شميدت في مسرحية «السيّد إبراهيم وأزاهير القرآن»

مشهد من مسرحية «أنا اسمي سامية»

قطعة حلوى مع الحبيب

أمّا بصدد الأعمال والعروض التي يستضيفها مسرح ريفريدي كلّ عام فيقول جانكارلو موردِيني بأنّ فريق الاختيار يتجّه في الأساس صوب الأعمال التي تخلب اللبّ منذ الوهلة الأولى للعرض، فإذا تمكّن عمل ما من جذب انتباهنا منذ المشاهد الأولى، فإنّ ذلك يعني بأنّه سيفعل الشيء ذاته مع جمهورنا في صالة ريفريدي، وهنا أتحدّث عن الأعمال التي تُدهشك، وتؤكد لك بأنّها تختزن على ما هو مُختلف ومُغاير، إضافة إلى ما تمتلكه من عناصر الجدّة التي تشعرك بالحاجة إلى أن تتشارك فيها مع جمهورك، بالضبط كما يحلو لك أن تتشارك مع الحبيب أو الحبيبة قطعة الحلوى اللذيذة التي قُدّمت إليك.

وبالتأكيد، كما يقول موردِيني، بأنّ ليس جميع الاختيارات حققت ما كنّا نرمي إليه من نجاحات، لكن عموما. وبشكل موضوعي، لم نُخطئ في الاختيارات كثيرا.

اللغة العربية تتردد

وحين أسأل جانكارلو موردِيني، ما إذا كنّا سنستمع إلى اللغة العربية على خشبة مسرح ريفريدي الفلورنسي، عبر أحد العروض القادمة من بلد عربي، مشرقي أو من شمال أفريقيا، يُعيد المدير الفنّي لهذا المسرح إلى الأذهان المرّات التي استمع فيها مشاهدوهم إلى اللغة العربية، أو شاهد أحداثا وعروضا ذات صلة بالعالم العربي أو المشرق بكل عام، كالعرض الفلسطيني "أحلام بلا حدود"، أو عرض "السيّد إبراهيم وأزاهير القرآن" للكاتب والمخرج الفرنسي إيمانويل شميدت و"لقيطة إسطنبول" المقتبس من رواية بذات العنوان للكاتبة لتركية إليف شفق، والتي قُدّمت على خشبة مسرح ريفريدي لأكثر من 14 موسما، بمعدل أسبوعين أو ثلاثا في كلّ موسم.

ويقول: ليس لدينا ما هو مُبرمج في الوقت الراهن، وهناك ثمة أفكار نناقشها، وبشكل مبدئي لا أستبعد أن نستضيف في اللاحق من الشهور عرضا ناطقا باللغة العربية، فشغفنا بما هو كوني ورغبتنا في الانفتاح على الثقافات الأخرى يُشكلان المكوّن الأساسي للحمض النووي لمسرحنا وفرقتنا، ونعتقد بأنّ هناك ضرورة بأن يستمتع جمهورنا الاعتيادي وجمهورنا الشاب بالذات بهذه العروض وأن يتعلّم شبابنا، الذين نُقيم لهم عروضا خاصّة بالتعاون مع إدارات المدارس، الكثير عن الثقافات الأخرى، وعن ثقافات وحياة الكثير من أقرانهم القادمين من مجتمعات وثقافات أخرى؛ نحن نعتقد بأنّ بإمكان المسرح أن يتحوّل إلى مدرسة للحياة، إضافة إلى كونه مكانا يُدخل البهجة والفرح إلى النفوس.

الحوار مع جانكارلو موردِيني جرى في ذات اليوم الذي شيّع فيه المسرحيون العراقيون في بغداد عميدهم الراحل سامي عبدالحميد، أخبرته عن هذا الفنان الذي سبق وأن زار فلورنسا في منتصف التسعينات، بعد أن قدّم أحد عروضه في مدينة كونفيرسانو الجنوبيّة، وسألت جانكارلو موردِيني عن إحساسه إزاء غياب قامة مثل سامي عبدالحميد وما يشعر به الآن، بعد أن عرّفته بهذا الفنان الكبير، فقال "حين يموت شخص مثل سامي عبدالحميد، فإنّنا نكون، جميعُنا، أيتاما بمقدار ما، إذا لا فرق أن يكون ذلك الراحل من بلدي أو من أيّ مكان آخر، فحين يمضي شخص مثله، تنطفئ في مكان ما نجمة كانت تُفعّل الضياء، ومع هذا لا أعتقد بأنّ هؤلاء الكبار يموتون، فما تركوه ضخم وسيبقى طالما كان المسرح حيّا.

كلام جانكارلو موردِيني يُذكّرني بما قاله صانع مدرسة الإخراج المسرحي الحديث جورجو ستريهلر حين توفّي الكاتب الإيطالي الكبير إدواردو دي فيليبّو، فقد كتب ستريهلر افتتاحية في جريدة "كورّييري ديلا سيرا" الإيطالية العريقة في اليوم التالي "مات إدواردو، فالمسرح العالمي فقير...".

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

فقدان الروح والتدهور الإنساني في تحفة سينمائية

فيلم «الطائر المطلي» في مهرجان لندن السينمائي

من أهم ما يعرض في مهرجان لندن السينمائي الـ63 فيلم "الطائر المطلي" الذي جاء إلى لندن بعد عرضه في مسابقة الدورة الـ76 لمهرجان فينيسيا السينمائي، فهو احتفال بالفن السينمائي وبالصورة السينمائية وقدرتها على تحقيق الدهشة والصدمة، في مزيج فريد بين الجمال والقسوة.

لحظة استرخاء نادرة وسط الجحيم الأرضي

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

يعيدنا فيلم "الطائر المطلي The Painted Bird" للمخرج التشيكي فاكلاف مارهول، إلى عصر الكلاسيكيات العظيمة في السينما التشيكية، وتحديدا إلى أجواء فيلم قديم حفر في ذاكرتنا هو "ماركيتا لازاروفا (Markita Lazarova 1966) للمخرج التشيكي فرانتشك فلاتشل. ولكن بينما كان "ماركيتا لازاروفا" يصور قسوة الإنسان وبدائيته وعنفه وافتقاد للأخلاقيات في أوروبا القرون الوسطى في مرحلة الانتقال من الوثنية إلى المسيحية، يصور "الطائر المطلي" التدهور الإنساني في زمن الحرب معلنا أن الإنسان لا يتغير، وأن الدين لم يصبح وقاء أبديا له من السقوط.

وشأنه شأن فيلم "ماركيتا لازاروفا" يعتمد "الطائر المطلي" على رواية أدبية ذائعة الصيت، من تأليف الكاتب البولندي- الأميركي "يرزي كوزينسكي Jerzy Kosinski" كتبها كوزينسكي وقت تصوير "ماركيتا لازاروفا" أي في عام 1965. وتعتبر الرواية من روايات "السيرة الذاتية" إلا أن بعض نقاد الأدب اكتشفوا كما قالوا، بعد مرور سنوات، أن فيها الكثير من الخيال، وأن كوزينسكي اعتمد في الكثير من فصولها على ما كتبه غيره ممن كانوا يساعدونه في الكتابة خاصة وأن الرواية كُتبت بالإنكليزية وهي لغة لم يكن يجيدها الكاتب الذي هاجر من بولندا إلى الولايات المتحدة عام 1958 أي قبل 7 سنوات من صدور روايته ذائعة الصيت.

> استخدم المخرج الدوبلاج، كضرورة خاصة وهو يعتمد على طاقم متعدد الجنسيات من مشاهير النجوم

كون الرواية رؤية ذاتية أم رواية خيالية لا يضيف أو ينقص من قيمة الفيلم، فالفيلم يبقى عملا قائما بذاته، وشكلا للتعبير يختلف تماما عن الوسيلة الأدبية. و"الطائر المطلي" هو الفيلم الثالث لمخرجه منذ أن أخرج "فيليب الشاطر" (2003) وبعده "طبرق" (2008)، وهو معروف أيضا كممثل شارك بالتمثيل في عدد من الأفلام والمسلسلات التلفزيونية التشيكية. لكن مارهول يثبت بفيلمه هذا أنه واحد من أعظم المخرجين الأوروبيين، وأنه يمتلك رؤية بصرية تضارع أعظم إنجازات الفن السينمائي، ولا شك أن الصورة التي جاء عليها فيلمه تكتسب جمالها وسحرها ورونقها وتأثيرها الكبير بفضل مدير التصوير المرموق فلاديمير سموتني (77 عاما) Vladimír Smutný الذي استخدم كاميرا الـ35 ملم في تصوير الفيلم، واعتمد على إضفاء ملامح الأبيض والأسود عليها.

قصيدة سينمائية

إننا أمام قصيدة سينمائية خلابة ومعبرة عن "فقدان الروح". صحيح أن الفيلم يتصف بالقسوة التي تصل إلى حد غير مسبوق في بعض مشاهده، إلا أن هذه القسوة "الإنسانية" تقع في محيط الطبيعة الخلابة بما يعكس تناقض النفس البشرية مع الطبيعة، مع الحيوان والطيور، ومع الأرض والسماء، إنه يعكس كيف يسيء الإنسان للإنسان، ويقسو عليه، بل وكيف يتحول البشر في خضم الحرب، إلى كائنات أدنى من الحيوانات المتوحشة. فالفيلم رحلة في قلب الجحيم الأرضي في زمن الحرب حيث يصبح الإنسان منزوعا من الضمير، مجردا من المشاعر، غارقا في مستنقع الهمجية الأولى: العنف والاغتصاب والعقاب الصادر من قلوب متحجرة دون سبب أو هدف، عجز الدين عن كبح جماحه، وغياب السلطة، وانتشار العنف المتبادل والاضطهاد والصيد البشري. إنه باختصار فيلم عن "السقوط الإنساني".

يقع الفيلم في نحو ثلاث ساعات، فهو عمل ملحمي يتخذ سمة السرد الخطي وعلى تقسيم الفيلم إلى فصول منفصلة (9 فصول) تظهر عناوينها على الشاشة في مطلع كل فصل، وما هي سوى أسماء الأشخاص الذين يلتقي بهم بطل الفيلم خلال تلك الرحلة داخل الجحيم الأرضي. هذا البطل هو طفل في الـ11 من عمره، يرغب في النجاة من أهوال الحرب، ولكن كلما تصور أنه قد أصبح بمنأى عن الخطر، يكتشف أنه قد يواجه مأزقا أكبر. وتدور مشاهد الفيلم على خلفية الحرب العالمية الثانية في أوائل الأربعينات، في ريف أوروبا الشرقية، في المنطقة الواقعة بين أوكرانيا وروسيا وسلوفاكيا دون تحديد المكان بدقة، ولا يحدد المخرج لغة ما تتحدثها شخصيات الريفيين في فيلمه بل يجعلهم يستخدمون لغة هجينة من اللغات السلافية، وقد صرح بأن هدفه من ذلك كان ألا يعتقد المشاهدون في أوروبا الشرقية، أن بلدهم هو المقصود وصمه بهؤلاء الناس الأشرار.

استخدم المخرج الدوبلاج، كضرورة خاصة وهو يعتمد على طاقم متعدد الجنسيات من مشاهير النجوم في عالم التمثيل مثل الأميركي هارفي كايتل، والسويدي ستيلان ساكارغارد، والكندي باري بيبر، والألماني أودو كير، والبريطاني جوليان ساندس، وفي الدور الرئيسي، الطفل التشيكي بيتر كوتلار، الذي لم يسبق له الوقوف أمام الكاميرا، وهو يقوم بدور "الصبي" الذي لا اسم له ويبقى صامتا طوال الفيلم بعد أن يصيح مرة واحدة فقط "أريد العودة إلى بيتي". هذا الصبي يصفه الذين يقابلهم من "الكبار" تارة باليهودي، وتارة أخرى بالغجري. وهو غموض مقصود، فالفيلم يتناول ظاهرة الحرب عموما، والحرب العالمية بوجه خاص، على خلفية الصدام المسلح بين الجيش الألماني النازي، وجنود الجيش الأحمر السوفييتي، لكنه ليس من "أفلام الحرب"، كما لا يمكن اعتباره -كما ذهب كثيرون- من "أفلام الهولوكوست". خاصة وأنه وقت كتابة الرواية ثم صدورها عام 1965 لم يكن هذا المصطلح قد ظهر إلى الوجود بعد (ظهر بعد حرب 1967 بين الدول العربية وإسرائيل) كما أن الفيلم لا يتطرق إلى "غرف الغاز"، أي قبل ما يسمى بـ"الهولوكوست". ورغم ظهور الجنود الألمان والسوفييت إلا أنه لا يصور المعارك بل انعكاسات الحرب على البشر العاديين من الريفيين في تلك المنطقة بحيث يجعل انهيارهم الأخلاقي والقيمي معادلا لانهيار عالم "الكبار" وعالم "البشر" الذين يفترض أن يتضامنوا مع بعضهم البعض عند الخطر.

اصطياد اليهود

هناك مشهد هائل نشاهد فيه قطارا ينقل اليهود الذين اعتقلهم الألمان وهم ينقلونهم إلى معسكرات الاعتقال. يعبر القطار منطقة ريفية. اللقطة مصورة من داخل القطار وهو يتحرك من زاوية تبرز السجناء وهم تزدحم بهم العربات الضيقة كالحيوانات. البعض منهم يطرق ويكسر فتحة تكفي للقفز منها. لا شيء يوحي بالخطر. يطمئن الأسرى. يقفزون واحدا وراء الآخر وهم يسرعون نحو "الحرية". تنطلق بنادق الجنود الألمان من داخل القطار تتصيدهم. ورغم المصير الدموي الذي ينتظرهم، يستمرون في القفز من القطار، كل منهم يحمل حقيبته، يمنّي نفسه بأنه ربما يتمكن من الإفلات من الموت. تتمدد الجثث على الأرض. يهجم عليها الفلاحون يجردون اليهود مما يملكونه ويستولون على الحقائب. ينال صاحبنا حذاء يحتاج إليه من قدمي إحدى الجثث. لكنه لا يبدو سعيدا. لقد بدأ هو نفسه يفقد روحه.

في البداية يقع الصبي في قبضة من يشبعونه ضربا ويلقون به في بركة مليئة بالقاذورات، ثم يبيعونه كعبد لامرأة عجوز "ساحرة" تشفق عليه وتضمد جراحه وتمنحه ملجأ.. لكنها تموت فيشعل النيران في منزلها ويفر بعيدا ليواجه مصيره وحيدا مجردا من الحماية. سيلتقي بعد ذلك بالكثير من البشر: الفلاح الذي ابتكر طريقة غريبة لطلاء العصفور باللون الأبيض ثم يطلقه في الجو. تجده باقي الطيور غريبا عليها فتهاجمه وتنهشه فيسقط على الأرض ليموت. إنها صورة مجازية عن مصير "المختلف" الذي ينهشه أقرانه.

في واحد من أكثر المشاهد إثارة للقشعريرة يُدفن الصبي في حفرة بحيث لا يظهر سوى رأسه فقط. تحوم حوله الصقور المفترسة تريد أن تنهش رأسه. يصرخ صرخة عالية، تبتعد الصقور لكنها تعود وتتكاثر عليه وتبدأ في نقر رأسه.

يقع الصبي في قبضة الجنود الألمان الذين يبحثون عن اليهود والغجر لقتلهم، يسلمه القوزاق للألمان باعتباره يهوديا. يجده الضابط الألماني عاجزا عن الكلام. يطلب متطوعا لكي يأخذه ويطلق عليه الرصاص. الجندي يشفق عليه. يقرر الإبقاء على حياته ويتركه يهرب.

يلتقطه قس كاثوليكي لكنه يسلمه لفلاح متدين من أتباع الكنيسة سرعان ما يكشف عن طبيعته التي تجعله يغتصب الصبي مرة ومرات.

القس الذي ينقذ البطل الصغير

الصبي وحيدا في مواجهة شرور العالم

> قصيدة سينمائية خلابة ومعبرة عن «فقدان الروح». صحيح أن الفيلم يتصف بالقسوة التي تصل إلى حد غير مسبوق في بعض مشاهده، إلا أن هذه القسوة «الإنسانية» تقع في محيط الطبيعة الخلابة بما يعكس تناقض النفس البشرية مع الطبيعة

يلتقطه بعد ذلك مزارع مصاب بلوثة جنونية تجعله يتشكك في أن ابنه يطمع في زوجته الشابة. يثور ويصرخ ويهدد ويتوعد. ويضرب المائدة بقبضة يده، ثم يلتقط شوكة يخرج بها عين الشاب ثم يلقي بالعين المفقوعة التي تهجم عليها القطط الضالة!

سيشهد "الصبي" الكثير من الفظائع، وأعمال القتل وتقطيع الأطراف والأشلاء والاعتداءات الجنسية وقتل الحيوانات، ويمر بتقلبات الطبيعة وتغير أحوال الطقس، بقرى تحترق، وشخصيات تبدو كأنها خارجة من الكهوف بعد أن ارتدت إلى البدائية الأولى، لن يعرف التعاطف سوى على أيدي جنديين من جنود الجيش السوفييتي اللذين يصحبانه معهما في قطار لا نعرف إلى أين يمضي.

رؤية كابوسية

ليس المهم هنا أن نتابع قصة تتصاعد دراميا نحو ذروة ما، أو ترمي إلى تحقيق هدف محدد من وراء السرد، فالفيلم يصور أجواء الجحيم الأرضي، في صورة ضبابية قاتمة، ربما تكون كابوسا في خيال الطفل، أو تداعيات في وعيه بينما هو مشرف على الموت، إلا أن "الصبي" هو أيضا شاهد على التدهور الإنساني وغياب التعاطف وموت الروح. وتظل الصورة والمونتاج واستخدام الحركة البطيئة الطويلة للكاميرا والاهتمام بمكونات اللقطة بحيث يظهر الإنسان دائما في إطار الطبيعة، وحركة الكاميرا التي تضفي طابعا تسجيليا على مشاهد الفيلم، هي أبرز طرق التعبير عن "الرؤية" وليس الكلام أو الحوارات أو الحبكة المصنوعة المقصود منها توصيل رسالة سياسية ما. وتتخذ الكاميرا وجهة نظر "موضوعية"، كعين تراقب وترصد، تقترب وتبتعد، وليست من وجهة نظر الصبي، فهو موجود في الفضاء الفيلمي كمفعول به طول الوقت.

يحقق الفيلم تأثيره الكبير من خلال تصميم المناظر وتنسيقها وإعادة تشكيل الطبيعة ومواقع التصوير التي تمت في أكثر من بلد، وفي ذلك الاهتمام الكبير، ليس فقط بالعناصر المكونة للقطات والمشاهد، بل بالعلاقات البصرية داخل اللقطات: المسافة بين الفرد وما يجري حوله وخلفية الصورة، الأرض المحروقة أو السماء الغائمة المنذرة والسحب الداكنة المتحركة، ويخلق الإيقاع العام للفيلم شعورا بالنفس الملحمي، ويوحي تعاقب الأحداث المتصلة المنفصلة، باستمرارية الزمن، ورغم الأبيض والأسود الذي يدعم الشعور بالماضي ويؤكد شاعرية الصورة وابتعادها عن المألوف والعادي واليومي الذي نراه في شرائط الأخبار وتقارير التلفزيون عن الحروب، إلا أن الحاضر لا يغيب عن بالنا قط. فهذا فيلم عن عالمنا المعاصر الذي نعيشه أيضا، وعن التفرقة والعنصرية والتعصب والصراعات التي لا تنتهي بين الإنسان والإنسان.

ولا شك أن استخدام طاقم من الممثلين المحترفين الكبار أضاف الكثير إلى الفيلم، وأبرز قوة تجسيد الشخصيات وملامحها الشكلية وتعبيرات وجوهها وحركة أجسادها، رغم استخدام الدوبلاج. ويصلح الفيلم عموما كدراسة بصرية في قدرة السينما على إعادة تجسيد الأدب في شكل سينمائي بعيد كل البعد عن الثرثرة الكلامية، والمشاهد الجامدة المسرحية، واستخراج الشعر من الصور التي تتعاقب في نسق محدد يبدو أحيانا كما لو كان نوعا من "الفوضى" ولكنها فوضى ظاهرية في سياق مرتب تماما، فالهدف ليس رواية قصة، بل توصيل مشاعر ترتبط بمحنة البطل الصغير في هذا الجحيم الأرضي.

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

السعودية تدعو سياح العالم لزيارة وجهة جديدة غير مكتشفة

تأشيرة في دقائق لسياحة متنوعة على مدار الفصول الأربعة

تفتح السعودية منافذها لاستقبال السياح من مختلف دول العالم، في إطار خطة تنويع اقتصادي بدل النفط، وستساهم هذه المبادرة في تدفق السياح الذين يبحثون عن وجهات سياحية جديدة، خاصة وأن السعودية لها من الإمكانيات الطبيعية والتراثية ما يجعل سياحتها متنوعة وصالحة لكل الفصول.

سيلفي أول الرحلة

المغامرة تعزز روح الشباب

البحر الأحمر ومتعة الغوص

الرياض – بدأت المملكة العربية السعودية في استقبال أول طلبات الأفواج السياحية للحصول على التأشيرة الإلكترونية منذ الجمعة الماضي تاريخ فتح المنافذ السعودية أمام السياح الأجانب، خارج إطار السياحة الدينية.

ورغم ما يثار حول الوجهة السياحية الجديدة من مخاوف حول قبول المجتمع المحافظ للسياح الجدد، وإمكانية أن لا يقبل هؤلاء السياح المخاطرة بالقدوم إلى دولة كانت مغلقة بالأمس القريب إلا القادمين بهدف أداء مناسك الحج والعمرة، إلا أن توقعات الخبراء تفيد بأن مثل هذه المخاوف ستنجلي سريعا.

واعتبارا من 27 سبتمبر الماضي، أصبح بإمكان المسافرين من 49 دولة (38 دولة من القارة الأوروبية، وسبعة دول من آسيا والولايات المتحدة الأميركية وكندا وأستراليا ونيوزيلندا) الدخول إلى المملكة إثر الحصول على تأشيرة إلكترونية، وبرسوم قدرها نحو 80 دولارا.

وأصبح وفق القرار الجديد بإمكان السائح عند وصوله السعودية عبر المطارات وعدد من المنافذ البرية الحصول على التأشيرة عبر أجهزة الخدمة الذاتية، أو من خلال أجهزة الهواتف الذكية، ومكاتب إصدار التأشيرات بمنافذ الدخول، ويمكن للسائح بموجب هذه التأشيرة الدخول إلى السعودية لمرات متعددة لأن التأشيرة صالحة لمدة سنة من تاريخ صدورها.

أما السياح من بقية الدول فيمكنهم الحصول على التأشيرة السياحية من سفارات وقنصليات المملكة، ولا تستثني التأشيرة السياحية أي سائح لأسباب الدين أو المعتقد، وبإمكان السائح القيام بزيارات متعددة خلال عام.

مرحبا بالعالم

قال ممثل تحالف تربل فايف غروب، كريستوس مارافاتسوس، إن الإعلان عن التأشيرة السياحية السعودية، يعد خبرا مهما لشركات السياحة بالعالم، والسوق السعودية فرصة كبيرة، وانفتاحها على مختلف الجنسيات يجعلها واحدة من أفضل وجهات السفر في المستقبل.

وفتحت السعودية أبوابها أمام السياح الأجانب ضمن خطة تسمى "رؤية 2030"، متوقعة أن يصل عدد الزوار السنوي إلى 100 مليون شخص، آملة أن تصبح المملكة واحدة من ضمن أكبر 5 دول سياحية في العالم.

وقال رئيس الهيئة العليا للسياحة أحمد الخطيب، إن "المملكة تحتفل بفتح تأشيرات السياحة لجميع الزائرين من شتى أنحاء العالم، ونتطلع إلى أن تكون السياحة مصدر دخل رئيسيا وماكينة لخلق الوظائف".

كانت أول الأفواج التي تقدمت للحصول على التأشيرة الإلكترونية من الصين التي قدمت لاكتشاف الكنوز التاريخية والتراثية والطبيعية للمملكة.

وخلال حفل حضره السفير السعودي في سويسرا، رحب عدد من رجال الأعمال والشخصيات الإعلامية والمواطنين في أوروبا بقرار السعودية في ما يتعلق بالتأشيرات السياحية عبر الإنترنت.

وأثار هذا القرار الاهتمام في فرنسا، حيث كشفت الوسائل الإعلامية أن الفرنسيين متحمسون لفكرة الذهاب إلى المملكة كوجهة سياحية جديدة بعد أن كان يقتصر وجود الأجانب فيها إلى حد كبير على العمال المقيمين وعائلاتهم، والزائرين من رجال الأعمال، والحجاج المسلمين.

وقال سعد النفيعي رئيس القسم القنصلي في السفارة السعودية في باريس، إن بإمكان السائح الفرنسي أن يتجه للأجهزة الذاتية في المطار لإصدار التأشيرة، ويحتاج فقط إلى تذكرة ذهاب وعودة، وتكون مدة صلاحية التأشيرة عاما كاملا، وصلاحية الإقامة 30 يوما، ويمكن الخروج والعودة مجددا خلال فترة صلاحية التأشيرة.

سياحة متنوعة

تتمتع السعودية بشواطئ رائعة، ومواقع تاريخية، ومدن ملاه، وفنادق فاخرة، فهي وجهة سياحية لم يقع اكتشافها بعد نظرا إلى أن السياحة فيها كانت مقتصرة على المزارات الدينية.

وفي أنحاء كثيرة من المملكة، يمكن للسائح الاستمتاع بالمغامرة في الجبال، أو الاسترخاء في أماكن ريفية هادئة، أو التخييم في الصحراء، كما تعتبر وجهة جاذبة للسياح في كل الفصول.

وعملت المملكة منذ سنوات على تهيئة البيئة المناسبة لقطاع السياحة، بتسجيل عدد من المواقع الأثرية ضمن قائمة التراث العالمي "اليونسكو"، وتحويل أجزاء من ساحل البحر الأحمر إلى منطقة جاذبة للسياح.

ومن المنتظر أن يحل السياح الروس ضيوفا على السعودية في فصل شتائها الدافئ هربا من بردهم القارس، وقال الخطيب في حديث لوكالة نوفوستي، "نحن نعول على السياح الروس، وسنكون سعداء لرؤيتهم.. نريدهم أن يتعرفوا على السعودية، وأن يستمتعوا بثقافتنا وطعامنا".

وأضاف "لدينا شتاء جميل، ولديكم في روسيا شتاء قاس للغاية، لذلك يمكنكم زيارة بلادنا في الشتاء، والاستمتاع بالطقس الجميل والرائع".

ويعرف السعوديون السياحة الشتوية منذ القدم، فكانوا يقومون في فصل الشتاء برحلات سياحية إلى المناطق الصحراوية، بغرض الترفيه والتخييم والاستمتاع بطبيعة الصحارى في عسير تهامة والباحة وجازان، إضافة إلى الصحارى في وسط المملكة وشمالها. ويلعب تنوع البيئات الطبيعية واعتدال المناخ في السفوح والأودية الخضراء وعلى شواطئ البحر الأحمر دورا كبيرا في جذب الكثير من الباحثين عن الدفء إليها.

وتتوقع وكالة بلومبيرغ الأميركية أن السعودية يمكن أن تجتذب المزيد من المسافرين المغامرين، خصوصا أولئك الذين يرغبون في زيارة الجزر البكر، أو رؤية المواقع التاريخية غير المعروفة أو استكشاف ثقافة يساء فهمها.

وتتنوع رحلات المغامرة في السعودية، بعضها يعلن التحدي على الكثبان الرملية رغم الصعوبة البالغة بسيارات ذات دفع، وأخرى تشمل تسلق الجبال وقطع مسافات شاسعة في الصحراء، حتى الغوص في قيعان البحار من أجل متعة الاكتشاف.

أنهت الهيئة العامة للسياحة في السعودية، دورة لتدريب وتأهيل 16 مرشدا سياحيا في مجال سياحة الكهوف والمغامرات، وهم أول فريق من المرشدين السياحيين المتخصصين في هذا المجال.

وتهدف الدورة للمرشدين في مجال سياحة الكهوف إلى التركيز على مجال سياحة المغامرات، والاطّلاع على المواقع مثل الصحارى والجبال والكهوف، والتعرف على طبيعتها وتكوينها الجيولوجي، حيث توجد لهذا المنتج السياحي فئة كبيرة من المهتمين والهواة من مختلف الجنسيات والفئات العمرية التي تحرص على اكتشاف مقومات طبيعة متنوعة.

بين القبول والرفض

تواجه خطة السياحة في السعودية عدة عراقيل، ذلك أن السماح بالمزيد من الزوار من الجنسيات المختلفة سوف يكون اختبارا لمملكة لا تسمح بالمشروبات الكحولية وعادة ما تطلب، حتى من النساء الأجانب، ارتداء العباءات.

ومع أن السعودية تحظى بشواطئ بكر ومناطق ساحلية، لكن الحمامات الشمسية العامة والشواطئ المختلطة ممنوعة. وسيواجه هذا القرار جملة من التحديات أهمها تفاعل بعض فئات المجتمع مع قدوم سياح إلى بلدها وخاصة في المناطق المحافظة.

يقول الإعلامي هاني النقشبندي، "قد تكون هناك صدمة في البداية أو صعوبات في التعامل مع ثقافات أخرى، لكن ما إن يرى الناس أن هؤلاء السياح سيشكلون مصدر دخل سوف يتقبلون الأمر".

ويرى البعض أن قبول السعوديين للأجانب سيتم تدريجيا بعد أن يتواصل سكان المدن والقرى مع السياح الذين يحبون اكتشاف عادات وتقاليد الناس في المناطق التي يزورونها.

واعتبر الكاتب السعودي خالد باطرفي، أن السياحة "مفهوم جديد" في السعودية، وكتب العام الماضي "في تراثنا العشيري ليست مقبولة خدمة الآخرين إلا إن كانوا ضيوفكم"، ودعا إلى فتح دورات تدريب مخصصة لمحترفي قطاع السياحة.

وفي إطار استراتيجية السياحة، أعلنت الهيئة العامة للسياحة، إطلاق برامج تدريبية حديثة في 14 مدينة لتأهيل المرشدين السياحيين الجدد وفق أفضل المعايير الدولية بمجال الإرشاد السياحي، مستهدفة الشباب والشابات المتخرجين من تخصصات 11 لغة أجنبية معتمدة دوليا.

وتستهدف الدورات تأهيل المرشدين والمرشدات الشباب لسوق الإرشاد الاحترافي، وفق المعايير الدولية، حيث سيكون لهم طلب وحضور في سوق العمل السياحي مع التوجه نحو الاهتمام بصناعة السياحة السعودية.

وفي ما يتعلق باللباس الذي يمكن أن يزعج السكان المحافظين يقول الخطيب إنّ السعودية ستخفّف من قواعد اللباس للنساء الأجنبيات وستسمح لهنّ بالتنقّل دون ارتداء العباءة، لكنّه أشار إلى أنّه سيتوجّب على الزائرات الأجنبيات ارتداء "ملابس محتشمة" حتى على سواحل البحر، و أشار أيضا إلى استمرار حظر الخمور، قائلا "سنستقبل عددا كافيا من السياح للتمتع بأشياء أخرى".

وعن مخاوف السياح من الوضع السياسي في المنطقة ككل يقول السائح الأميركي جيمس، الذي زار السعودية السنة الماضية، إن الزيارة صححت بعض المفاهيم المغلوطة التي كانت لديه، مضيفا "فقط إنس السياسة، ويمكنك أن تقيم علاقات مع الشعوب في أنحاء العالم... هذا ينطبق على السعودية أيضا".

ضوابط وقوانين

السياحة في السعودية كما في كل دول العالم تخضع لضوابط يعاقب على تجاوزها القانون، من ذلك الملابس الخادشة للحياء في الأماكن العامة، فاللباس يجب أن يتناسق مع "طبيعة المكان، وفق نموذج معد لهذا الغرض".

> أصبح بإمكان المسافرين من 49 دولة الدخول إلى المملكة إثر الحصول على تأشيرة إلكترونية، وبرسوم قدرها نحو 80 دولارا للتأشيرة

ويمنع القانون أيضا ارتداء الملابس "التي تظهر عليها إشارات عنصرية أو التي تثير النعرات أو الترويج أو التي تحرض على تعاطي الممنوعات، أو الإباحية".

وفي حال مخالفة قواعد الراحة مثلا، كرفع صوت الموسيقى داخل الأحياء السكنية والتعرض لشكوى، أو في حال تشغيل الموسيقى في أوقات الأذان وإقامة الصلاة، ستبلغ الغرامتان 121 يورو 250 يورو على التوالي.

وتخصص اللائحة عدّة نقاط بهدف الحفاظ على النظافة، وتبلغ غرامة رمي النفايات أرضا نحو 250 يورو.

ويمنع القانون كذلك السياح من الكتابة والرسم على ممتلكات الدولة، مثل وسائل المواصلات العامة أو الجدران، أو وضع الملصقات التجارية دون الحصول على التراخيص المطلوبة.

وينص القانون على أن إشعال النار في الحدائق والأماكن العامة يعتبر مخالفة، لما يترتب على ذلك من مخاطر اندلاع الحرائق.

هذه الضوابط والقوانين لن تكون مانعا لقدوم السياح كما يؤكد مدير وكالة ستيب ترافل في بريطانيا جاستن واتربدج "نعلم ذلك بفضل الطلب المتزايد في قاعدة بياناتنا".

سفر في التاريخ

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

ماذا يعني انتقال التواصل الاجتماعي إلى العالم الافتراضي؟

انفتاح أبواب الهجرة إلى مدن افتراضية أكثر إثارة من حياتنا الباردة

قرب انقلاب حياتنا الواقعية رأسا على عقب

سلام سرحان
كاتب وإعلامي عراقي

لا يمثل كشف موقع فيسبوك الأسبوع الماضي عن شبكة اجتماعية جديدة قائمة على الواقع الافتراضي، مجرد خبر عابر، لأنها تشكل منعطفا هائلا تمتد آثاره إلى جميع تفاصيل الحياة على هذا الكوكب، بل ستؤدي في نهاية الأمر إلى هجرات جماعية للعيش في العوالم الافتراضية.

لا يمكن مقارنة موجة نزوح من هذا النوع، بما حدث في العقدين الماضيين مع شبكات التواصل الاجتماعي الحالية، التي غيرت طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بعد أن استقطبت معظم سكان العالم.

بطبيعة الحال، لن تحدث ثورة النزوح بين ليلة وضحاها، رغم أن حدوث قفزات تكنولوجية مفاجئة وكبيرة في قدرات النظارات والعوالم التي تبنيها، يمكن أن يقلب جميع التوقعات التي يمكن أن ننسجها حاليا.

في العالم الافتراضي، لن يقف الأمر عند التواصل مع الأهل والأصدقاء. وفي المدين القريب والمتوسط سوف يتسابق كثيرون لخوض تجارب مع أصدقائنا، أكثر إثارة من حياتنا الواقعية، تشمل التجول في الغابات والبراري ومدن العالم بجميع التفاصيل كما لو كنا هناك دون مغادرة غرفة نومنا.

أما في المدى البعيد فسوف نهاجر للعيش في مدن افتراضية لها قوانينها ووظائفها وأملاكها وأموالها، بعد أن تتلاشى مظاهر الحياة في شوارع المدن وتزحف الأتمتة على معظم أدوارنا ووظائفنا الحالية.

سنتسابق في بناء مدن شبيهة بمدننا الحالية وأخرى تفترض خيالات علمية وكواكب أخرى، لكني أرجح أن تكون المدن، التي تشبه الحياة فيها مدن القرون الماضية وبضمنها العصور البدائية، الأكثر استقطابا للسكان.

فيسبوك تفتح الأبواب

إعلان فيسبوك في الأسبوع الماضي لم يقترب من تلك الافتراضات، واكتفى بالقول خلال مؤتمر مطوري الواقع الافتراضي إن شبكة فيسبوك هورايزون Facebook Horizon الافتراضية، ستكون متاحة لمستخدمي نظارة أوكولوس كويست Oculus Quest ومنصة أوكولوس ريفت Qculus Rift عن إطلاقها في العام المقبل.

حجم الإعلان الجديد وتوقعات نجاحه يتناسبان مع انتشار استخدام موقع فيسبوك الحالي، حيث يصل عدد رعايا تطبيق التواصل الاجتماعي إلى أكثر من ملياري مستخدم، أي أنها أكبر إمبراطورية في العالم.

وقالت شركة فيسبوك إن بناء الشبكة الافتراضية استند إلى "ما تعلمناه حتى الآن بشأن المساحات والمجتمعات الافتراضية، وأن هورايزون تعد الخطوة الأولى نحو عالم آخذ في التوسع من التواصل والاستكشاف حيث يصبح أي شيء ممكنا".

وفي بداية الدخول إلى هذا العالم الافتراضي، سيكون على المستخدمين تصميم الشخصية الافتراضية التي تناسبهم من مجموعة من خيارات الشكل والجسم، ثم استخدام البوابات الشبيهة بالسحر، التي أطلقت عليها تيلبودز Telepods، التي سوف تنقل المستخدمين من المساحات العامة إلى عوالم جديدة حافة بالمغامرة والاستكشاف.

وأوضحت فيسبوك أنه سيكون بإمكان المستخدمين لاحقا بناء عوالم خاصة باستخدام أدوات باني العالم World Builder وهي مجموعة من أدوات الإنشاء السهلة الاستخدام التي لا تتطلب أي معرفة سابقة بالبرمجة.

وحاولت فيسبوك طمأنة القلقين من آفاق هذه العوام بالقول إنها سوف توفر أدوات أمان وإرشادات للبشر أطلقت عليها سكان هورايزون المحليون Horizon Locals من أجل حماية المستخدمين في هذا العالم الافتراضي.

وأعلنت أنها تعتزم في إطار استعداداتها لإطلاق شبكة فيسبوك هورايزون العام المقبل، إغلاق خدمتي فيسبوك سبيسز Facebook Spaces وأوكولوس رومز Oculus Rooms في 25 أكتوبر الجاري.

وذكرت أن شبكة فيسبوك هورايزون تمتاز بأنها توفر للمستخدمين إمكانية استكشاف أماكن جديدة وممارسة الألعاب وبناء المجتمعات، وحتى الدخول في تجارب شخصية جديدة.

ويمكن للمخيلة أن تأخذ إعلان فيسبوك إلى مديات بعيدة من خلال عبارات مثل "بناء المجتمعات" و"تصميم الشخصيات التي تناسب المستخدمين" و"سكان هورايزون المحليون" و"نقل المستخدمين من المساحات العامة إلى العوالم الافتراضية".

هجرة جماعية

في مستقبل ليس بعيدا ستصبح حياة الكثير من البشر في العالم الافتراضي أهم بكثير من حياتهم الفعلية. ستكون لهم أدوار ووظائف وأملاك في مدن افتراضية أكثر إثارة وحيوية من المدن الحقيقية، التي ستذوي نشاطاتها التقليدية شيئا فشيئا.

وبعد أن تسرق التكنولوجيا معظم الوظائف، سيجد شخص عاطل عن العمل ويعيش في غرفة صغيرة، حياة كاملة ومثيرة في مدينة افتراضية. قد ينجح في امتلاك عمارات أو تسلق السلطة ليصبح عمدة المدينة أو رئيس شرطتها أو مجرما خارجا على سلطاتها وقوانينها الافتراضية.

ستكون حياتنا في تلك المدينة أكثر واقعية وتشويقا من حياتنا الفعلية. سنعيش حفلات باذخة "نشعر" جميع ملذاتها بإثارة تفوق المتاح في حياتنا الفعلية التي ستصبح باردة ومملة.

أدوارنا في تلك المدن والعوالم الافتراضية ستكون مختلفة تماما عن أدوارنا في الواقع. قد يجد شخص ناجح في الحياة الواقعية نفسه في دور هامشي في العوالم الافتراضية، وقد يصبح طفل صغير حاكما أو مجرما كبيرا هناك.

التعامل سيكون مع أشخاص حقيقيين بمشاعر حقيقية. ستكون المنافسة أشرس والمكافآت أكبر وكذلك العقوبات التي تصل إلى الطرد والإقصاء من تلك المدن. وقد يعيش البعض في أكثر من عالم افتراضي واحد.

لم يعد هذا الحديث من نسج الخيال العلمي منذ سنوات واتسعت آفاقه بعد الإعلان عن قرب إطلاق شبكة فيسبوك هورايزون الافتراضية. ويمكن أن يتسارع إيقاع الرحيل إلى تلك العوالم في أي لحظة إذا ما تم الكشف عن قفزة تكنولوجية كبيرة تفتح أبواب الهجرة الجماعية.

ولم تعد الهواتف الذكية ترضي طموحات شركات التكنولوجيا لتحقيق الأرباح، وهي تتسابق الآن للبحث عن اختراق نوعي يلهب حماس المستهلكين، الذين لم تعد الإضافات الهامشية في الهواتف الذكية تثير فضولهم وتدفعهم لشراء أحدث طرازاتها.

وهناك مؤشرات منذ سنوات على أن نظارات الواقعين الافتراضي والمعزز، ستكون ميدان القفزة الجديدة. وقد ينقلها ابتكار مفاجئ إلى مدار آخر يغير حياتنا بدرجة تفوق جميع ما حدث في تاريخ البشر بآلاف المرات.

مارك زوكربيرغ:
الواقع الافتراضي سوف يصبح المنصة الأفضل والأنسب لتلبية رغبات الناس

وتشير محصلة آراء الخبراء إلى أن نظارات الواقع الافتراضي بدأت تتجاوز مرحلة كونها تقليعة هامشية باهظة الثمن، وبدأت تنتشر كوسيلة ترفيه منافسة بعد أن دخل عليها العامل الاجتماعي، أي التعامل مع انفعالات بشر حقيقيين.

وستتحالف العوالم الافتراضية مع انتشار الذكاء الاصطناعي والأتمتة في قتل الوظائف وإقصاء دور البشر في القطاعات الاقتصادية وتقوض قطاع السفر والسياحة ونشاط المتاجر والمقاهي والمطاعم ليصبح العالم الافتراضي هو المكان الأكثر إثارة من حياتنا الباردة.

الرواد والمتأخرون

في النصف الملآن من الكأس سنقول إن هذه التحولات ستكون مدمرة لحياتنا، لكن أجيالا جديدة ستجدها غاية في المتعة والإثارة، وستشعر بالشفقة على من يحن إلى الحياة المادية التقليدية.

سيتدفق العشرات وربما مئات الملايين عبر بوابات العالم الافتراضي ليتفاعلوا مع أشخاص مثلهم بمشاعر "حقيقية" دون أن يغادروا مقاعدهم. ستكون هناك قواعد وقانون وقيم أخلاقية، لكنهم سيكونون أقدر على انتهاكها وارتكاب جرائم افتراضية كبيرة دون الكثير من الخوف والتردد.

سيكون هناك أشخاص ضعفاء في الواقع وربما جبناء لكنهم جبابرة في ذلك العالم وأشخاص أقوياء يتعرضون للاضطهاد والسخرية والإساءة بسبب عدم قدرتهم على التأقلم والنجاح ضمن قوانين وقواعد المدن الافتراضية.

ستبدأ التداعيات الاجتماعية والاقتصادية بالزحف تدريجيا، حين تتزايد أعداد من يقضون معظم أوقاتهم في عوالم افتراضية. وسيكون أولئك هم الرواد الأكثر نجاحا في تلك العوالم.

ربما علينا الحذر من التأخر في الهجرة لأن أرصدتنا ستكون صغيرة حين نصل متأخرين، فنكون في الهامش ولا نتمكن من منافسة الرواد الأوائل.

وكان مؤسس ورئيس الشركة مارك زوكربيرغ من أوائل المراهنين على العوالم الافتراضية وقد أكد مرارا أن "الواقع الافتراضي سيكون المنصة الأفضل والأنسب لتلبية رغبات الناس، لأنه يضعهم في المركز ويجعلهم يشعرون وكأنهم هناك فعلا مع غيرهم من الناس".

وكان قد ذكر في العام الماضي أننا "سنعيش قريبا جدا في عالم يتمكن فيه الجميع من المعايشة المشتركة بمشاهد تشعرك وكأنك في قلب المشهد الحقيقي فعلا".

وأضاف "تخيلوا كيف سيتاح للجميع الجلوس مع أصدقائهم في أي وقت في البراري حول نار مخيم أو مشاهدة فيلم سينمائي من الواقع الافتراضي... تخيلوا كيف ستتمكن مجموعة من عقد اجتماع عمل في أيّ مكان في العالم دون مغادرة مكاتبها".

تعبيد طرق الهجرة

بالتزامن مع الإعلان عن شبكة هورايزون، كشفت فيسبوك الأسبوع الماضي خلال مؤتمر مطوري الواقع الافتراض، عن عدد من الخدمات التي تهدف إلى تعزيز قدرات نظارة الواقع الافتراضي أوكولوس كويست. وقالت إنها أجرت سلسلة من التحديثات البرمجية على النظارة لتحسين التجربة الكلية لمستخدمي أوكولوس كويست، التي أطلقتها في مايو الماضي، وأحدثت نقلة نوعية في عالم الواقع الافتراضي.

ومن بين المزايا الجديدة أوكولوس لينك Oculus Link التي تسمح للمستخدمين بوصل النظارة بالكمبيوتر الشخصي للتمتع بالألعاب في منصة أوكولوس ريفت.

ولتسهيل مشاهدة الأفلام والعروض التلفزيونية عن طريق نظارة أوكولوس كويست، قالت فيسبوك إنه سيكون بإمكان المستخدمين إيقاف ميزة التعقب الخاصة بالنظارة يدويا من قائمة الإعدادات، وذلك بغية تمكينهم من استخدام النظارة في الغرف المعتمة.

ومن أهم المزايا التي أُعلنت عنها فيسبوك، إمكانية التحكم بنظارة الواقع الافتراضي أوكولوس كويست عن طريق اليد فقط، دون أذرع تحكم أو مستشعرات خارجية أو قفازات.

وقالت فيسبوك إن ميزة التحكم تلك سيتم إطلاقها في العام المقبل مع إطلاق شبكة هورايزون. وسوف تعتمد النظارة حينها في فهم حركة إيماءات اليد على الكاميرات الخاصة بها، وعلى تقنية التعلم العميق، ثم نقل تلك الحركات إلى العالم الافتراضي.

ومهما كانت فوائد وإغراءات هذا العالم الجديد، فإنه سيقذف الكثير من التحديات الاجتماعية والاقتصادية، التي قد لا يستطيع الإنسان التأقلم معها، فتؤدي إلى هزات عنيفة للمجتمعات تؤثر على بقائنا، الذي لا مفر منه للرحيل إلى العالم الافتراضي.

وقد تؤدي لانقسام البشرية بين مجتمع يعيش في العالم الافتراضي، وآخر يعيش في الهامش، وقد تظهر أيديولوجيات وعقائد تتناقض وتتصارع بسبب موقفها من ذلك العالم الافتراضي.

حان موعد الرحيل إلى عوالم جديدة

علينا الحذر من التأخر في الهجرة إلى المدن الافتراضية لأن أرصدتنا ستكون صغيرة حين نصل متأخرين، فنكون في الهامش ولا نتمكن من منافسة الرواد الأوائل

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

الركض حافيا ينشط جميع أجزاء القدم

الركض دون أحذية يحفز قوة الأربطة والمفاصل

الأحذية الرياضية تزيد الحمل ولا تمنع الإصابات

بدأت ظاهرة الركض دون حذاء رياضي تتنامى في عدد من مناطق العالم. وفي الوقت الذي كان فيه الحفاة يتركزون أساسا داخل الدول الفقيرة أو في البلدان ذات الدخل المحدود لصعوبة شراء أحذية رياضية مناسبة، صار الغرب يميل إلى ترك الأحذية جانبا والالتصاق أكثر بالطبيعة وتضاريسها.

أطلنطا (الولايات المتحدة) - يرى مدربو اللياقة البدنية أن رياضة الركض يمكن أن تصبح أكثر متعة ومنفعة عند ممارستها دون أحذية، وذلك مع الحرص على اختيار المكان المناسب لتفادي وقوع أي نوع من الإصابات.

ويقول باحثون إن البشر طوروا الكثير من قدراتهم على الركض حفاة، لكنهم يحذرون من أن الأمر لا يلائم الإنسان العصري في الشوارع الحديثة. وفي تقرير نشره موقع "هاو ستاف ووركس" الأميركي، يقول كيفن كيربي -وهو مختص في طب الأقدام والميكانيكا الحيوية- "في مجتمعنا اليوم، يطغى الإسفلت والخرسانة والزجاج والمسامير على شوارعنا. أخشى أن يتسبب الركض دون حذاء في إصابات قد تصل إلى الأجزاء الأهم في أسفل القدم".

> الركض في سن المراهقة يساعد على عدم تطور مرض الخرف لأنه يحفز خلايا الدماغ ويحمي الذكريات من النسيان

ويرى من يؤيدون هذه الفكرة أنها تجسّد الطريقة الطبيعية للركض. يقول المؤلف كريستوفر ماكدوغال "في عصرنا، أصبح الركض مرتبطا بالخوف من الإصابة. هل تعتقد أن جيرونيمو فكر في التهاب اللفافة الأخمصية قبل الشروع في الركض لمسافة 50 ميلا عبر صحراء موهافي ذات الأرض الصلبة؟".

يسعى كتاب ماكدوغال، "بورن تو ران" (وُلد ليركض)، إلى إثارة الاهتمام بالركض دون حذاء؛ حيث يعرض تفاصيل عن قبيلة تاراهومارا التي تجمع السكان الأصليين في أميركا الشمالية، والتي لم يسجل أفرادها إصابات بارزة رغم ركضهم حفاة لمسافات طويلة.

وأشار التقرير إلى أن حذاء الركض تم ابتكاره في العصور الحديثة؛ فمنذ آلاف السنين، كان البشر يركضون حفاة أو يرتدون الصنادل الخفيفة.

ومع أن الركض دون أحذية على الشاطئ يعد أمرا شائعا جدا، ثبت أن البشر كانوا يركضون بنفس الطريقة في أماكن أخرى على مدى قرون من الزمن.

من التقاليد الغريبة، يذكر الموقع الأميركي حدثا سنويا خارج مبنى يتوقف فيه المسافرون للراحة والتزود، ويقع في بلدة من بلدات ويلز. فلاختبار الفكرة التي تدعي تفوق البشر على الحيوانات عند الركض لمسافات طويلة، يستضيف صاحب مبنى الاستراحة حدث "ماراثون الإنسان ضد الحصان"، يجتاز خلاله مئات المتسابقين أكثر من 22 ميلا من المسارات الممتدة على التلال. يركض بعضهم على الأقدام ويركب آخرون فوق الأحصنة للمقارنة بين الفصيلتين. في سنة 2004، تفوق الإنسان على الحصان لأول مرة.

تدعم هذه النتيجة نظريات المختص في علم مستحثات البشر، دانيال ليبرمان، وعالم الأحياء دينيس برامبل. بحث الأخصائيان في النظرية القائلة بأن البشر تطوروا لركض المسافات الطويلة.

إن الأجسام البشرية تحمل عددا كبيرا من الغدد العرقية ولا يتكدس عليها الشعر، مما يسمح بتسريع خفض الحرارة. وتشمل قدم الإنسان كذلك وتر أخيل (وتر العرقوب) ومفاصل ركبة كبيرة وعضلة ألوية كبرى ذات حجم مهم. وعلى الرغم من أنها أسرع، تسخن أجسام الحيوانات التي لا تتمتع بهذه الميزات وتتعب عند الركض مسافات طويلة.

ويعتقد ليبرمان وبرامبل أن البشر طوروا سمات محددة للركض على مدى مسافة أبعد من أجل القبض على فريسة عندما تصاب بالإرهاق.

تشير نظريات منافسة طورها باحثون آخرون إلى أن عضلاتنا طورت للانحناء بحثا عن الطعام. ومع ذلك، يعترف المشككون بأن نظرية ليبرمان وبرامبل منطقية.

يستشهد الداعم لفكرة الركض دون حذاء، كريستوفر ماكدوغال، بأبحاث ليبرمان كدليل على أن أجسام البشر ليست مجرد آلات ذات قدرة أكبر على التحمل، بل شملت حياتهم على مدى آلاف السنين الركض حفاة الأقدام أو بأحذية خفيفة. ويتساءل ماكدوغال: لماذا تنفق المئات من الدولارات على أحذية الركض الغالية في الوقت الذي يكفي فيه الركض دون حذاء لإتمام المهمة والتقليل من الإصابات المرتبطة بالركض؟

على الرغم من أن الكثيرين يعتبرون الركض دون حذاء مجرد اتجاه مؤقت أو فكرة غير عملية، لا يوجد دليل يدعم الفكرة الشائعة المتمثلة في أن الأحذية الرياضية تقلل من معدل الإصابة.

تجدر الإشارة إلى أن الركض دون حذاء يفرض على المتدرب أن يضغط على الأرض بمقدمة قدميه وليس بكعبه.

عانى المؤلف كريستوفر ماكدوغال من ألم شديد في قدمه قبل أن يجرب الركض حافي القدمين، ونصحه الأطباء بالتخلي عن هذه الرياضة. وقال الكاتب "يصاب 8 من بين كل 10 من المتسابقين كل سنة. لا يغير حجمك وسرعتك أي شيء... فحظوظ إصابتك تساوي احتمال إصابة المتسابق الآخر".

وتعد الأحذية الرياضية من العناصر المهمة في السوق، وأحرز تقدم في صناعتها بتصحيح عدد من أوجه القصور في مجال الميكانيكا الحيوية للأحذية، بما في ذلك كعب القدمين. وعلى الرغم من التطورات الكبيرة التي شهدتها تكنولوجيا الأحذية الرياضية، بقيت معدلات الإصابة بين العدائين ثابتة منذ سبعينات القرن الماضي. وفي الحقيقة، زادت نسب التعرض إلى أنواع معينة من الحوادث.

لا يوجد دليل قاطع يبرز قدرة الأحذية الرياضية التصحيحية على منع الإصابة أو تحسين الأداء. من ناحية أخرى، لا يوجد دليل يبين قدرة الركض دون حذاء على التقليل من احتمال الإصابة. ومع ذلك، تجرى البحوث لتحديد صحة الفوائد المزعومة لهذه الطريقة من الركض.

الفوائد

تخفيف هبوط الأقدام على الأرض: يميل المتسابقون الحفاة إلى ضرب الأرض بالجزء الأمامي أو الأوسط من القدم، مما يؤدي إلى مشية أخف وقوة تصادم أقل. من الناحية النظرية، قد يقلل الضغط على المفاصل والأربطة من الإصابات الناتجة عن الهبوط الثقيل.

تحسين الأداء: الركض حافي القدمين يخلص المتسابق من وزن الحذاء وما يزيده من حمل.

فوائد للميزانية: يبقى الركض حافي القدمين أرخص من الركض بأحذية باهظة الثمن.

الطريقة الطبيعية للركض: نحمل عددا مهما من النهايات العصبية في القدم. يعتقد المؤيدون للفكرة أنه عندما نجري دون حذاء ترسل لنا أقدامنا إشارات من الأرض، مما يمكننا من ضبط مشيتنا حسب التغييرات المحتملة في المسار.

لفتت هذه الفوائد اهتمام معظم الشركات الكبرى المصنعة للأحذية الرياضية. فتميزت ماركات معينة من الأحذية الرياضية بخفة الوزن وببطانة أقل سمكا من معظم الأحذية التي تصنعها الشركات عادة.

وعلى الرغم من كل تلك الفوائد، أشار المختصون في مجالات العلاج الطبيعي والطب إلى ارتفاع حاد في الإصابات المرتبطة بالركض دون أحذية. فقد أفاد المعالج الطبيعي داروين فوغت والطبيب الرياضي، لويس ماهران، بأن التهاب اللفافة الأخمصية المؤلم يصيب نحو 15 بالمئة من العدائين. وترجع نسبة 90 بالمئة من الإصابات إلى العدائين الذين تحولوا إلى الركض دون حذاء. يحذر هؤلاء الأطباء المتسابقين الذين يعانون من عيوب في الحركة من خطورة التخلي عن أحذيتهم.

ومع ذلك، يعتقد رواد الركض دون أحذية أن معظم الإصابات تنتج جراء اللجوء إلى هذه الطريقة بشكل سريع ودون تدرّج. ويقترحون أن يقتصر أول تمرين دون حذاء على المشي حول المنزل. ويقولون إن على المتسابقين أن يتأقلموا تدريجيا مع الظروف الخارجية؛ فأولا، يتعين المشي ببطء لبضع دقائق في اليوم على العشب أو التراب أو أي سطح ناعم آخر. وتدريجيا، وعلى مدى عدة أسابيع، يمكن أن يحاولوا الركض لأميال قليلة على سطح ناعم.

توفر بعض أحذية الركض الخاصة حماية من بعض إصابات الركض الشائعة، بما في ذلك التمزقات والجروح والإصابة الحرارية والكدمات. لكن قد تمنح الحماية التي تقدمها للعداء إحساسا خاطئا بالأمان، إذ يعتبر ضرب الأرض بقوة مفرطة سببا للعديد من الإصابات. وتعمل الأحذية التقليدية المبطنة على تغيير المشية لتوزيع هذه القوة.

وسواء كان خيار الركض دون حذاء بدعة أو موضة، فقد أحدث هذا الاتجاه تغييرا جذريا في سوق الملابس الرياضية. ففي سنة 2005، عندما علمت شركة نايكي الأميركية لإنتاج الملابس والأحذية والأدوات الرياضية بأن أحد المدربين الذين ترعاهم يدرب فريقه دون أحذية، عمل موظفوها على تطوير نايكي فري.

كانت دراسة أميركية سابقة قد كشفت أن الأحذية الرياضية الحديثة من الممكن أن تكون أكثر ضررا على المفاصل من الركض بأقدام حافية. وطلب باحثون في جامعة فيرجينيا من 68 رياضيًا سليم الجسم الركض على جهاز المشي والركض على "المشاة" بالحذاء ومرة أخرى دون حذاء. وخلص الخبراء إلى أن التدريب بالحذاء تسبب في تحمّل الركبة ومفصل القدم ومنطقة الحوض عبئا أثقل مما لو تمّ الركض دون حذاء. وأوضح الباحثون أن الضغط على المفاصل أثناء الركض مع ارتداء الحذاء الرياضي كان أشدّ على المفصل مما لو تم الركض مع ارتداء الأحذية ذات الكعب العالي.

الحذاء يزيد الضغط

يزيد الضغط على منطقة الحوض أثناء ممارسة الركض على المشاة مع ارتداء الحذاء بنسبة 54 بالمئة في المتوسط مقارنة باستخدام الجهاز بأقدام حافية، في حين تقدر زيادة نسبة الضغط على الركبة مع ارتداء الحذاء ما بين 36 و38 بالمئة. أما القدم فتكتسب التوازن المطلوب إثر ارتداء الحذاء. ورجح الباحثون أن يكون سبب التأثيرات السلبية للأحذية الرياضية على المفاصل هو ارتفاع كعب الحذاء عن الأرض والمادة الواقية تحت القدم والتي تعد من السمات المميزة للأحذية الرياضية الحديثة.

وطالب الخبراء بتطوير أحذية رياضية جديدة تحدث التوازن المطلوب للقدم ولكن دون إجهاد المفاصل.

وقال الدكتور كارستين هولاندر -باحث في معهد "هيومن موفمنت ساينس" في جامعة هامبورغ بألمانيا- لرويترز عبر البريد الإلكتروني، إن بعض الشعوب -مثل شعب جنوب أفريقيا- تشيع بينها عادة الركض دون أحذية.

ويعد هولاندر وفريقه مراجعة علمية موسعة تقارن بين الأطفال الحفاة في جنوب أفريقيا والأطفال المنتعلين للأحذية في جنوب أفريقيا وألمانيا لبحث تطور القدمين والأداء الحركي.

وقال هولاندر إن الجسم يتأقلم جيدا مع السير أو الركض دون أي نعال "لكن الجسم يحتاج أيضا إلى الوقت للتأقلم مع هذا الأمر، كما أن كمية التدريب والتعافي التي يحتاج إليها الجسم تختلف من شخص إلى آخر".

وقد أصبحت الاختلافات بين الركض بالأحذية والجري دونها موضوع بحث مكثف. ويأمل الباحثون أن تفيد الاستنتاجات التي توصلوا إليها جميع المتسابقين وأن تؤدي إلى تحسين أساليب الركض وأحذيته.

الركض علاج

أثبتت دراسة أجريت في الولايات المتحدة الأميركية أن ممارسة رياضة الركض لمدة خمس دقائق في اليوم لها نفس التأثير الإيجابي على الصحة مثل الركض ثلاث ساعات أسبوعيا. وحسب الدراسة ذاتها فإن ممارسي الركض ينعمون بعمر أطول.

وشملت الدراسة 55 ألف شخص في ولاية تكساس الأميركية وأظهرت أن الركض المنتظم بين خمس وعشر دقائق يوميا له نفس التأثير الإيجابي على الصحة مثل الركض لثلاث ساعات في الأسبوع.

وحسب هذه الدراسة التي نقلها موقع دويتشه فيله الألماني عن مجلة فوكوس الأميركية فإن الركض -سواء اليومي أو الأسبوعي- يطيل عمر الإنسان ثلاثة أعوام تقريبا.

ولا يهم في ذلك ما إذا كان الإيقاع سريعا أم بطيئا؛ فمن يجري بسرعة عشرة كيلومترات في الساعة يستفيد بدوره من فوائد هذه الرياضة مثله مثل من يمارس الركض بإيقاع سريع. وللركض تأثير إيجابي خصوصا على مرضى القلب والشريان.

ويحذر الباحثون الذين أشرفوا على تقييم نتائج هذه الدراسة في جامعة أيوا، من الضغط على الجسم وتحميله ما لا طاقة له به أثناء الركض. فمن لا يرغب في الركض يمكنه الاكتفاء بالمشي. وحسب مجلة فوكوس فإن التجول مشيا على الأقدام لمدة 15 دقيقة يعوض الركض لمدة خمس دقائق.

كما أثبتت دراسات أخرى أن المشي يساعد على تحرير المرء من الشعور بالاكتئاب والقلق والتعب، حيث يؤدي إلى إفراز هرمون "إندورفين" المساعد على تحسين المزاج.

الركض يبعد شبح الخرف

مونتريال - كشفت دراسة كندية أن الركض في سن المراهقة يساعد على عدم تطور مرض الخرف في الثمانينات من العمر، حيث أظهرت العشرات من البحوث أن الركض يحفز خلايا الدماغ ويحمي الذكريات من النسيان.

وأظهرت أبحاث الدراسة الكندية التي أجريت في جامعة تورنتو أن الآثار تكون أكثر قوة إذا اعتمد الأفراد الركض عادةً يومية في الصغر. وفي تجربة على الفئران شهد فريق البحث تحسنًا طويل الأمد في التعلم والذاكرة لدى الفئران التي تم وضعها على عجلة الركض منذ الولادة.

ويقول الخبراء إن "نتائج الدراسة يجب أن تكون علامة حمراء لنا جميعًا، حيث أن عاداتنا في سن المراهقة والعشرينات من العمر قد تؤثر على صحة الدماغ في وقت لاحق". وأوضح المؤلف الرئيسي للدراسة مارتن فوغتويتز أنه من المعروف أن الركض يقوم بتحفز كبير وزيادة في تكوين الخلايا العصبية لدى الكبار ويقوم بتعزيز الوظيفة المعرفية لدى الحيوانات والبشر.

وأضاف فوغتويتز "هذا هو أول دليل على مثل هذا التأثير على المدى الطويل وتأكيد نموذج حيواني على الاحتياطي المعرفي، واستند هذا النموذج إلى العديد من الدراسات البشرية". وضم فوغتويتز -وهو أستاذ قسم علم وظائف الأعضاء- مجموعة مكونة من 40 فأرا تبلغ من العمر شهرا واحدا في أقفاص مع عجلات تشغيل و40 أخرى في أقفاص دون عجلات.

وأدخل الركض على العجلات لمجموعة منها بشكل تدريجي بينما لم تحصل الفئران الأخرى على أي شيء. وفي النهاية وجد فريق البحث أن ستة أسابيع من الركض وأن شهر واحدا فقط من العمر كانا كافيين للحث على حدوث تأثير طويل الأمد على التعلم.

كما أنهما حسّنا ذاكرة الفئران في الاستجابة للخوف والتي تعتمد في الأساس على الخلايا العصبية التي ولدت حديثًا في الدماغ. وقد اتّضح أن نشاط الخلايا العصبية الوليدة البالغة عند مجموعة الفئران المصحوبة بالعجلة أكثر تقدمًا وقوة بالمقارنة مع الفئران الموجودة في قفص دون عجلة تشغيل.

وتتفق النتائج على فكرة الاحتياط المعرفي حيث يعتمد المخ على إثراء الخبرات في الشباب للتعويض عن الانخفاض الوظيفي نتيجة التقدم في السن أو المرض. ولذلك فإن التدخلات في الحياة باكرًا بزيادة النشاط البدني قد تساعد على بناء هذا الاحتياط مما يؤخر ظهور الاضطرابات العصبية مستقبلاً مثل مرض الزهايمر.

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

تطبيقات المواعدة غيرت نظرة الشباب للعلاقات العاطفية

الشاب يهرب إلى علاقات افتراضية تحرره من الضوابط الاجتماعية

اكتسحت برامج المواعدة والتعارف عبر الهواتف الذكية عالم الشباب المغربي اليوم مثل نظرائه في جل دول العالم. وانتشرت تطبيقات المواعدة بشكل أكبر في السنوات الأخيرة بهدف تسهيل التواصل بين الفتيات والشبان ومن ثمّ إلى غرض ربط علاقة عاطفية، لكن الخروج بالعلاقة الثنائية بين الشاب والفتاة من العالم الافتراضي إلى العالم الواقعي ما زال موضع جدل مستفيض إذ يخضع للعديد من الحيثيات والتفاصيل.

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

الرباط - يرى عدد من أطباء علم النفس بالمغرب، أن تطبيقات التعارف ساهمت في تقليص الهوة بين الجنسين وأنها طوّرت عمليات التعارف بين الأشخاص إلى الحدّ الذي محت فيه تلك الحواجز الاجتماعية خصوصا عند تحول الانجذاب العاطفي إلى قرار بالزواج، ويؤكد هؤلاء أن غالبية الشباب الذين يقصدون عياداتهم هم ضحايا الهويات المزيفة والشخصيات السيكوباتية التي تظهر بعد تعميق العلاقة الثنائية.

وسهلت وسائط وتطبيقات التواصل الرقمي على الشباب بناء العلاقات الاجتماعية، من وجهة نظر محمد حيتومي، أستاذ علم الاجتماع، فتطورت بعض العلاقات العاطفية إلى بناء روابط زوجية متينة تحولت من مجرد علاقات رقمية وتواصلية إلى علاقات واقعية، لهذا يمكننا القول إنها لعبت دورا إيجابيا.

> السرعة ومجال الاختيار الواسع بين آلاف المستخدمين الشباب إلى جانب الصورة، تجعل تطبيقات التعارف تجذب الكثيرين، من الجنسين على حد السواء

وأضاف حيتومي في تصريحه لـ"العرب" أن الوسائط الرقمية مكنت من بناء علاقات جلها افتراضي قد يتحول في ما بعد إلى واقعي مباشر، وقد تنجح تلك العلاقات لكن أحيانا يكون مصيرها الفشل لأن الحالة والصورة التي تم البناء على أساسهما غير مطابقتين للواقع.

أما الفئة الثالثة من العلاقات فينتجها العالم الافتراضي ولا تتحول إلى الواقع، وأحيانا لا تستمر بل تنتهي في ذلك العالم الافتراضي ولا يتم اللقاء المباشر، في حين هناك ما يبقى مستمرا رقميا بشكل متقطع ونتحدث عن بعض الممارسات مثل الجنس الرقمي بالوسائط الرقمية.

وبالرغم من الانتقادات الموجهة إليها بسبب تسريب البيانات الشخصية إلى طرف ثالث، فقد تمكنت برامج المواعدة الرقمية من أخذ موقعها داخل برمجة العلاقات الثنائية والجماعية وانتشرت بشكل كبير بين الشباب المغاربة، وعليه فقد تجعل السرعة ومجال الاختيار الواسع بين آلاف المستخدمين الشباب إلى جانب الصورة من بعض تطبيقات التعارف مجالا لربط علاقات ثنائية أو أكثر، كما أن العلاقات العابرة تزيد من جذب الكثيرين، من الجنسين على حد السواء.

ولفت حيتومي، أستاذ علم الاجتماع بجامعة عبدالمالك السعدي، إلى أنه لا يمكن تأكيد أن وسائل التواصل الاجتماعي مسؤولة عن عدم ميل الشباب إلى الزواج، ولهذا فالنموذج الذي تم بناؤه وفق شروط اجتماعية وثقافية وجغرافية ودينية ونفسية وغيرها، أصبح غير قادر على تلبية الحاجات وتطلعات الشاب المعاصر، والتجأ البعض إلى الهواتف ومواقع التواصل الاجتماعي لتحقيق هدف العيش المشترك بين الجنسين.

وأكد ناثان شارب، المدير المسؤول عن الخدمة المجانية الجديدة التي أطلقها فيسبوك والتي تدعى "مواعدة فيسبوك"، أن "العثور على شريك الحياة أمر شخصي للغاية. لهذا السبب تأكدنا من أن التواصل بين الطرفين يتمّ بشكل سري، مشددا على أن الأمن والخصوصية هما من أهم الأشياء في المنتج الجديد".

وانسجاما مع الحسم في انتقال المواعدة بين الشباب من الرقمي الافتراضي إلى الواقعي وبناء الأسر، أكدت دراسات أوروبية أن نسبة الزواج في بلدان العالم عبر المواعدة الإلكترونية، ومن بينها المغرب، بلغت في العام 2000 حوالي 15 بالمئة من المستخدمين للإنترنت، قبل أن تقفز إلى 17 في المئة في 2015، وهذه الزيادة تزامنت مع ظهور تطبيقات المواعدة الإلكترونية مثل تطبيق "تيندر".

ويملك الشباب المغربي أحدث أنواع الهواتف الذكية ما يؤهله للانفتاح على عوالم تواصل متطورة عبر شبكات التواصل الاجتماعي فتصبح معها المواعدة داخل الشبكة أكثر يسرا، وأشار تقرير الوكالة الوطنية لتقنين الاتصالات للعام 2019، إلى أن 8 بالمئة من الأفارقة المتواجدين بمنصات التواصل الاجتماعي هم مغاربة، حيث يبلغ عددهم 17 مليونا يترددون على هذه المواقع، وبالأخص فيسبوك وإنستغرام، بنسبة تغلغل تقدّر بـ47 بالمئة مقارنة مع 17 بالمئة كمتوسط في القارة الأفريقية.

ومن بين 17 مليون مستخدم مغربي، يتصل 15 مليونا بالفيسبوك عبر الهاتف المحمول، وحوالي الثلثين من الذكور أعمار 64 في المئة منهم تتراوح بين 18 و34 سنة.

ويعمل بعض الشباب المغربي على تحويل المواعدة الرقمية عبر التواصل الشبكي إلى الواقع، حسبما أكد محمد حيتومي، لـ"العرب"، لكنه يطرح إشكالات على اعتبار أنه على المستوى الشبكي يمكن أن تفتح عدة علاقات رقمية في ذات الوقت، في حين لا يمكن تحويلها كلها إلى الواقع، وفي ذات الوقت فإن الإمكانات التي تتيحها شبكات التواصل الاجتماعي لا يتيحها الواقع.

وفي دردشة مع "العرب"، أكد حميد وهو شاب في الواحد والعشرين من عمره طالب في كلية العلوم القانونية بالرباط، أنه يملك حسابا في تطبيق "تيندر"، منذ سنة وقد تعرف إلى عدد كبير من الفتيات ودخل في علاقة رقمية معهن لم تثمر أيّ لقاء خارج شاشة هاتفه.

فيما أشار سفيان زميله في الكلية نفسها إلى أنه لم ينفتح على هذا التطبيق إلا قبل شهر واحد وبواسطته استطاع مواعدة 4 فتيات لا يبعدن عن مكان إقامته سوى بضعة كيلومترات، وأكد أنه كان في الأول يبحث عن علاقة جدية تفضي إلى الزواج، لكنه دخل في علاقات حميمية مع بعض الفتيات.

وتقول سكينة التي تعمل في أحد المحلات التجارية وتتابع دراستها في ذات الكلية، "أنشط كثيرا في فيسبوك ولي علاقات رقمية كثيرة توجت بصداقات وألتقي حاليا بشاب تعرفت عليه عبر فيسبوك لكن ليس كل العلاقات الافتراضية تتطور لتصبح واقعية".

ويؤكد الأستاذ محمد حيتومي، أنه بإمكان الشباب المغربي بناء علاقات رقمية بسهولة لكن في الحياة العملية يصبحون مطالبين بالزواج، وهذا ما يشكل الصعوبة ففي العالم الرقمي تكون العلاقات سهلة وغير مكلفة.

ونظرا للتحول الرقمي الذي يعرفه المغرب أسوة بعدد من المجتمعات شرقا وغربا، فقد أثر في تشكيل طريقة التفكير لدى فئة الشباب على مستوى طريقة التعرف على الآخر خصوصا، وفي طريقة سير الزواج أيضا، وإذا كانت المواعدة على الإنترنت تخلق المزيد من الزيجات المختلطة بين الجنسيات والأعراق، فهذا ما عرفته العديد من العلاقات بين مغاربة وجنسيات أخرى بمعدل متطور عمّا كان عليه، ورغم أنه ليست هناك إحصائيات تؤيّد هذا الحكم إلا أن المعاينات الشخصية تؤكد نجاح عدد من تلك العلاقات ووصولها إلى الزواج.

نظرة مختلفة

مقابلة أشخاص جدد تصعب عندما يتجنب الجميع التحدث إلى الغرباء

نيويورك - تولت التطبيقات المتوفرة على الهواتف عناء معظم التفاعلات مع الغرباء. وساعدت الهواتف الذكية، التي صدرت في أواخر العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، على ملء وقت الفراغ أو وقت الانتظار الذي قد يحفز الغرباء على بدء محادثة مع بعضهم البعض. وفي عام 2013، أصبح "تيندر" متاحا لمستخدمي الهواتف الذكية في كل مكان. ينتمي "تيندر" إلى التطبيقات المتوفرة في الهواتف الذكية. ويعتمد على نظام التموضع العالمي ليتيح للمستخدمين التعرف على الأشخاص الموجودين من حولهم والدردشة مع الذين يتقاربون معهم. فجأة، أصبح جل مستخدمي التطبيق قادرين على تنظيم موعد غرامي مع شخص لم يتحدثوا معه وجها لوجه من قبل.

بعد سنوات من انطلاقه، وصل التعارف عن طريق التطبيقات إلى مستوى جعل مختصا نفسيا في العلاقات في نيويورك يقول إنه لم يعد يسأل الأزواج الذين يقل سنهم عن عتبة عمرية معينة حول كيفية لقائهم، حيث غالبا ما تكون الإجابة "عبر التطبيق". بعبارات أخرى، يتمتع أبناء جيل الألفية بحريّة غير مسبوقة تسمح لهم بتجنب التفاعلات الحية أو الشخصية، وخاصة مع أشخاص لا يعرفونهم، واستفادوا من هذه الميزة كثيرا.

ويشكل عالم المواعدة الغريب الذي خلقه جيل الألفية سببا لصدور كتاب جديد بعنوان "طريقة المواعدة دون اتصال"، حاولت فيه مدربة المهارات الاجتماعية، كاميل فرجينيا، تعليم الشباب كيفية مواعدة شخص دون الحاجة إلى تصفح التطبيقات، ولكن من خلال التحدث إليه مباشرة في الحياة الحقيقية وبصوت قوي، حتى وإن كان غريبا.

تعتبر المؤلفة كتابها بمثابة دليل للنساء العازبات حول "كيفية جذب رجل في العالم الحقيقي"، بدلا من الاعتماد على تطبيقات المواعدة العديدة والمتوفرة في السوق. على المستوى السطحي، يمكنك القول إنه دليل يساعد على جذب الغرباء، على الرغم من أنه يشمل بعض القيود. على سبيل المثال، تحذر فرجينيا الفتيات عموما والمراهقات من محاولة مواعدة رجل ما إذا كان لم يتخذ أي خطوة تدل على رغبته في ذلك، وتنصح النساء بالتوجه إلى الرجال الذين يرغبون في التحدث إليهن وسؤالهن عن معلومات أو توجيهات لأن "الرجال يحبون ذلك الموقف الذي يحسسهم بأنهم قادرون على المساعدة".

كانت نصائح الكتب المؤلفة لمساعدة قرائها في العثور على الحب خلال العقود السابقة مبنية على مجتمع كان فيه الناس منفتحين للحديث إلى الآخر أكثر. لذلك، يشمل الفصل الأول من الدليل كيفية التحول إلى شخص يبدو ودودا أكثر، وتشمل الاقتراحات ارتداء مجوهرات أو إكسسوارات مثيرة للاهتمام تدعو إلى إجراء محادثة، وفتح الفم قليلا للتخلص من التعابير التي قد تنفر الآخرين.

كما تشمل النصائح الذهاب إلى الأماكن التي يجدها القارئ مثيرة للاهتمام وجعلها نقطة للتفاعل مع محيطه. وتعالج النصائح ما يراه البعض أنه أحد أهم العوائق التي تمنع مغازلة الغرباء لهم. لكن، ينظر أحيانا إلى الغزل كمضايقة جنسية.

ووصفت أجزاء لاحقة من الكتاب حاضرنا بزمن تختلط فيه مهاراتنا على وسائل التواصل الاجتماعي بمهاراتنا الاجتماعية، وبزمن أصبح فيه السؤال البسيط عمّا يمكن أن يقال لشخص آخر أمرا يقلق الكثيرين.

في الفصلين الثاني والثالث، يقتصر الدليل على كيفية التحدث إلى الغرباء والتعرف عليهم. تنصح فرجينيا القراء ببدء محادثات مع الآخرين من خلال التعليق على ما يحدث داخل محيطهم المشترك بدلا من اللجوء إلى نكتة أو توظيف جمل الغزل المتداولة. وتذكّر القراء بأنهم يستطيعون التفكير في بعض التفاعلات مع الغرباء على أنها مجرد تدريب، وطريقة لتقليل الضغط المرتبط بالمهارات الاجتماعية.

وتنصح المختصة بالتدرب على الدردشة عن طريق خدمة البث المباشر الموجودة على إنستغرام أو تويتر، موضحة أنه "من المستحيل أن تزيّف مهاراتك الاجتماعية عندما تكون على الهواء. حيث تصبح حينها مضطرا لمجارات التيار، حتى لو كنت تتعثر أو تفقد سلسلة أفكارك. إن الأمر يختلف تماما عن الـ30 دقيقة التي يقضيها الفرد في صياغة رسالة نصية تتكون من جملتين".

> اليوم، يغرق الناس في كمية هائلة من التطبيقات التي تهدف إلى سرقة أوقاتهم أو أموالهم. لذلك، عندما يلتقي شخص بغريب قادر على جذبه ستظهر كل احتياجاته الاجتماعية

كما توجه فرجينيا القارئ بلطف عبر أساسيات إجراء محادثات مثيرة للاهتمام، في أي مكان، وتدعو إلى التعمق وطرح سلسلة من الأسئلة حول نفس الموضوع، بدلا من القفز بين جوانب مختلفة من حياة الشخص الآخر. وتقدم قائمة تتكون من سبع علامات تدل على أن المحادثة قد وصلت إلى نهايتها الطبيعية. يمكن استخدام كتب مثل هذا الدليل كإشارة على أن الهواتف الذكية والإنترنت تتسبب في تعطيل مهارات الأجيال التي تكبر معها على المستوى الاجتماعي. ومن المرجح أن الأجيال السابقة، التي كان أفرادها يتفاعلون بانتظام مع الغرباء ويتحدثون لقضاء الوقت أثناء انتظار القطارات والمصاعد، تبقى أقل حاجة إلى مثل هذا الدليل.

تعترف فرجينيا بهذه النقطة في الكتاب، إلى حد ما، حيث قالت "اليوم، يتوق البشر إلى الارتباط والشعور بالطابع الواقعي للمحادثات؛ يغرق الناس كل يوم في كمية هائلة من المعلومات التي تشتت انتباههم، والتطبيقات التي تهدف إلى سرقة أوقاتهم أو أموالهم. لذلك، عندما يلتقي شخص بغريب قادر على جذبه بمحادثات أعمق، ستظهر كل احتياجاته الاجتماعية. لذلك، يجب أن تكون جاهزا، لأن الأمر قد يحدث بسرعة".

من ناحية أخرى، يشير وجود كتاب مثل الذي ألّفته فرجينيا إلى رغبة في تجاوز بعض الاتجاهات المعادية للتواصل المباشر في الحياة اليومية في عصر الإنترنت. ووفقا لتقديرها، فإنها تقدم نصائحها بالعديد من الطرق الملموسة للقيام بذلك دون التضحية بالمزايا التي أتاحتها الهواتف الذكية والإنترنت. وتنصح القارئ الذي يرتدي سماعات في الأماكن العامة بإبقاء سماعة واحدة لإدراك الفرص التي قد تتاح له.

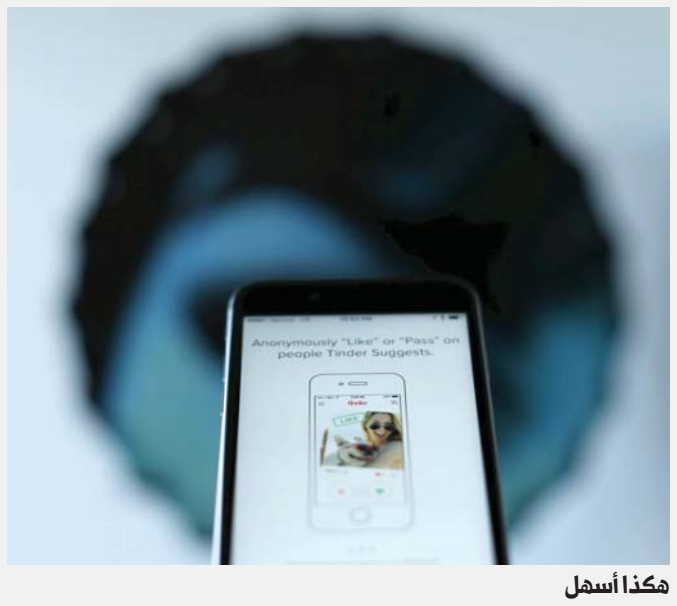

هكذا أسهل

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

السيدة الأرض والسيد رأس المال: كيف أُهمل عمل المرأة المنزلي

الأنظمة الرأسمالية والشيوعيّة ترى عمل المرأة في المنزل جزءا من تكوينها البيولوجي

رغم كل التطور الفكري الذي عاشه الإنسان على مر التاريخ والذي لعبت فيه الحركات الفكرية والثورية والتحررية دورا كبيرا لتغيير طريقة النظر إلى الأمور، يبقى عمل المرأة بالنسبة للكثيرين، ومن بينهم المفكرون والمنظرون، أمرا طبيعيا وجزءا من تكوينها البيولوجي تكافأ عليه بالاستقرار والمسكن والأكل في إلغاء تام لكل إمكانياتها المهنية والفكرية خارج دائرة العمل المنزلي المغلقة.

النسوية تتقدم

عمار المأمون
كاتب سوري

باريس – يذكر كارل ماركس في كتابه "رأس المال" الأعمال المنزليّة مرتين ضمن حاشيتين. في المرة الأولى حين يشير إلى اختفائه أثناء الثورة الصناعيّة، بسبب عمل كل أفراد الأسرة في المصنع ومن ضمنهم الأطفال. وفي المرة الثانيّة، أثناء الحرب الأهلية الأميركية حيث اضطر عمّال مصانع النسيج إلى القيام بالأعمال المنزلية بأنفسهم.

هذه الإشارات الخجولة في أعمال ماركس في انتقاده للنظام الرأسمالي وتأسيسه للمفاهيم الشيوعية، جعلته محطّ انتقاد الفكر النسوي، كونه لا فقط يهمل عمل المرأة في المنزل بل يرسخ مفهوم "مجانيّته" واعتباره جزءا من "الطبيعة"، الأمر الذي ما زال إلى الآن متداولا بالرغم من كل التغيرات والثورات التي شهدها العالم.

ضمن مجموعة أعمال للفنانة منى حاطوم نشاهد "مبرش" مطبخ بحجم كبير، أشبه بسرير لا يمكن النوم عليه، كذلك قطّاعة بيض بحجم كرسي، لا يمكن الجلوس عليها.

في كلا العملين، تضخّم حاطوم أغراضا منزلية تنتمي إلى فضاء المطبخ.

هذه الأغراض التي تبدو "يوميّة" بحجمها العادي، تتحوّل إلى أفخاخ حين "تتضخم"، ما يحيلنا إلى خطورتها، والجهد المبذول لصناعة الطعام. تشير حاطوم إلى عمل المرأة في المنزل، بوصفه يحتاج جهدا يستنزف "جسد" المرأة ومقدراته، سواء كان تحضير وجبة بسيطة، أو تربية الأطفال.

هذا العمل حسب التعبير النسوي- الاقتصادي "مجاني"، لا يدخل ضمن حسابات "رأس المال" و"القوة العاملة"، وبقي كذلك حتى تسعينات القرن الماضي مع ظهور الحركات النسويّة، التي بدأت الإشارة إليه وكشف أساليب إهماله، ودعت إلى ضرورة إعادة النظر في تعريف "العمل" وأسلوب منح "المكافآت" أو "الراتب" ضمن الأنظمة الاقتصادية المختلفة.

تطبيع دور المرأة

التقسيم التقليدي للأدوار داخل الأسرة النووية قائم على أساس عمل الرجل خارج المنزل، في حين تبقى المرأة في الداخل للقيام بمهامها كإنجاب أطفال، والاعتناء بالمنزل، وصناعة الطعام، وغيرها من "الأعمال" التي يُفترض أنها جزء من دور المرأة.

لكن قبل الخوض في سياسات هذا الدور، لا بد من إعادة النظر في مفهوم "الطبيعي" المرتبط بتعبير ماركس نفسه "السيدة الأرض" بوصفها مادة أوليّة غير منتجة، والتي لا بد لنا أن نكتسب مهارات العمل كي نستطيع إخراج الثروات منها لمراكمة "السيد رأس مال".

هذا التصنيف الطبيعي يحكم على المرأة ثقافيا عبر ترسيخ دورها في المنزل بوصفه يتطابق مع مكوناتها البيولوجية. وهذا ما نراه في تقسيم ساعات العمل وطبيعة البرامج التلفزيونيّة التي تبث صباحا في زمن "العمل"، والتي تصُنّف تحت اسم الصناعة الثقافيّة التي يسمّيها ثيودور أدورنو "صناعة الطاعة".

فهذه البرامج الموجهة لنساء المنزل، تتبنى أسلوبا لحثهن على البقاء فيه والعناية به لأجل "العاملين" في الخارج، إذ نرى أخبارا غير جديّة وحيلا وتقنيات للاهتمام بالفضاء الداخلي، في سبيل " جنسنته " وترسيخ أسلوب العمل ضمنه بوصفه وظيفة لإرضاء الرجل العامل، وظيفة مجانيّة "راتبها" الاستقرار وتأمين متطلبات الحياة.

استفادت الحركات النسويّة من المفاهيم الماركسيّة عن ضرورة التحرر وخلاص الفرد من هيمنة رأس المال، لكنها عملت على إعادة صياغة هرميّة العمل، التي كانت قائمة على أساس السطوة الذكورية وهيمنة عامل المصنع بوصفه أساس المحرك الاقتصادي، لتعيد تقديم الفئات الاجتماعيّة. كما طالبت حركة "الأجر مقابل العمل المنزلي" في سبعينات القرن الماضي، بالنظر إلى المنزل بوصفه المساحة الأولى للتحرر من هيمنة رأس المال، لا المصنع كما جرت العادة، بل ودعت إلى إضرابات تقوم بها ربات المنازل، كما في منشورها الشهير عن الإضراب عن الكيّ الملوّن بالأحمر نسبة إلى الأفكار الشيوعيّة التي لا تنفيها الحركة بل تعيد تقديمها.

تأتي أهميّة هذه الحركة والدروس المستفادة منها في إشارتها إلى ماركس نفسه، الذي أهمل العمل المنزلي، متجاهلا أنه الأساسي في تكوين "العامل"، سواء عبر إنجابه، أو تربيته أو تجهيزه للعمل، فإن كان "العمل مهارة اجتماعيّة نكتسبها، لا مجرد سلوك طبيعيّ"، فهذه المهارات تأتي بداية من المنزل نفسه و"القائمات" عليه، فعملهن يقوم على أساس "شحن" طاقة العمّال، صحيح هنّ لا يعملن في المصنع، لكنهن يبذلن جهدا في المنزل.

الانضباط ورأس المال

قد تبدو المفاهيم السابقة بديهيات، لكنها ما زالت حاضرة في العديد من المجتمعات وتوظف الصناعة الثقافية في عدد من الأحيان لترسيخها.

يتجلى هذا المفهوم بوضوح في الأعمال الفنيّة التي تنتمي إلى ثمانينات القرن الماضي، كالمنحوتة التي أنجزتها لوري سيمونز، والتي نرى فيها ساقين نسائيتين دون جذع أو قسم علوي، تحملان منزلا، وهنا يمكن تلمس قسوة هذا العمل المجانيّ، و"طبيعيّة" دور المرأة في المنزل، هذا الدور الذي يبدأ بالإنجاب وصيانة المنزل ويمتد حد "صيانة" نفسها كـ"تسلية" يستخدمها الرجل بعد العمل، وهذا ما نراه في الساقين المصقولتين اللتين تحملان المنزل.

مجانيّة عمل المرأة في المنزل وتجاهله من قبل البنى السياسية والاقتصاديّة، يرتبطان بتكوين نظام العمل نفسه المرتبط بالإنتاج المادي والفكري وتراكمه. ففي الحالات التي يعمل فيها الرجل فقط يتحول راتبه إلى أداة للهيمنة على فضاء المنزل، خصوصا أن هذا الراتب يصرف لإنتاج طاقة في سبيل العمل لاحقا كالطعام والشراب والترفيه، في حين أن الأعمال المنزليّة، التي تقوم بها المرأة دون أي مقابل مادي، لا تحوي تراكما، هي تجهز العامل وتكافأ بالأكل والشرب والمسكن، فلا تراكم حقيقي.

وهنا تتضح مجانيّة عمل المنزل بوصفه بناء سياسيا وثقافيا أيضا، فهي تجعل فئة من النساء يبحثن عن العامل، لا عن استقلالهن، فخلاصهن يرتبط بعمل مجاني، مقابل استقلال رمزي في الكثير من الأحيان.

يبدو أيضا هذا المفهوم متأخرا، أو من نافل القول، لكن حتى الآن ما زالت ديناميكيته قائمة، إذ تهدد المرأة في عملها لأنّها تمتلك خاصيّة "طبيعيّة" تتمثل في الإنجاب، كونها قد "تعطّل" العمل في حال أرادت أن تصبح أما، والأفضل عدم توظيفها أو ترقيتها. هذه التقنيات الخفية نسمعها أحيانا في التصريحات السياسية الذكورية. لكن القدرة على توليد الانضباط والسيطرة داخل المنزل التي يمتلكها راتب الرجل تهدد مفهوم الأسرة نفسها كما في بعض قوانين الأحوال الشخصيّة في عدد من البلدان العربيّة، إذ يمكن للمرأة أن "تطلب" التفريق عن زوجها في حال عدم إنفاقه على المنزل، فالحفاظ على تقسيم الأسرة النوويّة وأدوارها مدعوم بالنص القانوني.

وهذا ما لا نراه في بلدان أخرى حيث يفترض الطلاق مناصفة الأملاك، فالربح الناتج عن الجهد المبذول من قبل أي واحد من الطرفين هو نتيجة عمل الاثنين، حتى لو كان واحد منهم فقط في المنزل، سواء كان الرجل أو المرأة.

أيديولوجيا الحب والعمل الخفي

يلعب الراتب الرجولي دورا ضد المرأة التي تبقى في المنزل بخيارها أو لا كونه يساهم في إخفاء الجهد داخل المنزل، وتطبيعه بوصفه محببا للمرأة أو ما "خلقت" للقيام به.

لكن هناك عامل آخر وراء الاختفاء، مرتبط بما يُسمّى أيديولوجيا الحبّ، التي تتبناها الصناعات الثقافيّة وتروج لمفاهيم التضحية والفناء في سبيل الرجل والأولاد، ما يحوّل المرأة إلى "عاملة" بلا أجر، تعميها مجموعة من الأفكار التي تروج لـ"أحقيّة" الآخر العامل المتعب بالعناية، فهو الذي يبذل جهدا في سبيل توفير متطلبات الحياة.

الإيمان بهذه الأيديولوجيا يستخدم في الكثير من الأحيان لتبرير العنف المنزلي الذي تتعرض له الزوجة، لكن شكله غير المباشر يكون عبر الأفكار التي تفقد المرأة في المنزل دورها السياسي، فالترويج لآليات التفاهم والحب يأتي بوصفها تلبّي حاجة اقتصادية تؤمّن الاستقرار.

وهذا ما نشاهد أقسى صوره في أعمال البغاء والدعارة حيث هناك نوع من "الحبّ" بين الرجل ومن يعملن تحت إمرته.

هن يقمن بما يقمن به طاعة له في ذات الوقت تعلّقا به بوصفه يؤمن لهن معيشتهنّ، وهذا أيضا ما استثناه ماركس، فالدعارة لم تدخل في حسابات رأس المال، علما أنها عمل وتشكّل جزءا من حياة بعض العمال. هذا "الداخل" الخطر، المقنع بالحبّ و"الشغف" نراه في أعمال المصورة الفرنسيّة الشابة كامي غربي ضمن مجموعتها "براهين على الحبّ" إذ تصوّر أغراضا تبدو للوهلة الأولى عادية ويومية ولا تثير الشبهة، لنكتشف لاحقا أنها أدوات جريمة، استخدمت لقتل النساء في منازلهن من قبل الأزواج.

وتخبرنا أيضا بأن العنف الزوجي ليس وليد "لحظة غضب" يلتقط إثرها "الرجل" ما تقع عيناه عليه ويستخدمه كسلاح، بل هو نتيجة تاريخ من الابتزاز العاطفي والعنف الشفوي والجسدي المقنع بالشغف الذي يصل إلى حد القتل في حال قررت المرأة "الرحيل" أو المطالبة بحقها.

الأهم، "الغضب" أو "غياب العقل" يستخدمان كحجة قانونيّة للدفاع عن الرجال في هذا النوع من الجرائم، ما يضع المرأة دوما في موقع الحذر أو الفريسة المحتملة، وعليها دوما في علاقتها مع زوجها/شريكها أن تراعي "مشاعره" و"انفعالاته" وتتحملها، ما يجعل الفضاء الخاص/ المنزل مساحة خطرة، لا يمكن توقع ما الذي يمكن أن يهدّد الحياة فيها.

ضمن مجموعة أعمال للفنانة منى حاطوم نشاهد «مبرش» مطبخ بحجم كبير أشبه بسرير لا يمكن النوم عليه كذلك قطّاعة بيض بحجم كرسي أيضا لا يمكن الجلوس عليها، في كلا العملين تُضخّم حاطوم أغراضا منزلية تنتمي إلى فضاء المطبخ

ماكينة الخياطة وصنبور المياه

ترى بعض النظريات النسويّة أن التمديدات الصحيّة والكهرباء والماء داخل المنزل حولت المطبخ إلى مصنع مصغّر، لا زملاء عمل فيه، وعلى المرأة القيام بكل الأعمال ضمنه وحيدة ومجانا.

ذات الأمر ينطبق على ماكينة الخياطة المنزليّة، إذ نقرأ في سير مصممي الأزياء كإيف سان لوران وفيرساتشي كيف تعلّموا مهارات الحياكة والتصميم من أمهاتهم في المنزل، اللاتي كن يصنعن الثياب لهم ولآبائهم.

بالتالي، نحن أمام أشكال من الجهد المقنّع باسم التربية والحب وغيرهما من التسميات التي تتحول نهاية إلى أسلوب قمعي، تنتج عنه تراكم ربح، أصله عمل دون أجر، وأحد أسباب اختفاء هذا العمل أيضا حسب ماركس هو عدم امتلاكه طاقة ثورية على التغير.

هذا الاستخفاف ما زال قائما حتى الآن، ويتم التعاطي معه في الأخبار المرحة التي تتناول "أما" أضربت عن مهامها ورفضت القيام بـ"واجباتها" وذلك لتأديب الأطفال، دون التطرق إلى القيمة الحقيقية للعمل المنزلي وتأثيره على شكل العمل خارجا.

منحوتة منزل على ساقين للمصورة الأميركية لوري سيمونز

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

كيف يمكن حفظ الخضر الورقية طازجة

خبراء ينصحون بتناول أعشاب الطهي فور جنيها

الغمس في الماء يغذي الأعشاب

تحتار ربات البيوت في كيفية تخزين الأعشاب مع المحافظة عليها طازجة، فالبقدونس والكزبرة والنعنع وغيرها من الخضر الورقية سرعان ما تذبل وتفقد مذاقها الطازج ولونها الأصلي بمجرد حفظها في الثلاجة أو غيرها. ويقدم خبراء في الزراعة والطبخ طرقا متعددة لحفظ الأعشاب والخضر الورقية، لكن الكثير من الناس يقولون إنها ليست مجدية وغالبا ما تكون نتيجة الحفظ غير مرضية لهم.

لندن – ما زال حفظ الأعشاب والخضر الورقية معضلة تعاني منها الكثير من ربات البيوت والطباخين عموما، ويتساءل بعضهم كيف يمكنني الحفاظ على الكزبرة والبقدونس طازجة والقضاء على معضلة الأعشاب الذابلة في مطبخي؟

وكثيرا ما يقرأ المختصون في مراسلات متابعيهم مطالب يأتي فيها "يرجى توضيح كيفية الحفاظ على الكزبرة والبقدونس طازجين. أشتري هذه الأعشاب طازجة لكنها تذبل بعد أيام رغم أنني أضعها في الثلاجة. لقد حاولت غمسها في الماء، ولكن الطريقة لم تكن فعالة".

ويؤكد الخبراء أن الطريقة الصحيحة والمثلى لحفظ الخضر الورقية تبدأ من حسن اختيار ما نشتريه. يتعلق الأمر بالمدة التي جمعت فيها الكزبرة أو البقدونس قبل تواجدها في السوق. وإذا كنت تشتري بضاعتك من السوبر ماركت، فلن تعرف هذه المدة أبدا.

كما تقول المزارعة في هيرتفوردشاير، جين سكوتر، التي تزود عددا من المطاعم في لندن "إذا كنت تكافح من أجل إبقاء البقدونس في حالة جيدة، فأنت لا تشتريه طازجا". وأشارت إلى أن البقدونس يصنف ضمن الأعشاب التي يحب الاحتفاظ بها في الماء وبعيدا عن أشعة الشمس. وأضافت موضحة "يمكن غمس السيقان في وعاء من الماء، ووضع كيس من البلاستيك فوق الأعشاب والوعاء قبل تخزينه في الثلاجة. بمجرد أن يبدأ الماء في فقدان شفافيته، غيره كما لو كنت تعتني بمزهرية من الزهور".

وتعدّ جيكا ميكفيكار من أكبر المزارعين المختصين في زراعة الأعشاب والخضر الورقية التي تستعمل في الطهي داخل المملكة المتحدة، وألفت دليلا يتطرق إلى هذه الأمور. وتتحدث ميكفيكار عن طريقتها في حفظ الأعشاب بأنها تلفها في منشفة مطبخ رطبة وتضعها حيث تخبئ السلطة داخل الثلاجة. لكن الخبيرة نيكي دوفي تشير في كتيبها إلى أن لف الأعشاب دون إحكام "يمتص الرطوبة".

> الخبراء يؤكدون أن الطريقة الصحيحة والمثلى لحفظ الخضر الورقية تبدأ من حسن اختيار ما نشتريه. يتعلق الأمر بالمدة التي جمعت فيها الكزبرة أو البقدونس قبل تواجدها في السوق

ويقترح الكاتب جيل ميلر ملأ أحد أدراج الثلاجة بالماء إلى درجة تكفي لغمر سيقان الأعشاب فيه، ويقول إن الوقت الممتد بين شرائها وإدخالها إلى المنزل ثم الثلاجة يعدّ أمرا بالغ الأهمية في الحفاظ على جودتها. وعندما يتعلق الأمر بالبقدونس، تعتمد ميكفيكار على الفريزر في الثلاجة أحيانا. ويعلق ميلر "بعض الأعشاب تحتاج إلى الوقت لتجف قبل أن نستخدمها في طبخ الحساء".

من جهة أخرى، يختلف تخزين الكزبرة عن حفظ البقدونس، فهي لا تتطلب إضافة الماء. بل يكفي وضعها في كيس بلاستيكي جاف في الثلاجة.

وتشير سكوتر إلى أن الثلاجات تمتص الرطوبة من النباتات، لكن الكيس البلاستيكي "يتحول إلى حاجز يمنع دخول هواء الثلاجة إلى الأعشاب ليجففها".

ومع ذلك، يبقى الخيار الأفضل متمثلا في استهلاك العشب الطازج دون حفظه. وتشدد ميكفيكار على ضرورة وضع الأعشاب في صحن من الماء بمجرد الوصول إلى المنزل. وتفسر الأمر قائلة "تبقى الأعشاب دون تغذية داخل المتجر. وبالتالي، فإن تعريضها إلى الماء بسرعة مهم للغاية". وينصح الخبراء بزرع النباتات الخاصة بالطهي في المنزل ويوضحون أن نهاية شهر أغسطس تعد أفضل فترة لزرع بذور الكزبرة، مثلا.

وتتابع ميكفيكار "عند شراء الأعشاب من المتجر، يمكن أن تقص العشبة من أعلى البراعم الجديدة. احرص على تغذيتها جيدا. إذا استطعت وضع نباتاتك خارجا لتعريضها للشمس، فستكون النتيجة أفضل بكثير". واليوم يروج الكثير من المهتمين بالمطبخ والطهي وبالتغذية السليمة لثقافة الزراعات المنزلية الصغيرة حيث يمكن للفرد تخصيص حديقة صغيرة لذلك أو اعتماد الأواني المخصصة للنباتات لهذا الغرض، وهو ما يمكنه أولا من الحصول على خضر طازجة وثانيا من الاقتصاد في مصاريف الأكل مع ضمان الجودة وكذلك من تزيين البيت ومن جني فوائد الاعتناء بالأعشاب والمساحات الخضراء الصحية.

وتظل أهم نصيحة يرددها الخبراء هي اقتناء الخضر والأعشاب طازجة واستهلاكها على الفور ودون تركها في أجواء حارة تتسبب في جفافها بعد أن اقتلعت من أرضها. ويفضل المختصون في الصحة أن يكون حسن الاختيار ومراعاة الجودة أهم مقاييس اقتناء أعشاب الطهي لأن إصابتها بالاصفرار أو الجفاف قد تؤدي إلى تسببها في الإصابة ببعض أنواع الحساسية أو الإصابات الجرثومية.

اللف يحمي الخضر من الجفاف

حيل

أسرار تقشير البيض

اليزابيث كارمل

نيويورك – أحب تناول الأطباق التي تشمل البيض، لكنني كنت أتجنب طبخها لأنني كنت أواجه صعوبة كبيرة في تقشير البيض. بحثت عن أمثل الطرق لإبقاء البيض متماسكا بعد التقشير وجربت العديد من التقنيات التي وعدتني بطبق بيض ناعم.

واشتريت أواني مصنوعة خصيصا لطبخ البيض. ولم توفر هذه التقنيات نتائج أفضل من تلك التي وفرتها الطريقة التي كنت أتبعها لتقشير البيض المسلوق.

> أطفئ النار واترك البيض في الماء الساخن لمدة تتراوح بين 30 دقيقة وساعة واحدة. لا تخرج البيض سوى لتقشيره

كان تقشير البيض صعبا، وكانت الأطباق التي أعدها تبدو غير منظمة.

ثم جاء الصيف، وزرت صديقتي كيرستن. رأيت عندها البيض المقشر في الثلاجة. كان يبدو رائعا مما جعلني أعتقد أنها اشترته مسلوقا ومقشرا. لكن الحقيقة كانت مختلفة عن تصوراتي.

أخبرتني سرها، وها أنا أكشف عنه الآن. يمكنك تكسير البيضة من الأسفل وهو الجانب الأكبر للبيضة، حيث يمكن تمييز الجزء العلوي بأنه مدبب.

عندما وصلت إلى منزلي، أسرعت لغلي البيض لأطبخ به، وحاولت اتباع الطريقة التي أخبرتني صديقتي بها.

غيّرت النتيجة موازين اللعبة. كان تقشير البيض أسهل بكثير، لكنه استغرق وقتا طويلا. لذلك، عدلت الطريقة وبدأت تقشير البيض المسلوق قبل أن يبرد أولا. وأدركت أن تقشير البيض بعد تبريده صعب.

عندما تعلمت الطبخ، أخبروني بضرورة سكب الماء الساخن الذي غلى البيض فيه وغمر الإناء على الفور بالماء البارد لمنع اللون الرمادي من التكون حول الصفار. قد يكون هذا صحيحا، لكنني اكتشفت أنه يجعل القشرة تلتصق بالبيض أيضا.

قررت أن أجرب لأرى ما يمكن أن يحدث إذا قشرت البيضة وهي ساخنة. ارتديت قفازات المطبخ وبدأت في التقشير. قمت بتكسير البيضة من الأسفل كما علمتني كيرستن، وانزلقت القشرة. قشرت كل البيض الذي أحتاجه في أقل من خمس دقائق. كان اللون الرمادي بارزا في بعض البيضات، لكن تقطيعها إلى شرائح وخلطها في السلطة أخفى ذلك العيب.

إذا، سأقدم لك هذه الطريقة البسيطة لتقشير البيض بسهولة:

اسكب الماء البارد في الإناء وأضف البيض. ثم اترك الماء على الموقد حتى الغليان، واحرص على تغطية الوعاء. أطفئ النار واترك البيض في الماء الساخن لمدة تتراوح بين 30 دقيقة وساعة واحدة. ضع الإناء في الحوض. لا تخرج البيض سوى لتقشيره، واترك الباقي في الماء الذي تم غليه فيه. اكسر الجزء السفلي من كل بيضة واترك القشرة تنزلق. اغسل كل بيضة في الماء الساخن لإزالة أي شظايا صغيرة لم تتفطن إليها عند التقشير.

ستفاجئك سرعة هذه الطريقة وفعاليتها. هذا الصيف، أعدت اكتشاف كيفية إعداد سلطة البيض مع الشبت الطازج، والمايونيز، مع لمسة من الخردل القوي. أصبحت أتمتع بغداء مشبع بالبروتين.

بسكويت شوفان بالزبيب

وصفة:

تحتار الكثير من الأمهات في توفير لمجة صحية ولذيذة يقبل عليها الأطفال عندما يكونون في مدارسهم. وينصح خبراء التغذية بضرورة مراعاة الشروط الصحية في غذاء الأطفال وذلك من خلال إعداد لمجة في المنزل تكون مواصفات النظافة والجودة متوفرة فيها، كما تراعي الجانب الصحي. ويعد بسكويت الشوفان بالزبيب وجبة متكاملة وصحية توفر الطاقة ويرغب الصغار في تناولها كونها لذيذة وذات مذاق حلو.

الشوفان: غني بالفيتامينات، والمعادن، ومضادات الأكسدة المهمة للجسم، وهو يساعد على إنقاص الوزن، وفي تقليل مستويات السكر في الدم، ويحتوي على الألياف، وفيتامين ب، والفسفور، والمغنيسيوم، والزنك، بالإضافة إلى أنه يعد من الأغذية الخالية من الجلوتين.

الزبيب: أثبتت العديد من الدراسات أن للزبيب العديد من الفوائد الصحية أهمها تقوية الذاكرة وتوفير الطاقة للجسم ويضم الزبيب العديد من المواد المفيدة للجسم ومن بينها الكربوهيدرات والألياف والسكر والبروتينات والدهون والمعادن ومضادات الأكسدة.

المقادير:

نصف كوب زبيب
كوب من الشوفان
نصف كوب زبدة طرية
بيضة واحدة
نصف كوب من السكر البني
ملعقة صغيرة من الفانيليا (حسب الرغبة)
كوب من الطحين الأسمر أو طحين القمح
ملعقة صغيرة من البيكينغ باودر
رشة ملح ربع كوب ماء. ويمكن إضافة القليل من القرفة حسب الذوق.

طريقة التحضير:

يسخن الفرن إلى 180 درجة مئوية، ثم يوضع الزبيب والماء في الخلاط ويضربا إلى أن يصبح الخليط أملس. يخلط الزبيب المهروس مع الزبدة والبيضة والسكر البني والفانيليا في وعاء كبير الحجم، إلى أن يصبح الخليط متجانسا. في إناء آخر يمزج الدقيق مع الشوفان والقرفة والملح، ثم يصب الخليط الجاف على الخليط الرطب ويخلطان جيدا، ويمكن إضافة حبيبات صغيرة من الزبيب.

يشكل العجين بواسطة ملعقة الأكل أو باليد إلى دوائر ثم يوضع على ورق الطهي أو ورق الزبدة في طبق الفرن، يدخل الطبق إلى الفرن الساخن ويخبز لمدة 20 دقيقة أو أقل لكي لا يصبح يابسا.

حلويات الخريف تنفرد ببهارات مميزة

باريس - يعدّ فصل الخريف الذي يطغى عليه اللون البرتقالي والأحمر والبني وتتواجد خلاله الكثير من البهارات موسما مثاليا لإعداد الحلويات التي تناسب الثمار والألوان الموسمية.

فكيف تختارين الحلويات المناسبة لولائم فصل الخريف؟ فكري في الحلويات التي يتطلب إعدادها البهارات التي يتميز بها هذا الفصل.

عند الطبخ في فصل الخريف، حاولي ألا تتجاهلي القرفة التي تنتشر في متاجر مدينتك، فهي نجمة هذا الموسم. ويمكن إضافتها إلى مكونات الكعك، فطائر البان كيك، الكريب، أو التارت. ويندمج طعم القرفة مع فواكه مثل التفاح والإجاص ليمنح حلوياتك نكهة خريفية حلوة.

وتجد القرفة رواجا واسعا في الأسواق ومحلات التوابل نظرا لمذاقها الفريد من نوعه ولفوائدها الصحية التي لا تحصى. ومثلما يقبل على استخدامها في مختلف الوصفات الحلوة والمالحة والأطباق الرئيسية المولعون بالأطباق اللذيذة ذات المذاق المميز يستعملها أيضا أشهر وأمهر الطباخين في العالم وربات البيوت وطلاب معاهد الطبخ إدراكا منهم لأثرها في مذاق الطعام ولونه.

لكن لائحة التوابل التي يمكن استخدامها هذا الموسم لا تقتصر على القرفة. حيث يمكنك استعمال الزنجبيل أو حب الهال أو القرنفل لعجينة الحلويات.

وإذا كان التفاح والإجاص من النكهات التي تتبادر إلى ذهنك مباشرة عند تفكيرك في الحلويات الخريفية، يجب عليك أن تحاولي تجربة نكهات أخرى مثل التين والبندق والبذور الزيتية مثل اللوز وغيره من المكسرات.

كما يمكنك أن توظفي اليقطين. ويمكن أن تضيفي مكونات مثل القهوة أو الكراميل طعما فريدا لطعامك، فهي نكهات "ساخنة" تناسب وصفات الخريف.

فسيفساء من الألوان والنكهات

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

عميد أسود الأطلس يعلق حذاءه الدولي

مهدي بنعطية يضع حدا لمسيرة دولية استمرت 11 عاما

مهدي بنعطية كتب أرقاما سيذكرها التاريخ

قرر مهدي بنعطية، القائد التاريخي للمنتخب المغربي اعتزاله اللعب دوليا ليضع حدا لمسيرة استمرت 11 عاما مع أسود الأطلس بعد مسيرة طويلة قضاها بقميص منتخب بلاده، ختمها بقيادة الفريق في بطولة أمم أفريقيا الأخيرة بمصر. وذلك عام على مشاركة بطولية في كأس العالم 2018 بروسيا. وحسب رأيه كان القرار صعبا نظرا لما قدمه من خدمات لمنتخب بلاده.

الرباط – أسدل مهدي بنعطية الستار عن مسيرته الدولية رفقة أسود الأطلس، بعدما أعلن اعتزاله اللعب دوليا بشكل نهائي ورسمي، مشيرا إلى أن الفكرة راودته عقب الخروج المخيب للآمال على يد منتخب البنين خلال مسابقة كأس أفريقيا الأخيرة التي جرت بمصر وتوج المنتخب الجزائري بلقبها. وأعلن عميد أسود الأطلس عن قرار اعتزاله النهائي من خلال تصريحات صحافية، حيث طلب إعفاءه من خوض المباراتين الوديتين أمام المنتخبين الليبي والغابوني يومي 11 و15 أكتوبر الجاري، مؤكدا أنه قرر الاكتفاء بالمدة التي قضاها مع المنتخب المغربي خلال الفترة السابقة.

وأكد لاعب الدحيل "هذا القرار لم يكن من السهل اتخاذه، بعد خروج المنتخب المغربي مبكرا من منافسات كأس أمم أفريقيا التي نظمتها مصر هذا الصيف".

وأضاف بنعطية "كنت بحاجة إلى التفكير في مصيري الدولي بعد كأس الأمم الأفريقية، خاصة في وضعيتي الحالية".

وتابع نجم يوفنتوس السابق "تحدثت مع المدرب البوسني وحيد خليلوزيتش، وأكدت له أنني أفكر في الاعتزل دوليا، إلا أنه طلب مني العدول عن هذا القرار والاستمرار، وأكدت له أنني لست مستعدا للعودة".

وختم حديثه "أكثر من عقد وأنا مع المنتخب المغربي، وكنت دائما رهن إشارته، ومع ذلك أسمع أشياء تستهدفني رغم أنها غير صحيحة، مثلا يتهمونني بأني أتدخل في اختيار التشكيل، أو اختار المباريات التي أشارك فيها، لذلك قلت إنه من الأفضل أن أعتزل، رغم صعوبة القرار".

وأعرب أيضا عن استيائه للانتقادات الموجهة إليه في كل مرة، وقال "يستهدفونني بأحكام ليس لها أساس من الصحة، ويدعون بأنني من يتحكم في إعداد التشكيل الأساسي وأنا من أختار المباريات التي ألعب فيها".

> **بنعطية أعلن نبأ اعتزاله دوليا بعد مسيرة دامت أكثر من عقد من الزمن، كواحد من اللاعبين المغاربة الذين اعتبروا سفراء بامتياز للكرة المغربية في أوروبا والمحافل الدولية**

واختار صخرة الدفاع أن يضع حدا لمسيرته الدولية مع المنتخب بعد خوضه قرابة 60 مباراة دولية منذ نوفمبر 2008، مفضلا منح الفرصة لأسماء أخرى بغية تقديم الإضافة لأسود الأطلس خلال القادم من المواعد.

مسيرة حافلة

دافع بنعطية، اللاعب السابق لأندية كبيرة كيوفنتوس وأيس روما وأودينيزي وبايرن ميونيخ، عن قميص المنتخب المغربي لأكثر من عشر سنوات، خاض خلالها العديد من المباريات، كما شارك في مسابقات كأس أفريقيا، آخرها التي جرت بمصر 2019، وشارك أيضا في المونديال الروسي سنة 2018.

وسيلحق قائد الأسود بزميليه السابقين كريم الأحمدي، ومبارك بوصوفة، بعدما اختاروا جميعا اعتزال اللعب دوليا مع المنتخب المغربي والتركيز مع الأندية التي يدافعون عن ألوانها.

مؤشرات الرحيل

كانت كل المؤشرات تؤكد أن لاعب الدحيل القطري سيغادر عرين الأسود بعد خيبة كأس أمم أفريقيا بمصر، وتعرضه للانتقادات في الفترة الأخيرة. وأعلن بنعطية نبأ اعتزاله دوليا بعد مسيرة دامت أكثر من عقد من الزمن، كواحد من اللاعبين المغاربة الذين اعتبروا سفراء بامتياز للكرة المغربية في أوروبا والمحافل الدولية.

وهذه ليست المرة الأولى التي يعلن فيها بنعطية اعتزاله دوليا، فقد سبق وأن اتخذ هذا القرار في 4 مناسبات وكل مرة كان يفرض على مدربي المنتخب المغربي الذين تعاقبوا على عارضته الفنية التنقل عنده لإقناعه بالعدول عن قراره. فمع المدرب السابق هيرفي رينارد أعلن بنعطية الاعتزال مرتين وتوجه رينارد صوب تورينو للقائه وإثنائه عن اعتزاله دوليا بحضور مدربه ماسيمو أليجري في مران يوفنتس.

لأن بنعطية رأى النور في فرنسا، فقد وجد مساحة كبيرة للتكوين وتعلم أبجديات كرة القدم حين ولج مركز كليرفونتين وقضى به سنتين من 2000 إلى 2002، ثم انتقل لشبان غانغامب وبعده لمارسيليا ليلعب لفريقه الثاني، قبل أن يقرر تغيير الأجواء، في تجارب لم تكن ناجحة بناديي تور ولوريون.

ووجد بنعطية ضالته مع نادي كليرمون بالدرجة الثانية، الذي منحه مساحة للمنافسة وتقوية عوده، حيث لعب له موسمين ناجحين من 2008 إلى 2010.

بعد نهاية عقده مع كليرمون فوت، بدأ طموح بنعطية يكبر ورفض الاستمرار مع هذا الفريق، وبحث عن ناد يحقق له أحلامه، قبل أن يحط الرحال بنادي أودينيزي الذي تعاقد معه لـ5 سنوات، حيث وجد ضالته بالدوري الإيطالي، وقضى موسما أول في المستوى، ولعب 34 مباراة وسجل 3 أهداف. كما تألق في موسميه الثاني والثالث، وبات واحدا من أفضل مدافعي دوري الكالشيو، الشيء الذي جعله يتوصل بعدة عروض مهمة، ليختار الانتقال إلى نادي روما، الذي لعب له موسما رائعا، وخاض 33 مباراة وسجل 5 أهداف.

لم يمر تألق بنعطية مع نادي العاصمة الإيطالية دون أن يغري هذه المرة أكبر أندية القارة العجوز، فكان الحديث عن عروض من برشلونة ومانشستر يونايتد، غير أن بايرن ميونيخ الألماني نجح في إغراء مدافع الأسود، وانتدبه بطلب من المدرب الشهير بيب غواردیولا.

وقضى نجم أسود الأطلس مع الفريق البافاري موسمين ووجد صعوبة في فرض نفسه، إذ خاض في موسمه الأول 15 مباراة وسجل هدفين، و14 مواجهة في الموسم الثاني وسجل هدفا واحدا، وتعرض لانتقادات كثيرة لغيابه عن المنافسة، بسبب الإصابات أو الأخطاء التي ارتكبها في بعض المباريات.

ولم يكن بنعطية راضيا على وضعيته وقرر الرحيل إلى فريق عريق في أوروبا، هو يوفنتوس الإيطالي، ولعب في موسمه الأول 15 مباراة وسجل هدفا واحدا، و20 مباراة في موسمه الثاني وسجل هدفين، ليقرر مغادرته في نصف الموسم الماضي ليدخل تجربة جديدة بالدوري القطري.

انضم بنعطية إلى المنتخب المغربي سنة 2009، وكانت بدايته الحقيقية في مباراة الكاميرون في تصفيات كأس أمم أفريقيا 2009، حيث تألق ونجح في إيقاف النجم صامويل إيتو، وانتهت المواجهة بالتعادل من دون أهداف.

ومنذئذ قبض بنعطية على رسميته مع الأسود، بعد المستوى الجيد الذي قدمه، غير أن حضوره مع المنتخب المغربي عرف مجموعة من المشاكل، ودخوله في خلاف مع الجمهور ووسائل الإعلام.

ويعتبر بنعطية من اللاعبين المثيرين للجدل بتصريحاته، على غرار انتقاده الجمهور المغربي، وعدم تقبله الانتقادات، بدليل أنه غاب عن الأسود في عدة مباريات، بعد واقعة هدف منتخب مصر الذي خرج به الأسود من دور الثمانية في نسخة الغابون 2017، حيث حمله الجمهور المغربي ووسائل الإعلام مسؤولية هدف محمود كهربا.

> **صخرة الدفاع اختار أن يضع حدا لمسيرته الدولية مع المنتخب بعد خوضه قرابة 60 مباراة دولية منذ نوفمبر 2008، مفضلا منح الفرصة لأسماء أخرى بغية تقديم الإضافة لأسود الأطلس خلال الفترة القادمة**

وتذكر الخرجة الإعلامية في مونديال روسيا، بعد المباراة الثانية التي انهزم فيها المغرب أمام البرتغال بهدف دون رد، وانتقاده المدرب المساعد مصطفى حجي مباشرة بعد المواجهة. كما طلب إعفاءه من المنتخب المغرب بعد نسخة أمم أفريقيا بالغابون، وغاب لفترة، قبل أن يعود في تصفيات مونديال روسيا.

رغم المشوار الطويل مع المنتخب المغربي ولعبه 62 مباراة دولية، إلا أن سجله يبقى خاليا، حيث يبقى أهم إنجاز مع الأسود هو التأهل لمونديال روسيا، بينما له عدة ألقاب مع الأندية. وفاز بنعطية مع بايرن ميونيخ، بلقب دوري ألمانيا موسمي 2015 و2016، وكأس ألمانيا 2016، وفاز مع يوفنتوس بدوري إيطاليا في مناسبتين 2017 و2018، وكأس إيطاليا مرتين في نفس السنتين، كما بلغ نهائي دوري أبطال أوروبا في 2017 وخسره أمام ريال مدريد 4-1.

اعتزال النجوم

شهد عام 2018 اعتزال العديد من نجوم كرة القدم سواء المحليين أو العالميين، بعد مشوار حافل من الإنجازات والبطولات مع أنديتهم أو منتخبات بلادهم، وهناك بعض النجوم أيضا اكتفوا باعتزال اللعب دوليا فقط. ويعد اللاعب ياسر القحطاني أحد أبرز اللاعبين الذين اعتزلوا كرة القدم على الصعيد المحلي، بجانب اللاعب أسامة هوساوي. وقرر ياسر القحطاني نجم الكرة السعودية ونادي الهلال اعتزاله كرة القدم رسميا، وانضمامه إلى صفوف جمهور الزعيم في المدرجات وترك المستطيل الأخضر، وجاء ذلك بعد تتويج فريق الهلال بلقب بطولة الدوري السعودي للمرة الخامسة عشرة في تاريخه في أبريل الماضي.

ومن أبرز اللاعبين الذين اعتزلوا كرة القدم على الصعيد العربي عماد متعب، حيث أنه بعد العودة من رحلة احتراف قصيرة مع فريق التعاون السعودي قرر وضع حد لمسيرته الكروية وأعلن اعتزال كرة القدم بعد مسيرة حافلة حقق خلالها الكثير من الألقاب والبطولات مع الأهلي ومنتخب مصر، أبرزها التتويج بلقب دوري أبطال أفريقيا 5 مرات رفقة المارد الأحمر وكذلك لقب بطولة الكونفيدرالية.

من جانبه أعلن حسام غالي نجم الأهلي ومنتخب مصر السابق اعتزاله كرة القدم بعد مشوار حافل من البطولات والإنجازات مع الأهلي والمنتخب الوطني، بالإضافة إلى رحلة احتراف رائعة مع أندية توتنهام وديربي كاونتي والنصر السعودي، وحصد غالي خلال مشواره 14 بطولة مع المارد الأحمر، بالإضافة إلى التتويج مع المنتخب بلقب وحيد ببطولة الأمم الأفريقية.

كما أعلن عصام الحضري، حارس مرمى الإسماعيلي ومنتخب مصر، اعتزاله اللعب الدولي رسميا، بعد مشوار حافل بالإنجازات مع منتخب الفراعنة حقق خلاله لقب بطولة أمم أفريقيا 4 مرات، ومركز الوصيف في بطولة 2017، ولقب أفضل حارس في البطولة الأفريقية خلال 4 نسخ، وذهبية دورة الألعاب العربية عام 2007، والمشاركة في نهائيات كأس العالم 2018. أيضا أعلن وليد سليمان، صانع ألعاب النادي الأهلي، اعتزاله اللعب دوليا، عقب استبعاده من معسكر المنتخب الوطني لمباراة تونس في التصفيات المؤهلة لنهائيات الأمم الأفريقية 2019، في الكاميرون.

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

صراع تحدّ بين شيرويوت وإينغربريغستن في سباق الـ1500م

برشم يتوج بذهبية الوثب العالي والبقالي يمنح المغرب برونزية جديدة

ينزل الستار على فعاليات البطولة العالمية لألعاب القوى الأحد بإجراء سباق 1500م، والذي ينتظر أن يشهد منافسة محتدمة بين العديد من العدائين حول العالم، ويتخلله تحدّ كبير لإنهاء سيطرة القارة الأفريقية على ذهبية هذا السباق، فيما كانت حصيلة اليوم الثامن لافتة وسجلت تتويجا قطريا ومغربيا بميداليتين.

الدوحة – ستكون المواجهة على أشدها في سباق 1500م في اليوم الأخير من بطولة العالم لألعاب القوى في الدوحة الأحد، بين الكيني تيموثي شيرويوت والشاب النرويجي الصاعد جاكوب إينغربريغستن. فيما شهد اليوم الثامن تتويج القطري معتز برشم بذهبية مسابقة الوثب العالي، مسجلا 2.37 مترا، في حين أضاف المغربي سفيان البقالي برونزية باحتلاله المركز الثالث في سباق 3 آلاف متر موانع، كما شهد أيضا تحطيم العداءة الأميركية دليلة محمد الرقم القياسي العالمي في سباق 400م حواجز.

وفي اليوم الختامي الذي سيقام الأحد يبرز التنافس على ذهبية سباق 1500م بمثابة تحد للعديد من العدائين خصوصا أولئك من خارج أفريقيا الذين يطمحون إلى إنهاء السيطرة شبه المطلقة التي فرضها عداؤو القارة السمراء على لقب هذا السباق في نسخها الأخيرة.

> **سباق الـ1500 م يشهد مشاركة عداء عربي وحيد هو الجزائري توفيق مخلوفي في حين لم يحالف الحظ المغربي عبدالعاطي إيكدير في التأهل له**

وحقق شيرويوت صاحب الفضية قبل عامين خلال بطولة العالم في لندن، أفضل توقيت هذا العام (3.28.77 دقيقة) عندما تغلب على النرويجي بالذات في لقاء لوزان السويسري.

ويكمن التحدي أمام إينغربريغستن في وضع حد لسيطرة عدائي أفريقيا على هذه المسابقة في النسخ الأربع الأخيرة، إذ توج الكيني إسبل كيبروب أعوام: 2011 في دايغو، 2013 في موسكو و2015 في بكين، قبل أن يحمل الإثيوبي أليجا مانونغوي المشعل في النسخة الأخيرة في لندن 2017، لكنه يغيب عن البطولة الحالية بسبب إصابة في كاحله.

محاولة لإنهاء السيطرة

تألق إينغربريغستن الذي احتفل بعيد ميلاده التاسع عشر في 19 سبتمبر، خلال الفترة الأخيرة الماضية، حيث توج بطلا لأوروبا في سباقي 1500م و5 آلاف متر بأسلوب لافت في برلين صيف 2018، قبل أن يتوج هذا العام بطلا للقارة العجوز داخل قاعة بغلاسكو في سباق 3 آلاف متر ويحرز فضية 1500م.

وجاكوب هو أحد ثلاثة أشقاء يمارسون سباقات المسافات المتوسطة والطويلة. وحقق شقيقه الأكبر فيليب برونزية سباق 1500م في لندن قبل عامين.

هذا السباق يشهد مشاركة عداء عربي واحد هو الجزائري توفيق مخلوفي في حين لم يحالف الحظ المغربي عبدالعاطي إيكدير في التأهل له.

وفي سباق 10 آلاف متر للرجال، يفرض سؤال واحد نفسه، من سيخلف العداء البريطاني مو فرح الفائز باللقب في النسخ الثلاث الأخيرة؟

وتميل الترجيحات إلى فوز عداء أفريقي من إثيوبيا أو كينيا أو أوغندا.

ويضم الفريق الأوغندي نخبة من أفضل عدائي المسافات الطويلة في الوقت الحالي على رأسهم جوشوا شيبتيغي الفائز بالفضية قبل سنتين.

وتألق شيبتيغي هذا العام بفوزه بسباق اختراق الضاحية في آرهوس الدنماركية وفي نهائي الدوري الماسي في سباق 5 آلاف متر.

ويضم المنتخب الأوغندي جاكوب كيبليمو، بينما تتمتع إثيوبيا بالمخضرم هاغوس غيبرهيويت صاحب أفضل توقيت هذا العام مع 26.48.95 دقيقة.

أما كينيا التي لم تفز بهذا السباق منذ انتصار تشارلز كاماثي في نسخة إدمونتون الكندية عام 2001، فتعول على رونيكس كيبروتو بطل العالم تحت 20 عاما والفائز بذهبية السباق في لقاء ستوكهولم مع رقم لافت هو 26.50.16 دقيقة.

وفي سباقات التتابع 4 مرات 400 متر للرجال والسيدات، يتوقع أن تكون المنافسة شديدة كالعادة بين الولايات المتحدة وجامايكا من دون استبعاد بريطانيا التي تتمتع بنخبة من أفضل العدائين في هذه الفئة.

وتدخل الألمانية مايلايكا ميهامبو مسابقة الوثب الطويل مرشحة فوق العادة لانتزاع اللقب من حاملته الأميركية بريتني ريزه بعدما حققت أفضل ثلاثة أرقام هذا العام (أبرزها 7.16م) ولم تخسر في آخر تسعة لقاءات خاضتها.

لكن المخضرمة ريزه (33 عاما) لديها من الخبرة ما يكفي في البطولات الكبرى، بعدما توجت بالذهبية في أربع من مشاركاتها الست، وهي الأفضل سجلا في هذا الاختصاص في بطولة العالم.

وسجلت ريزه سبعة أمتار في التجارب الأميركية، لكنها لم تفز بأي لقاء في الدوري الماسي فحلت ثالثة في روما وثانية في لندن وبروكسل. أما الأخرى التي تخطت حاجز سبعة أمتار هذا العام، فهي النيجيرية إيسي برومي التي حققت 7.03م في مدينة بورصة التركية في يوليو.

سيناريو متوقع

مثلما كان متوقعا تفوق برشم الذي سجل أفضل رقم هذا العام، على الروسيين ميخائيل إكيمنكو (2.35م) وإيليا إيفانيوك (2.35م بفارق المحاولات)، وكلاهما يخوض البطولة تحت علم محايد بسبب إيقاف الاتحاد الروسي لألعاب القوى على خلفية فضيحة التنشط الممنهج في البلاد.

وقال برشم بعد تتويجه "بالنسبة إلي، ما تحقق هو حلم. أن أفوز باللقب العالمي على أرضي هو أمر مدهش".

وأضاف "لم أكن في كامل لياقتي البدنية لكني عندما وصلت إلى الملعب ورأيت الجميع يهتفون باسمي وحتى ولو كنت على طريق الموت، أو نقلوني على كرسي متحرك أو في سيارة الإسعاف، لكنت بذلت كل ما أستطيع".

وكان برشم يواجه تحديا كبيرا للاحتفاظ بلقبه الذي توج به في لندن قبل سنتين، لاسيما وأن الإصابة أبعدته عدة أشهر عن المضمار قبل أن يعود في مطلع الموسم الحالي من دون أن يخوض الكثير من المنافسات.

واعترف في هذا الإطار "إصابتي العام الماضي كادت تنهي مسيرتي. بدأت أطرح على نفسي أسئلة ما إذا كنت سأقفز مجددا". وتابع "أما الآن فأنا أفكر في المستقبل وسعيد بما وصلت إليه".

وعزز برشم بالتالي رصيده من الميداليات في البطولات الكبرى، وبات يضم حاليا ذهبيتين في بطولة العالم، بالإضافة إلى برونزية أولمبياد لندن 2012، وفضية أولمبياد ريو 2016.

وكان السوري مجدالدين غزال، صاحب البرونزية في لندن 2017، قد فشل في التأهل للنهائي.

وفي المقابل، اكتفى البقالي بالميدالية البرونزية في سباق 3 آلاف متر موانع في سباق مثير حسمه الكيني كونسيلسوس كيبروتو في الرمق الأخير، متقدما بفارق عشر من الثانية على الإثيوبي لاميشا غيرما (8.01.34 دقيقة مقابل 8.01.35د).

وقال البقالي "أنا سعيد بهذه الميدالية. كان الموسم طويلا جدا مع العديد من لقاءات الدوري الماسي وإقامة بطولة العالم في أكتوبر ليس أمرا عاديا، عادة تقام هذه البطولة في أغسطس لكن لا بأس. خضت العديد من التمارين قبل المجيء إلى الدوحة".

وحطمت العداءة الأميركية دليلة محمد الرقم القياسي العالمي في سباق 400 متر حواجز في طريقها إلى إحراز الذهبية. وسجلت دليلة محمد، (29 عاما) حاملة ذهبية أولمبياد ريو قبل ثلاثة أعوام، 52.16 ثانية لتتفوق على رقمها القياسي العالمي السابق ومدته 56.20 ثانية، حققته في التجارب الأميركية في ولاية أيوا في 28 يوليو الماضي.

الإنتر بألوان مبهجة

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

سحب إنتر ميلان "البساط" من تحت "أقدام نابولي"، لقد بات الآن المنافس الأول ليوفنتوس على لقب الدوري الإيطالي.

الإنتر قدّم عروضا رائعة في بداية المنافسات المحلية، لقد حقق العلامة في المباريات الست الأولى، ليتربع على العرش لوحده مبكرا، الإنتر قدم كل المؤشرات الضرورية كي يؤكد للجميع أنه عاد إلى الواجهة.

بات أكثر قوة من ذي قبل، بات جاهزا تماما كي ينافس وبكل قوة على تحقيق التألق والنجاح الذي غاب ردحا من الزمن عن قلعة "النيراتزوري".

هذه البداية الرائعة والموفقة، لم تكن لتتحقق لولا توفر عدة معطيات هامة، ولم تكن لتحصل لو لم يوجه صناع القرار في النادي بوصلتهم صوب صناع النجاح والتتويجات.

فالاختيار على المدرب الجديد خضع لعدة مقاييس أهمها وبالضرورة التعاقد مع جهاز فني لديه من الخبرة والطموح في آن واحد ما يكفل للإنتر أن ينهض من سباته ويتحول من مجرد فريق "طيّع" إلى "عصا غليظة" تضرب بكل قوة.

لم يدم البحث طويلا، "فالعصفور النادر" حلق قريبا من المدينة بعد أن وجد نفسه بلا مأوى، لقد جاء المدرب أنطونيو كونتي مرحبا وسعيدا بخوض تجربة مع الإنتر، جاء وهو يحمل في جرابه العديد من التجارب الناجحة أبرزها مع اليوفي والمنتخب الإيطالي.

شرع كونتي مبكرا في العمل، لقد خطط للنجاح والتألق، ووضع استراتيجية عمل واضحة ثم حدد قائمة تضم زمرة من اللاعبين القادرين على الإضافة والنجاح.

كانت تلك الخطوة الثانية في مسيرة الإنتر هذا الموسم، إذ كان الهداف البلجيكي روميلو لوكاكو أبرز أهداف فريق مدينة ميلانو، لقد دفع الغالي والنفيس من أجل استقدامه من فريقه السابق مانشستر يونايتد. حل ركب روميلو وبدأ مرحلة جديدة في مسيرته الرياضية، مرحلة أرادها أن تكون أفضل بكثير من سابقتها، مرحلة أصرّ على أن تنهي مرحلة الشك التي ارتبط بها لوكاكو مع اليونايتد.

واصل القائمون على الإنتر الصيد في "بحر مانشستر"، فتم استقدام التشيلي أليكسيس سانشيز الذي يأمل بدوره في تحقيق انطلاقة جديدة بعد أن عانى من متاهات "سجن أولد ترافورد"، وبدا بدوره مصرًا بكل جهده على حصد النجاح في "وطنه الجديد".

جاء معهم أيضا نجم منتخب الأوروغواي المدافع الصلب دييغو غودين الذي امتلك كل مقومات الحنكة والصلابة بعد تجربة دامت طويلا مع أتلتيكو مدريد.

لم يقتصر الأمر على ثنائي هجومي "مرعب" يتمتع بخبرة كبيرة، بل إن كونتي أراد الاستثمار في العناصر الجديدة، رغب بشدة في التعاقد مع لاعبين شبان يتقدون حماسا لكن لا تعوزهم الموهبة الفطرية، فتم منح الفرصة لثلة من الشبان الرائعين مثل النمساوي فالنتينو لازارو والأرجنتيني لوتارو مارتينيس.

كل هؤلاء اللاعبين كانوا بمثابة المحرك "النفاث" الذي قاد الفريق إلى القمة، فبات الإنتر حديث الجميع في إيطاليا، وأصبح قادرا بكل المقاييس على أن ينهي موسمه بتحقيق نتائج رائعة.

منذ أيام قليلة، خاض الإنتر مباراته الأوروبية الثانية ضمن دوري الأبطال، حيث نزل ضيفا على برشلونة القوي بنجومه اللامعة مثل ميسي وسواريز، في تلك المباراة أحرج الإنتر منافسه وأسال "العرق البارد" على وجوه الكتالونيين.

لقد قدم عرضا ساحرا، باهرا وممتعا، كان قريبا جدا من العودة بنقاط الفوز، لكنّ "صنعة" ميسي وزملائه أحدثت الفارق، فعاد الإنتر إلى إيطاليا وهو يحمل كل عبارات الإشادة والتنويه رغم الخسارة.

فالعرض في تلك الأمسية كان مقنعا إلى حد كبير، كان مؤشرا قويا على أن هذا الفريق غدا قادرا على المنافسة ليس في إيطاليا فحسب بل في أوروبا أيضا.

لقد تعاظمت أماني وأحلام عشاق الفريق الإيطالي، فما قدمه الإنتر إلى حد الآن يؤسس لمستقبل أفضل، مستقبل قد يعيد إلى الفريق نضارته وقوته، قد يصبح بمقدور هذا الفريق المنافسة على استرداد لقبه المحلي وكذلك الأوروبي بعد أن توج آخر مرة سنة 2010 عندما تغلب على الجميع ونال لقب أمجد الألقاب في القارة العجوز.

اليوم مع كونتي ومع هؤلاء اللاعبين المتقدين حماسا سيكون بمقدور الإنتر أن ينافس على الألقاب والبطولات واستعادة ذكريات ماضيه المجيد.

اليوم مع هذه الإدارة التي وفرت كل الوسائل وكل ممهدات النجاح ونجحت في إبرام صفقات مدوية، سيكون بمقدور "النيراتزوري" إنهاء مرحلة السنوات العجاف.

سيكون الإنتر أكثر ألقا وتوهجا، سينزع عنه كل علامات الفشل والحزن ويلبس عباءة النجاح والتفوق.

اليوم يمكن التكهن بأن الإنتر سيجانب رموز لونيه التاريخيين أي الأسود الغامق والأزرق الداكن، ويخالف رمزيتهما، ستكون له ألوان أكثر بهاء وضياء، ستكون بلا شك أكثر بهجة مع هذه الكتيبة المتعطشة للألقاب والتتويجات والقادرة فعلا عن حصد النجاح المنشود.

المغربي الكروج: «أم الألعاب» فقدت التواصل مع الجماهير

الدوحة – كشف العداء والبطل الأولمبي السابق المغربي هشام الكروج في حوار أجراه مع وكالة فرانس برأس، أن ألعاب القوى فقدت التواصل مع جمهورها، وأن التراجع الذي عرفته بطولة العالم الحالية التي تختتم الأحد في الدوحة كان متوقعا.

ودعا الكروج، المتوج بألقاب عدة في مسيرته تتقدمها ذهبيتا سباقي 1500م و5 آلاف متر في دورة الألعاب الأولمبية في أثينا عام 2004، إلى بذل مجهود أكبر في رياضة "أم الألعاب" لتعزيز الحضور الجماهيري الذي ظهر باحتشام كبير في نسخة 2019 من البطولة العالمية.

وأثارت بطولة العالم لألعاب القوى المقامة بالدوحة والتي تختتم فعالياتها الأحد، جدلا كبيرا عكسته العديد من المؤشرات؛ بدءا بسوء التنظيم والتغييرات الحاصلة في مواعيد إجراء السباقات ما اضطر العديد من الأبطال العالميين إلى الانسحاب، مرورا بحالة الطقس الحارة والرطوبة العالية اللتين انعكستا سلبا على أداء بعض العدائين، وليس انتهاء بالعزوف الجماهيري عن الحضور إلى الملاعب والذي أثار الكثير من الانتقادات حول مدى أهلية قطر لاحتضان هذه البطولة.

وبسؤاله حول "مدى أهمية الجمهور في أدائك كبطل أولمبي سابق؟"، قال الكروج "لطالما أدى الجمهور دورا هاما في مسيرتي، كان المحرك وصاحب الفضل في عروضي. للأسف في بعض الأحيان، لا تكون الملاعب مليئة عن آخرها كما حصل لدى تحطيمي الرقم القياسي العالمي في سباق الميل (روما 1999) وسباق 2000م (في برلين 1999)، وهذا مخجل جدا".

وأضاف بقوله "عندما تكون المدرجات ممتلئة، يشكل ذلك دافعا للركض بسرعة أكبر كما حصل في سيدني وأثينا (أولمبيادا 2000 و2004)، وبطولة العالم في باريس (2003). هذا أمر طبيعي، فنحن بشر نتدرب طوال العام بمفردنا، في الغابة، دون حضور أحد، أما في الملعب فيتواجد مدربنا فقط".

> **الكروج المتوج بعدة ألقاب يدعو إلى بذل مجهود أكبر في رياضة ألعاب القوى لتعزيز الحضور الجماهيري الذي لاح محتشما في نسخة 2019 بالدوحة**

وفي سؤال حول تفسيره لغياب الجمهور في الدوحة قال العداء المغربي "للأسف هذه مشكلة موجودة دائما في البطولات.. صحيح ثمة مشاكل في الدوحة، لكنها مشكلة أشمل في رياضة ألعاب القوى لأننا فقدنا التواصل مع جمهورنا. يتعين بذل جهود أكبر لجذب الناس. نزاول رياضة استثنائية، هي الرياضة الأولى الممارَسة من قبل البشر، أكثر من كرة القدم. لكننا في المقابل نفتقد الأدوات لجذب الجمهور إلى الملاعب".

وحول توقعاته لنهائي 1500م الذي يقام الأحد في الدوحة، وكيف يفسر الكروج بأن رقمه القياسي (3.26.00 دقيقة) لا يزال صامدا حتى الآن، أجاب البطل المغربي بالقول "عندما حطمت الرقم القياسي (يحمل أيضا الرقم القياسي في كل من سباقي الميل و2000م)، لم أكن أعتقد أنه سيصمد لهذه الفترة الطويلة".

وأضاف العداء الدولي المغربي السابق "بالنسبة إلي، وجدت الأرقام القياسية لكي تُحطَّم يوما ما، وبالتالي أنا سعيد وفخور لأن رقمي صمد طويلا، لكنني حزين أيضا لان أحدا لم يقترب منه على مدى نحو 22 عاما. صحيح أنه من الصعب تحطيم أرقامي، فقد عانيت كثيرا لتحقيقها ولاسيما رقم الميل الذي كان صعبا للغاية".

ليفربول يهرب في الصدارة وتوتنهام يسقط بثلاثية

لندن – حافظ فريق ليفربول، السبت، على قمة ترتيب الدوري الإنكليزي معمقا الفارق مع بقية ملاحقيه، وذلك بعد أن تغلب على مضيفه ليستر سيتي بهدفين لهدف في الجولة الثامنة للمسابقة المحلية. وبهذا الفوز، ارتفع رصيد ليفربول إلى 24 نقطة محلقا على القمة، بينما تجمد رصيد ليستر سيتي عند 14 نقطة في المركز الثالث.

وأسفرت بقية مباريات الجولة التي لعبت، السبت، عن فوز أستون فيلا على نوريتش سيتي بخمسة أهداف لهدف، وبيرنلي على إيفرتون بهدف نظيف، بينما تعادل واتفورد مع شيفيلد يونايتد سلبيا.

وتعرّض توتنهام إلى خسارة مضاعفة بسقوطه أمام مضيفه برايتون 3–0، وفقدانه قائده وحارس مرماه الفرنسي هوغو لوريس لإصابة بالغة على مستوى الساعد الأيسر في الدقائق الأولى.

وهذه هي ثاني خسارة قاسية على التوالي يتعرض لها توتنهام بعد سقوطه المذل على أرضه أمام بايرن ميونيخ الألماني 7–2، في دوري أبطال أوروبا.

وبينما كان فريق المدرب الأرجنتيني ماوريسيو بوكيتينو يأمل في تعويض خسارته القارية بفوز محلي، تلقى ضربة قاسية في الدقيقة الثالثة لمباراته ضد برايتون، بإصابة حارسه هوغو لوريس.

عملاق الدقائق الصعبة

العرب
الأحد 2019/10/06
السنة 42 العدد 11489

ناسا ترسل أول رحلة نسائية للفضاء في الربيع

تمكنت وكالة الفضاء الأميركية "ناسا" من تحديد موعد جديد لرحلة أول طاقم نسائي بالكامل، بعد الموقف المحرج الذي تعرضت له مطلع العام الحالي بسبب إلغائها أول مهمة فضائية تاريخية، لأنها لم تتمكن من توفير بزات مناسبة للرائدات.

على موعد قريب مع رحلة تاريخية

واشنطن – أعلنت وكالة الفضاء الأميركية (ناسا)، عن الموعد الجديد لأول رحلة نسائية إلى الفضاء، بعد أن كانت قررت، مارس الماضي، إلغاء أول رحلة تاريخية مكونة من رائدات فضاء بسبب عدم توفر بدلات فضائية تناسب مقاس إحدى النساء في محطة الفضاء الدولية.

وتشمل المهمة رائدتي الفضاء كريستينا كوخ وجيسيكا ماير اللتين ستنطلقان في 21 أكتوبر الحالي لتوصيل بطاريات جديدة مطورة لنظام الطاقة الشمسية. وستكون العملية الرابعة من نوعها من مجموع 5 عمليات سير في الفضاء. ومن المقرر أن تنطلق الأولى، الأحد، حيث سترافق كريستينا كوخ رائد الفضاء أندرو مورغان.

وكانت الخطة الأولى تشمل كريستينا كوخ وآن ماكلين. وكان من المقرر أن تتم في شهر مارس. لكن وكالة الفضاء أجبرت على إلغاء الخطة قبل بضعة أيام من تنفيذها لأن الوقت لم يكن يكفي لإعداد بدلة فضاء متوسطة الحجم. وصممت البدلة الثانية في يونيو.

وأثار هذا الأمر ردود فعل من محبي الفضاء وناشطات نسويات رأوا فيه عدم استعداد ناسا لتغيير إرث فضائي استمر لعقود كان الرجال يهيمنون عليه، خصوصا أن الوكالة تحضر بعناية التفاصيل الدقيقة لرحلاتها وهي تحضر رحلة جديدة إلى القمر بحلول العام 2024.

وصرحت رائدة الفضاء، ميغان مكارثر، للصحافيين بأن هذه المهمة النسائية ستكون معلما في تاريخ الوكالة، لكنها أشارت إلى أن النساء موجودات في جميع أقسام ناسا إلى درجة أنهن لا يفكرن في هذه الأمور. ورغم هذه الدرجة من الاندماج، قالت مكارثر إن المهمة ستمثل سببا للاحتفال.

تنتمي كريستينا كوخ وعالمة الأحياء البحرية جيسيكا ماير التي وصلت إلى المختبر المداري، الأسبوع الماضي، إلى دفعة 2013 لرواد فضاء ناسا، وهي الأولى والوحيدة التي تساوى فيها عدد الرجال والنساء. وستشتركان في أول رحلات فضائية تجمعهما.

وقالت كوخ خلال مقابلة تلفزيونية "في الماضي، لم تكن النساء موجودات دائما. وتعدّ المساهمة في برنامج رحلات الفضاء في وقت يتم فيه قبول جميع المساهمات أمرا رائعا. عندما يتمتع كل شخص بدوره الخاص، يمكن أن يزيد ذلك من فرص النجاح".

وأجرى الرائد السوفييتي ألكسي ليونوف أول عملية مشي في الفضاء في سنة 1965. ووفقا لوكالة ناسا، شملت الرحلات التي تلته 14 امرأة مقابل 213 رجلا. لكنها تتوقع رؤية المزيد من النساء في هذه العمليات. وأفاد المسؤول عن برنامج المحطة الفضائية في ناسا، كيرك شايرمان، أن العامين المقبلين سيشهدان مهمات تشمل صاحبات البدلات المتوسطة.

صباح العرب

عدلي صادق

ليست سرقة وإنما انتقام

يقول النبأ إن لصوصا سرقوا بعض رفات المهاتما غاندي في ذكرى ميلاده الخمسين بعد المئة. وفي الحقيقة، ليس الفعل من جنس السرقة ولا الفاعلون من اللصوص. فالفاعلون أصوليون، والفعل محض نوبة رمزية، من نوبات الأصولية بفحواها الهندوسي. فالأصوليات الدينية تتشابه في العمل وتتنافر في المضامين والسياقات المجنونة. فمختطفو رفات رجل عاش حزينا زاهدا متألما على أحوال شعبه، ينافح استعباد المستعمر والظلم الاجتماعي والفقر، مفعما بمحبة إنسانية، توزعت بالتساوي على الإنسان والمجتمع والأرض والحياة. أردته ثلاث رصاصات في الرأس في المحاولة السادسة لقتله، فأسلم الروح قتيلا وهو يقترب من سن الثمانين. يومها، في يناير 1948 كان الإحساس بالتشفي في الرجل النبيل، يوحد مشاعر سائر الأصوليات الدينية. كل أصولية، ترى من منظورها وجوب قتله: الهندوسية والسيخية، رأت في محبة غاندي للإنسان، وترفقه بمواطنيه المسلمين الذين شاركوه مراحل نضاله اللاعنفي من أجل الاستقلال؛ مروقا على الديانة بصيغتها الأصولية المتطرفة، بينما الأصوليون المسلمون لم يروا فيه إلا كافرا لا يؤسف عليه، والمتطرفون المسيحيون اعتبروه عدوا أراحهم موته، لأنه قاوم التبشير في الهند، حفاظا على الوئام الاجتماعي.

الأصوليون اليهود الصهاينة، حقدوا عليه في حياته وكانوا يتمنون موته سريعا. كتب مرارا، للصحافة، يدحض المشروع الصهيوني في فلسطين قائلا "إن الدعوة إلى إنشاء وطن لليهود لا تعني الكثير بالنسبة لي. ففلسطين تنتمي إلى العرب تماما كما تنتمي إنكلترا إلى الإنكليز أو فرنسا إلى الفرنسيين، ومن الخطأ فرض اليهود على العرب. فما يجري الآن في فلسطين لا علاقة له بأيّ منظومة أخلاقية". هاجمته الصحافة البريطانية فزاد وشرح "إذا لم يكن لليهود أيّ وطن غير فلسطين كما يزعمون، فهل يمكنهم أن يتقبلوا فكرة طردهم من بقية أرجاء العالم؟ إن الدعوة إلى إنشاء وطن قومي لليهود سيقدم مبررا قويا لطرد اليهود من ألمانيا". ولما أصاب البغي اليهود الأوروبيين خلال الحرب العالمية الثانية، ثم رآهم يقتلون الأبرياء في فلسطين، كتب في صيف العام 1946 معبرا عن حزنه العميق لما أصابهم، لافتا إلى أن مظلمتهم الأوروبية ينبغي أن تعلمهم معنى العدالة "لقد تصوّرنا أن المحنة ستعلمهم درس السلام، ولكن ما حدث هو العكس، إذ يحاول اليهود فرض أنفسهم على فلسطين بمساعدة الأسلحة البريطانية والأموال الأميركية، ومؤخرا عن طريق الإرهاب المباشر!".

ظل الرجل، في موضع كراهية جميع الأصوليات المتطرفة، حتى أردته أصولية بلاده، وقتلت بعده أنديرا وراجيف. ولم تأسف أيّ أصولية لقتل ثلاثتهم. فليس اختطاف بعض رفاته سرقة، وإنما انتقام!

فلسطينية تحوّل مواد البناء إلى لوحات فنية

الضفة الغربية (فلسطين) – استطاعت الفلسطينية وفاء الأدهمي بمواد بناء بسيطة إنتاج عجينة تستخدمها في رسم لوحات فنية.

وقالت الأدهمي (46 عاما)، وهي من مدينة الخليل جنوبي الضفة الغربية، إنها تمكنت من إنتاج عجينة من مكونات تستخدم في مواد البناء، لرسم لوحات فنية. وبأدوات أخرى بسيطة تعمل على تشكيل اللوحة وفق تصور في مخيلتها.

وتستغرق عملية صناعة العجينة وإفراغها وتشكيلها على اللوحة نحو الساعتين، حيث تترك ليوم كامل قبل بدء عملية التلوين والرسم النهائي.

وأضافت الفنانة الأربعينية أن "العجينة" الخاصة بها هي حصيلة جهد وتجارب ثلاث سنوات، حيث حصلت في النهاية على عجينة تتجاوب مع الألوان وتلتصق بسطح اللوحات.

وجاءت فكرة الرسم بالعجينة إلى الأدهمي بعد تفكير وبحث لإنتاج لوحات فنية بطريقة مختلفة تبرز ملامحها، بحيث لا تكون مجرد ألوان، ويكون لها ثقل يعبر عن قيمة المشهد، ويميزها عن باقي الفنانين التشكيليين.

وتحوّل منزل الفنانة منذ 3 سنوات إلى مرسم ومعرض للوحاتها الفنية، بدعم من عائلتها التي تقف إلى جانبها، ما شكل دافع قوة وعنصر نجاح لها.

وحول تسويق منتجاتها، تقول إنها تنظم معارض شخصية محلية، وتطمح إلى أن تشترك في معارض عربية ودولية.

وللفن عند الأدهمي أبعاد وطنية، قائلة "رسمت صور جمالية متعددة، لكن واقع الاحتلال يعكس نفسه على كل شيء، هذا واقع نعيشه والفنان يعبر عن واقعه".

وأضافت "اللوحات سفير متجول قد تصل إلى عدة دول ومن خلالها نوصل رسالة شعبنا الحالم بالحرية والاستقلال".

كشفت الممثلة المصرية ياسمين صبري عن الكثير من الحقائق الصادمة لجمهورها عبر خاصية الستوري بموقع إنستغرام، مؤكدة أنها قررت مغادرة مصر والاستقرار في دولة أخرى لم تحددها صراحة ولكنها ألمحت لتواجدها في لندن.

«في عينيا» التونسي يفتتح مهرجان مالمو

مالمو (السويد) – افتتح الفيلم التونسي "في عينيا" للمخرج نجيب بلقاضي فعاليات الدورة التاسعة من مهرجان مالمو للسينما العربية والذي يعد أكبر حدث فني سنوي يروج للسينما العربية في الدول الأسكندنافية.

وجاء عرض الفيلم في إطار اختيار السينما التونسية "ضيف شرف" المهرجان الذي يقام في مدينة مالمو، ثالث أكبر مدن السويد من حيث المساحة.

وتدور أحداث الفيلم حول رجل تونسي يعيش في فرنسا لكنه يضطر للعودة إلى وطنه لرعاية ابنه المصاب بالتوحد.

كما كرم المهرجان في الافتتاح اسم الناقد والمنتج التونسي الراحل، نجيب عياد، الرئيس السابق لمهرجان أيام قرطاج السينمائية.

ويعرض المهرجان الذي يستمر حتى الثامن من أكتوبر الحالي 47 فيلما بين طويل وقصير من مصر ولبنان وسوريا والمغرب والجزائر وتونس والأردن.

وقال مؤسس ورئيس مهرجان مالمو محمد قبلاوي في كلمة الافتتاح "اللافت أن المهرجان أصبح يشار إليه دوليا باسم مالمو، ما يعني أننا أصبحنا جزءا أصيلا من المعالم الأساسية لهذه المدينة الجميلة، التي أصبحت اليوم نقطة حوار ثري، يناقش فيها جمهور المهرجان الموضوعات الفنية والحياتية من خلال السينما".

ارتداء ملابس شخصيات أخرى يمنح الشباب الياباني القوة

طوكيو – كشف مهرجان الكوسبلاي العالمي (كوميك كون) الذي انتظم في مدينة ناغويا اليابانية، منذ فترة، أن هذا الحدث محل ترحيب كبير من قبل عدد كبير من الشباب الذي أكد أن تقمصه لشخصيات أخرى يمنحه الشعور بالقوة.

ويحتشد عدد متزايد من عشاق "الكوسبلاي" ومعظمهم من النساء، في مثل هذه الأحداث في جميع أنحاء اليابان، وهم يرتدون ملابس مستوحاة من الرسوم الكرتونية والأفلام، وألعاب الفيديو، والمسلسلات التلفزيونية، والكتب المصورة المفضلة لديهم.

والمشاركة في هذه اللقاءات وسيلة لعشاق الكوسبلاي لتوسيع دائرة أصدقائهم ومعارفهم الذين لهم نفس الاهتمامات.

وقالت ميسا كوندو، التي تزينت بارتداء قطعة واحدة مرسومة عليها مربعات وسترة سوداء، في شوارع التسوق في ناغويا اليابانية، "عندما أكون متنكرة، أشعر بأنني في حالة جيدة حقا.. هذا الأمر يمنحني الشعور بالقوة".

وأكدت كوكوا أنها تعشق الكتب المصورة والشخصيات الكرتونية، وأنها تحب تقمّص شخصيات من هذا القبيل.

وأفادت روري، "اليوم أنا بوكينا، وهي شخصية في فيلم: بانج دريم".وتابعت "أشعر بالارتياح عندما أتقمص شخصية شخص آخر. أشعر أيضا بالراحة عندما أشارك في فعالية للكوسبلاي تقام خارج مسقط رأسي حتى لا أشعر بالقلق عندما يراني شخص أعرفه".

وفي اليابان، حيث لا يتم التأكيد على أهمية تقدير الذات، يشعر الشباب بالضغوط للمواءمة مع وجهة نظر الأغلبية.

وقال أحد عشاق الكوسبلاي في الثلاثينات من عمره "العديد من عشاق الكوسبلاي من الانطوائيين، لكن عندما يتقمصون شخصية غير شخصيتهم، فإن تقمص شخصية من خلال ارتداء الأزياء يساعدهم على الانفتاح على الآخرين".

والكوسبلاي يحظى بشعبية، ليس فقط في اليابان، ولكن في العديد من البلدان الأخرى.